

قصَّةُ الثَّبات ومَضَاتُ الآيات

أحمد الغانم

الطبعـــة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م
رقم الإيداع: / ٢٠١٢
الترقيم الدولي: I.S.B.N
978-977-   -   -

دار المعرفة للنشر والتوزيع
خلف جامع الأزهر - بجوار مسجد عليش
ت: ٠١٠٠٨٥٨٤٨٢٠ - ٠١١١١٣٢٢٦٦٨ - ٠١١٤١٢١٢٨٠٥
Email: elmarefa@hotmail.com

إهداء

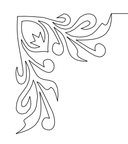
إلىٰ أبي الذي فارقني صغيرًا .. أسألُ اللهَ أنْ يتقبَّل هذا العمل ويُؤنسك ثوابُهُ في قبرك ..

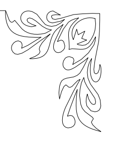
إلىٰ أمِّي الحبيبة، سندي وداعمي الأوَّل ..

إلىٰ أسرتي الصَّغيرة: جزاكم الله عنِّي خيرَ الجزاء ..

إلىٰ كُلِّ أحبَّتي في قُبُورِهِم، وأخصُّ أخي حامل القرآن (محمود هارون) ..

إلىٰ كُلِّ مُسلمٍ ومُسلمة: أرجُو من ربِّنَا الكريم أنْ يَكْتُبَنَا جميعًا في الرَّاسخين ..





المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة







مُقدمة لا بُدَّ منها!

هل يُتصوَّر أن يُضحيَ إنسانٌ سويٌ بنورِ بصره؟

هل يُتخيَّل أن يرفضَ عاقلٌ نورَ البصيرة؟

هل يُصدَّق أن يعرفَ أحدُنا طريقَ الثَّبات ويُعرِض عنه؟

مهما كان إعراضُنا ومهما كانت معاصينا، فنور البصرِ غالٍ ونور البصيرة أغلىٰ، والثَّبات عليهما حتَّىٰ الموت لا يعدله شيء . .

يقول الله ﷻ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

هذا الكتابُ العظيمُ يُخرجُ النَّاسَ من الكُفرِ إلىٰ الإيمان . . من ظُلمةِ الجهلِ إلىٰ نُورِ العلم . . من ضلالِ البدعةِ إلىٰ هُدَىٰ السُّنةِ . . من ظُلُمَاتِ الحُزن إلىٰ أنوارِ الفرح . . من اكتئاب التَّخبط إلىٰ سعادةِ الرُّسوخ . .

ولمَّا كان الثَّباتُ علىٰ نورِ القُرآنِ هو نعيم الدُّنيا ويقود إلىٰ نعيمِ الآخرة، فكان هذا الكتاب خُطوة غير تقليديَّة للغوصِ في هذا النُّور واستجلاب الثَّبات منه . .

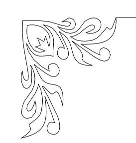
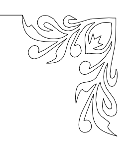
نبدأُ معًا صفحة صفحة من كتابِ ربِّنا، نأخذُ من الصَّفحةِ آيات ونحكي من خلالها موقفًا ربَّما يكونُ أحدُنا أحد أبطاله، ثُمَّ نقرأُ الصَّفحةَ كاملة كي نُزيِّنَ صحيفتَنَا بالحسنات، وبعدها نتناولُ

كيف نستجلب الثَّبات من الآيات التي قرأناها ثُم نستأنسُ بأقوالِ الرَّاسخين الذين عاشوا مع نورِ القرآن، ونهايةً ننهلُ من معينِ معاني القرآن ونلتمس فيها ومضات تُنير الطَّريق .. طريق الرُّسوخ.

وهكذا طوال الطريق .. نُحيطُ بكُلِّ صفحةِ قرآن وندورُ حولَهَا بكُلِّ سبيلٍ كي ننعمَ بالخروجِ من تيهِ الحياةِ وفتنِهَا إلىٰ نورِ طريقِ الرُّسوخ ..

وقبل أن نبدأَ الطَّريقَ معًا، أرجو من كُلِّ مُبتغٍ للثَّبات أن يدعوَ لي وله بتمامِ نعمةِ البصرِ والبصيرةِ في الدُّنيا، وبالفوزِ بالفردوسِ في الآخرة، وما كان من توفيقٍ في هذا الكتاب فمن الله وحده، وما كان من سهوٍ أو تقصيرٍ فمن العبدِ الفقير إلىٰ ربِّه .. والحمد لله رب العالمين.

✍ **أحمد الغانم**

لقاءٌ خالد!

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ١-٧]

- الحمدُ للهِ علىٰ كُلِّ حال، عظَّم اللهُ أجرَكُم، البقاءُ لله.

تردَّدَت الجملةُ الأخيرةُ مئات المرَّات في بيت مُحمَّد سالم الموظَّف بشركة الكهرباء، كان يستقبلُ العزاءَ في أولاده الثَّلاثة، حادثٌ مُفجعٌ لثلاثةِ أطفالٍ في عُمْرِ الزُّهور، كالعادة يذهبون معًا كُلَّ يومٍ إلىٰ المدرسة، أيديهم مُتشابكة بتعهُّدٍ ضِمْنِيٍ للوالدين ألَّا يُفارقوا بعضَهم البعض، ابتسامتهم لا تُفارِقُهُم في طريقِهم إلىٰ بيتِهِم بعدَ يومٍ دراسيٍ طويل، يُهرولون في سعادة لمُفارقة مكان العلم والمُذاكرة وزملاء الدِّراسة!

وكان اليومُ الذي صُعقَ فيه محمد سالم . .

خَرَجَ الأطفالُ الثَّلاثةُ من المدرسة، وإذ بسيَّارة تتَّجه نحوهم وكأنَّها تتعمَّد صرعهم، وانتقلُوا بعدها إلىٰ جوار خالقهم!

- شكر الله سعيكم.

قالها بصوتٍ مُتهالك، وودَّع آخر الحاضرين ثُمَّ أغلقَ الباب

وسار إلىٰ غُرفته كي يرتاح قليلًا. وفي طريقه إليها وجد غرفةَ الأولادِ مفتوحة، كانت اللُّعبُ متناثرةً علىٰ الأرض كأنَّها تنتظرُهم، كُلُّ شيءٍ علىٰ حالِه منذُ الصباح حتَّىٰ أنَّه يُحسُّ الآن بأرواحِهم فيها؛ توجَّه إلىٰ إحدىٰ اللُّعبِ والتقطَها، تساءلَ كيف يُمكنُ أن يخلوَ منهم المكانُ بهذه السرعة، كيف يُمكنُ لحالٍ أن يتبدَّلَ كُلَّ هذا التَّبدُّلِ فجأة، وكيف سيُقنعُ نفسَه أنَّه لن يرىٰ أولادَه بعدَ اليوم، لن يُقبِّلَ وجناتِهم، لن يحملَ سلمان علىٰ كتفيه، ولن يبحث عن إجاباتٍ لأسئلةِ خالد الوجوديَّة أو يُساعدَ عُمَرًا في حلِّ واجبِ الحسابِ الذي لا يُطيقُه.

وانهارت دموعُه من جديد!

. . . .

- مرحبًا بعودتك يا منىٰ، كان البيتُ مُظلمًا في غيابك!

استقبل محمدٌ زوجتَه (مُنىٰ) بابتسامةٍ جاهدَ كثيرًا لكي يرسمها علىٰ شفتيه، ودَخلَت الأخيرةُ بيتَهَا في تردُّد وعيناها لا تجسران علىٰ الدَّوران في تفاصيل المكان!

عادت مُنىٰ بعد غيابِ أسبوع، عادَت بعد تلقِّيها خبر موت أبنائها الثلاثة، بجسدٍ مُنهَكٍ، روحٍ مُعتَلَّة، وعينَين شاردتين يغوصُ الحُزْنُ فيهما وتلتمعان بدموعٍ تُجاهد كَيْ تقفزَ من مكانها، ولكن صاحبتها تكتمها وكأنَّها تُريدها أنْ تَنْزِلَ علىٰ قلبها لا خارج عينيها لعلَّها تغسل الأحزان.

- اذهبي إلىٰ غُرفتك وارتاحي قليلًا يا مُنىٰ، أنتِ تحتاجين إلىٰ كثيرٍ من النوم.

قالها وهو يربتُ علىٰ كتفِها بحنان.

نَظَرَت إليه وأومَأَتْ برأسها مُوافقة؛ فأمسك بيديها وأخذها إلىٰ غُرفتها، وما إن رأت سريرها حتَّىٰ ألقت جسَدَها عليه، وراحت في سُباتٍ عميق.

. . . .

كُلَّ يَوْمٍ نطلبُ من الله ﷻ سبع عشرة مرة أن يهدينا صراط الذين أنعم عليهم، صراط الأنبياء والصالحين، صراط الصَّحابة الكرام، ألَا نتأمَّل في هذه النِّعمة؟ هل يأمرنا أَنْ نسألَهُ الهداية سبع عشرة مرة يوميًا ولا يُثبِّتُنَا؟

حاشاه -سُبحانه وتَعَالىٰ-، وكُلَّ يومٍ نستعيذُ سبعَ عشرةَ مرة من طريقِ الَّذين عَلِمُوا الحقَّ ولم يتَّبِعوه، ومِنْ مصيرِ الَّذين ضلُّوا سبيلَ الحقِّ لتقصيرهم في طلبه؛ فهل يُضلُّنَا ولا يستجيب لنا؟ حاشاه ﷻ، فاللهمَّ أَرِنَا الحقَّ حقًا وارزقنا اتِّباعه، وأرِنَا الباطلَ باطلًا وارزقنا اجتنابه!

أنهىٰ الشَّيخُ كلمتَه بعدَ صلاةِ العصر، سلَّم عليه محمَّد وأوصاه بالدُّعاء له، كان محمدٌ حريصًا علىٰ الصَّلوات الخمس في المسجد ومجالس العلم، أراد في صِغَرِهِ أن يسلك سبيل الدُّعاة

وانتسب سنتين إلىٰ معهدٍ إسلامي، ولكنَّه توقَّف عن الدِّراسة النِّظامية، واكتفىٰ بعد ذلك بالتَّحصيل الذاتي.

توجَّه إلىٰ منزله ليجدَ مُنىٰ قد أعدَّت طعامَ الغداء، جلس أمامها كي يأكلا، لم ينبسْ أحدُهما ببنتِ شفة، لاحظَ أنَّها لا تأكل، يدُها تعبثُ بالملعقةِ وتُحرِّكُ بها الأكلَ في الطبقِ، ولكن لم ترفعها إلىٰ فمِها إلا مرةً أو مرتين علىٰ الأكثر.

- ألن تأكلي يا منىٰ؟ كلُّ يومٍ تضعين الطَّعام ولا تأكلين إلَّا ملعقة كي ترضيني، ألن تأكلي كبقيةً البشر؟

سألها بحُزن؛ فنظرت إليه بشرود، وقالت:

- وما فائدةُ الطَّعام؟ ما فائدةُ الحرص علىٰ الحياة؟ دعنا ننتهي منها.

اتَّسعَت عيناه وتأمَّلها في قلقٍ بالغ!

- الحياة نعمةٌ يا منىٰ، استعيذي بالله من الشَّيطان الرجيم.

نَظَرَت أمامَهَا بعينين واجمتين، وكأنَّها تتذكَّر شيئا، قالت:

- كيف تكونُ نعمة، وقد حدثَ فيها ما حدث؟

اقترب منها وأمسك كتفيها وهزَّهما بقوة، وهو يقول:

- ما حدثَ قضاء الله وقدره، والحياة نعمةٌ يا مُني، وجودُنا في ذاته نعمة، فالله خلقنا وكرَّمنا ومآلنا الخلود في الجنة -بإذن الله-، الحياةُ نعمةٌ مليئة بالنِّعم التي لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ، وأوَّلُها نعمة الإسلام، اللهُ خلقنا كي ننعمَ بحياتنا ونسعدَ بعبوديته ثُمَّ نخلد في نعيم الجنَّة .. خلودٌ بلا موت.

نظرَت إليه في شرود، وقالت:

- ولماذا أُخذ منَّا من نُحبُّهم؟

تأمَّل عينيها ونظرَ فيهما بتركيزٍ شديد، قال:

- الحياةُ ينبغي أن تكونَ لله يا منىٰ، ألَا تعلمين معنىٰ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون؟

يعني: كُلُّنا لله، حياتُنا وما نَملكُهُ من مالٍ وولدٍ وجاهٍ لله، واللهُ يختبرنا فيما نملك، فهل حفظنا الأمانة ولم نُعلِّق قلوبَنَا بها دونَه؟ أم شغلتنا عن عبوديتنا وتَعَلَّقنا بها وحَالَت بين قُلُوبِنَا وبين الآخرة؟

كُلُّ ما نملك أمانة يا منىٰ، وقد اتَّقينا اللهَ في وديعته، وقدَّر اللهُ استرِدَادَهَا.

قالت في صوتٍ متهدج:

- ولكني لا أستطيع أن أصبر.

- ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ **يا مُنىٰ، نحنُ نقولُها في اليوم سبع عشرة مرة،** لا حول ولا قوَّة لنا إلَّا بالله، نحنُ بنفوسنا الضَّعيفة لا نستطيع أن نصبر، ولكن بالتَّضرع في الدُّعاء والخضوع والاستسلام وطلب العون؛ يرزقنا اللهُ الصبرَ وتتنزَّل السَّكينة علىٰ القلب!

(من يتصبَّر يُصبرْه الله) **[رواه البخاري ومُسلم عن أبي سعيد الخُدريّ]**، (والصَّبر يأتي من اللهِ علىٰ قدر المُصيبة) **[رواه أبو هريرة وصحَّحه الألباني]**، اسجُدِي وتضرَّعي إلىٰ الله واطلبي منه أن يُنزِّلَ

علىٰ قلبك الصَّبر والسَّكينة؛ سَلِي ربَّكِ العونَ وردِّدي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بقلبكِ؛ وسترين العَجَب!

التمَعَت الدُّموعُ في عينيها، قالت:

- ولكنِّي أشتاقُ إليهم.

بَدَىٰ عليه التَّأثرُ وأمسك يَدَها بحنان، قال:

- سنخلدُ -بفضلِ الله- معهم في الجنَّة، **هذه رحلةٌ قصيرة، ننعمُ بنعمِ الله ونحمده ونشكره بقلوبِنَا وجوارحنا، نستعين به علىٰ مصاعبِ الحياة**، ولم يتبق من العمر أكثر ممَّا فات يا مُنىٰ، لقد تخطَّيتُ الخمسين، فهل سأعيش مثلهم؟

ابتسم في وجهها؛ فبدأت ملامحُها تهدأ، وزَفرَت زفرةً طويلة، قالت:

- الحمدُ لله.

- الحمدُ لله علىٰ كُلِّ حال.

قالها وهو يربتُ علىٰ ظهرِها بحنان.

. . . .

- أشكرك يا محمَّد علىٰ دعمِكَ النَّفسي لي هذه الفترة العصيبة.

قالتها وهي تبتسمُ له في الطريقِ إلىٰ بلدِه بسيارتِهما..

ابتسمَ في وجهها بحنان:

- أنتِ من تدعمينني بابتسامتك ووجُودك في حياتي يا منىٰ، الحمدُ لله.

نَظَرَت إلىٰ الطَّريق أمامها وكأنَّها تتذكَّر شيئا، قالت:

- هل سنلتقي بهم في الجنَّة حقًا يا محمد؟

التفتَ إليها مُبتسمًا وتأمَّلها في حنان، قال:

- إن شاء الله يا مُنىٰ، فضلُ الله عظيم، سنلتقي بهم في الجنَّة -بإذن الله-.

واختلطَ صوتُ الكلمةِ الأخيرةِ بصوتِ ارتطام سيَّارته بسيَّارةٍ أخرىٰ..

وذهب محمَّد سالم ومُنىٰ إلىٰ لقاء أبنائهم -بإذن الله-.

. . . .

هل قرأت القصَّة السَّابقة يا من تبتغي الرسوخ؟

تأمَّلْ أحداثها ثمَّ سَلْ نفسك:

هل يعيش من يبتغي الرسوخ ولا يحرص علىٰ حصد الحسنات؟

السَّطر في كتابِ الله فيه أربعون حرفًا، والصَّفحة فيها خمسةَ عشرَ سطرًا، والحرف بعشر حسنات، واللهُ يُضاعفُ لِمَنْ يشاء؛ فَهَلْ تَعْجَزُ عَن الفَوْزِ بستمائةِ حسنة تأخذ دقيقةً من وقتِك؟

هاك صفحتُك أيُّها الراسخ -بإذن الله-[(١)]

الحرف بحسنة والحسنةُ بعشر أمثالها، والله يُضاعف لمن يشاء![(٢)]



(١) هل نعجز عن توفير ثلاث دقائق يوميًا قبل أن نأكل؟ صفحة القرآن تأخذ دقيقتين وصفحة من كتاب نافع تأخذ دقيقة، فهل نعجز عن الحفاظ علىٰ ذلك الغذاء الرُّوحي يوميًا

(٢) الأرقامُ المذكورةُ تقريبيّة، واللهُ يُضاعفُ لمَن يشاء.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفَاتِحَة: ١-٧]

وبعد نعيم تحصيل الحسنات، وتمرير الآيات علىٰ القلب، هيَّا بنا نسلك طريق الرسوخ.

راسخٌ .. يحمدُ دائمًا ويستعين!

قلتُ مرةً لأحدهم: ربُّنا ﷻ قال: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾، فردَّ قائلًا بسبق لسان (مُتسرعًا دون تفكير): فين دا؟

صَدَمني الردُّ، ولكنِّي تداركتُ نفسي بسرعة وقلتُ لها: مالكِ تتعجبين؟

أغلبنا -وربَّما أكون منهم- لا يزال يُجاهد كي يستحضرَ نعمة الوجود ..

أكثرنا لا يُدرك أنَّ الوجود في ذاته نعمة!

قلتُ له: يومَ القيامة، لو غُمِستَ غمسةً واحدةً في الجنَّة؛ هل ستتذكَّر بؤسًا مرَّ بك في الدُّنيا؟

ردَّ بعد صمتٍ طويل: لا.

قلتُ: إذن كُلُّ ما يمرُّ بنا من بلايا ومحن لا يُساوي شيئًا أمام غمسة واحدة في الجنَّة. .نحنُ فقط لم نُدرك نعمةَ الوجود وكيف نحمدُ اللهَ عليها، لم نُدركْ نعمةَ الفطرة السَّليمة ونشكرُ اللهَ عليها . . **لو تأمَّلت في كمال الله تعالىٰ وعظمته وكرمه وحلمه وصبره، ثُمَّ تأمَّلت في منَّتهِ عليك بالوجود، ثُمَّ تفكَّرتَ في نعمة الإسلام وفضل الله عليك بتلك النِّعمة العظيمة من غير سؤال، ما سألتَني أين هذا التكريم!**

ومع هاتين النِّعمتين العظيمتين (الوجود والإسلام)، يُكلِّفك ربُّك بتكاليف -وتَذَكَّر ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾، ويُرشدك إلىٰ سبيلِ القيامِ بِهَا ويُعينك عليها!

لو فرَّطت؛ يلطُف بك، ولو قصَّرت؛ يغفِر لك، ولو سقطتَ يُقيمُك ويُوفقك إلىٰ التَّوبة، وفي كُلِّ نَفَسٍ مِن أنفاسِك فُرصة لك، ثُمَّ بعد توفيقِهِ وإعانته يتفضَّل عليك بحُسن الخاتمة، ويُخلِّدك في جنَّة لا يُدرِكُ عقلُك ما فيها، ولا يَقْوَي قَلْبُكَ في الدُّنيا علىٰ الإحاطةِ بنعيمها؛ فهل نُدركُ نعمةَ الوجود؟

هل أدركنا نعمة الإسلام؟

ثمَّة عبارة شهيرة نُردِّدُها: الحمدُ لله علىٰ نعمة الإسلام، وكفىٰ بها نعمة.

نَعَم؛ الإسلامُ نعمةٌ كافية لأن نعيش حامدين لربنا حتَّى نموت!

منحةٌ ربَّانية لا نُقدِّرها حقَّ قدرها ولا يقوم أغلبنا بحقِّها، وهو مع الدُّعاء والاستعانة سهلٌ يسير.

تأمَّل في تكرارك يوميًا سورة الفاتحة سبع عشرة مرة ثم اقرأ بتأنٍ هذا الحديث العظيم..

قال رسول الله ﷺ: «**مَن صَلَّىٰ صَلاةً لَمْ يَقْرَأْ فيها بأُمِّ القُرْآنِ فَهي خِداجٌ ثَلاثًا غَيْرُ تَمام. فقِيلَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: إنَّا نَكُونُ وراءَ الإمامِ؟ فقالَ: اقْرَأْ بها في نَفْسِكَ؛ فإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ** ﷺ **يقولُ: قالَ اللَّهُ تَعالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، **قالَ اللَّهُ تَعالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وإذا قالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **قالَ اللَّهُ تَعالَىٰ: أثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وإذا قالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، **قالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وقالَ مَرَّةً فَوَّضَ إلَيَّ عَبْدِي، فإذا قالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **قالَ: هذا بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **قالَ: هذا لِعَبْدِي ولِعَبْدِي ما سَأَلَ**». [رواه مسلم]

يا الله؛ يا له من لفظ: **(قَسَمْتُ)!**

اللهُ العظيمُ الكريمُ الكاملُ القويُّ مالك السَّموات والأرض، الَّذي يعلمُ نيَّات المليارات وما في صُدُورهم في وقتٍ واحد، ويرزقُهُم في وقتٍ واحد؛ يقول: قسمتُ الصَّلاة بيني وبين عبدي نصفين!

وتدبَّر فَضْلَهُ العظيم في «**فإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ **قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل**».

ألست ترىٰ معي أنَّ قول الله ﷻ: «**هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل**»، **يكفي للهرولةِ إلىٰ لقائِهِ والاستمتاع بعُبُوديته، والإقبال علىٰ طاعته؟**

تأمَّلها مرةً أخرىٰ . .

فإذا قالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ **قالَ: هذا بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي، ولِعَبْدِي ما سَأَل.**

وإذا أدركتَ نعمة الوجود؛ فستشتاق إلىٰ الحياة وتُحبها فقط لأنَّكَ تعبد الله، **ولأنَّه خلقك كي تُكرَم وتُعمِّر، لا لتُهان وتُعذَّب!**

تدبَّر ذكرَ العودة إلىٰ الوجود، والاستيقاظ من النوم:

(الحمدُ لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور).

إنَّ استحضارَنَا لنعمةِ الحياة بعد موتةِ النَّوم وذكرنا اسم الله، لهو اعتراف وتسليم للربِّ الخالق الرَّازق المُحيي المُميت المُدبِّر لجميع أمورنا . . اعترافٌ بنعمة إعادة الحياة (الوجود) ثم تذكُّر النشور (البعث).

ذكرٌ يَصِيْحُ بحمدِ اللهِ علىٰ نعمةِ الحياة ثم يُذكِّر النَّفسَ بالبعثِ في نفس الجُملة، وكأنَّه يُرشدنا إلىٰ التَّقوىٰ في حياتنا عامة، وفي يومنا الذي أحيانا الله فيه حتَّىٰ نبلغ الآخرة، وقد كُتبنا من المتقين!

ذكرٌ يَعْقُبُه حياةٌ وعبادةٌ وعمل، وسبع عشرة مرة قراءة لسورة الفاتحة، نحمدُ اللهَ ونُمجِّدُه ونَستَعِينُه ونَسْتَعِيذُ به!

في سنن الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: **فإذا استيقظ فليقل الحمد الله الذي عافاني في جسدي وردَّ عليّ روحي وأذن لي بذكره.** [حسَّنه الألباني]

تأمَّل في الحمدِ علىٰ العافيَّة في الجسد، وردِّ الروح، والإذن بالذِّكر!

📖 وما أجمل أن يأذنَ لنَا بذكره!

في طريق الرُّسوخ نحمدُ اللهَ دائمًا ونُقدِّرُ نعمةَ الوجود، نرضىٰ بقضائه وقدره ونستعينُ بِهِ علىٰ مصاعبِ الحياة، وهاك يا مُبتغي الرُّسوخ خُطُوات عمليَّة تُعيننا علىٰ حفظِ الحمد وإدراك الاستعانة.

١- الدُّعاء والتَّضرع سبيلان لاستجلاب أي رزق، فلنلزمهما ولنصبر ولا نستعجل الإجابة .. اللهم أعنَّا علىٰ ذكرِك وشُكرك وحُسن عبادتك.

٢- تَذَكَّر دائمًا نعمة الإسلام -وطبعُ الإنسان النِّسيان- وعلِّق ورقة علىٰ حائطك (يُمكِنُنَا تسميتها ورقة التَّذكرة أو أي اسم آخر)، واكتب فيها نعمة الإسلام ونعمة الصِّحة وكيف نشكرهما.

٣- تذكَّر مرضَك وضَعفَك، واعلم أنَّك لا تُحرِّكُ ساكنًا إلَّا بأمر الله، اجلسْ مع نفسك جلسة لتَذَكُّرِ الضَّعف والتَّبرؤ من

الحولِ والقوة والمُحاسبة (كُلُّنا ينبغي أن يُحاسبَ نفسَهُ، ولعلَّ يوم الجمعة مناسب لأغلبنا، ولنسمِّها جلسة مُحاسبة النفس).

أسبوعيًا ومع جلسة المُحاسبة، انظرْ إلىٰ أطرافك، وسَلْ نفسَكَ هذه الأسئلة:

مَن رَزقَنِي هذه الأطراف؟

هل أستطيع أن أتحكَّم فيها دون الاستعانة به؟

هل يَصْعُبُ شيءٌ إذا أراده الله وقدَّره وأعان عليه؟ وهل يسهلُ شيءٌ إذا لم يُقدِّره الله ويُعِن عليه؟

ثُمَّ بعدها حاسبْ نفسَكَ علىٰ الحمدِ والاستعانة؛ هل تحمدُ دائمًا وتستعين وتتبرَّأ من حَوْلِكَ وقوَّتِك؟

ثُمَّ اشكرْ نعمةَ الوُجُود بالصَّلاة والذِّكر والتَّخطيط للأسبوع الذي يليه، ومعَ يومِ المُحاسبة الأسبوعي تذكَّرْ نعمة المآل (الجنَّة بإذن الله) ونعيم الخلود فيها.

وهكذا نَسيرُ في طريق الرُّسوخ حامدين شاكرين مُستعينين بربِّ العالمين، آخذين بالأسباب وقلوبنا معلَّقة بالعظيم .. نطمعُ في تفضُّلِه علينا بنعمة الرُّسوخ حتَّىٰ نلقاه.

فاللهم ارزقنا شكرَ نعمة الوجود ونعمة الإسلام وجميع نعمك، ومتعنا بأمِّ الكتاب [سورة الفاتحة] وارزقنا أجرها وخيرها يا كريم.

من أقوال الراسخين

«الحمدُ لله كلمة كل شاكر؛ فآدم عليه السلام قالها حين عطس، والله قال لنوح عليه السلام: قلها بعد النجاة، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا﴾، وإبراهيم عليه السلام قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾».

ابن عباس

«تأمَّلت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون علىٰ مرضاته، ثُمَّ رأيته في الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾».

ابن تيمية

«أفضل الدُّعاء علىٰ الإطلاق وأنفعه، الهداية إلىٰ صراطه المستقيم المُتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر الله واجتناب ما نهىٰ عنه، والاستقامة عليه إلىٰ الممات، مع تضمنها: تزكية النُّفوس، وإصلاح القلوب».

ابن القيم

وبعد التَّأمل فِي أقوالِ الرَّاسخين، هيَّا بِنَا ننهلْ من معين معاني القرآن، ونلتمس ومضات تُنير الطَّريق .. طريق الرُّسوخ

[سورة الفاتحة]

بسم الله .. خيرُ ما يُقال قبل أي شيء، وخيرُ ما يُفتتح به كل شيء.

بسم الله أقرأ .. بسم الله أستيقظ .. بسم الله أبدأ كلَّ شيء، وبسم الله نبدأ رحلتنا مع كلام الله العظيم

الحمدُ لله .. الحمدُ لله علىٰ أنَّه الله .. الحمدُ لله في كُلِّ وقت وفي كُلِّ مكان، والحمدُ لله أنْ جعَلَنَا نقول: الحمد لله.

يقولُ صاحبُ أضواء البيان: لم يَذكرْ لحمدهِ هُنا ظرفًا مكانيًا ولا زمانيًا، وذكَر في (سورة الروم) أنَّ من ظُرُوفِه المكانيَّة: السَّماوات والأرض في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[1].

والألف واللَّام في (الحمد) لاستغراق جميع المحامد، وهو ثناء أثنىٰ به تعالىٰ علىٰ نفسه، وفي ضمنه أمَرَ عباده أن يثنوا عليه به!

ربُّ العالمين .. الربُّ: الذي يربِّي عبادَهُ ويُدبِّر أمورَهم.

فهل يقلق من وكل أمرَه إلىٰ تدبير ربِّ العالمين؟

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي: (عَمَلِي في التَّفسير: الاطلاع علىٰ تفسير الآيات من التَّفاسير المُعْتَمَدة، كَتَفْسِير الطَّبَري والقُرطُبِي وابن كثير وبعض التَّفَاسير المُعاصِرَّة، كتفسير السَّعدي والمُختصر في التَّفسير وأيسر التفاسير للجزائري وأضواء البيان للشنقيطي .. إلخ، من التَّفاسير المتقدِّمة والمُعاصرة والتي بلغ عددها أكثر من ثلاثين مرجعًا، ثُمَّ صياغتها بتصرف للتَّسهيل)

فائدة: قال بعضُ العلماء: «اشتقاق العَالَم من العَلَامة؛ لأنَّ وجود العَالَم علامة لا شكَّ فيها علىٰ وجود خالقه، مُتَّصفًا بصفاتِ الكمالِ والجلال». **[أضواء البيان للشنقيطي]**

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ .. اختلف العلماء في التَّفريق بينهما، وتأمَّل في قول (المبرِّد): «هو إنعامٌ بعد إنعام وتَفَضُّل بعدَ تَفَضُّل، الرَّحمن واسع الرحمة؛ فرحمته وَسِعَت كُلَّ شيء..

ويرجوها مَنْ يَسِيرُ علىٰ طريقِ الهُدىٰ، ويُجاهدُ نَفْسَهُ كَيْ ينجوَ مِنْ فتنِ هذه الحياة.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ .. قال الملكُ في سورة الانفطار ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾، ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ ..

يومُ الجزاء الذي نرجو من الله أن يرحَمَنَا فيه برحمته وينجِّينا من هَوْلِه!

نُردِّد يوميًا في صلواتنا الخمس قبل ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وربُّنا مالك كُلِّ شيء ومدبِّر أمور العباد؛ فلا يقلقُ العبدُ من ضيقِ رزقٍ أو تأخُّرِهِ، ولا يضَّطرب عبدٌ في رحلةِ الحياة، فهو عبدُ الرَّحمن الرَّحيم، ولن يُصيبَه إلا ما كُتب له!

وبالصَّبر يفوز بالجنَّة .. يومَ الدِّين!

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، ويا له من شرف .. وإيَّاك نستعين، ويا لها

من حالةٍ قلبيةٍ تجعل الإنسان يعيش مُطمئنًا بكلمتين (الله المستعان).

وَقَد جاءت ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ بعد إيَّاك نعبد في إشارة إلىٰ أنَّه لا ينبغي أن يُتوكَّل إلَّا علىٰ من يستحق العبادة؛ **لأنَّ غيرَه ليس بيدِهِ الأمر**، وقد جاء هذا المعنىٰ كثيرًا في القرآن، ومنه ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾. [تفسير السعدي]

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ . . .

ولن نستقيمَ إلَّا بهدايته ولن نُوفَّق إلَّا بإعانته، وهَلْ يَظُنُّ عبدٌ أن يردَّ اللهُ سؤالَه الصَّادق، والذي يُردِّدُه يوميًا عشرات المرَّات؟ لا والله، وبفضلِ اللهِ الهادي، فحاشا لله ألَّا يستجيب لعبدٍ يُلحُّ عليه كُلَّ يوم قائلًا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فائدة: اهدنا إلىٰ الصراط واهدنا في الصراط.

فالهدايةُ إلىٰ الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التَّفاصيل الدِّينية علمًا وعملا. فهذا الدُّعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد؛ ولهذا وجب علىٰ الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلىٰ ذلك. [أضواء البيان للشنقيطي]

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ .. أُناسٌ اختارَهُم اللهُ وتفضَّل عليهم من الأنبياء والصدِّيقين ..

فاللهمَّ ألحِقْنَا بمَن أنعمتَ عليهم بهُداك . .

واهدنا ذلك الصِّراط القويم . .

وأعنَّا علىٰ استقامة أنفسنا . .

وأقِمْنَا علىٰ دربِ الصَّالحين . .

وعافنا من طريقِ المغضوب عليهم: من عرفوا الحق ولم يعملوا به . .

وعافِنا من طريق الضَّالين: من جهلوا وضلُّوا وأضلُّوا . .

اللهمَّ اهدنا، واهد بنا، وارزقنا بركةَ فاتحة الكتاب يا كريم.

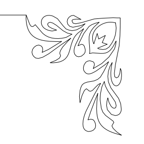
• نِعَمُ الله لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ ولكنَّنا ننسىٰ، فلنحمد اللهَ ولنتذكَّر الكثيرَ الموجود، ولا نلتفتْ إلىٰ القليل المفقود!

• كثرةُ الحمدِ تَغْرِسُ الرِّضَا في القلب.

• الاستعانةُ بالله جنَّة الحياة، ونعيم عبوديَّة القلب. الاستعانةُ باللهِ سعادةُ الدُّنيا وفلاحُ الآخرة. والاستعانة حالة يستحضر المرء فيها عجزه التام؛ أنا عاجزٌ يا رب، وأنت القوي .. أنا لا أستطيع أن أدبِّرَ أيَّ شيء يا رب، وأنت تدبِّر كُلَّ أموري، ويقومُ مُعتمدًا علىٰ ربِّه؛ فينعمُ بالعونِ والتَّوفيق.

• ربُّك ربُّ العَالَمِين، المُدبِّر لجميعِ أمُورِك، الخالقُ الرَّزاق الكريم الوهَّاب، فلا خوفٌ ولا قَلق، وأنتَ مَعَ ربِّ العَالَمِين!






ريبٌ مؤلم

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ١-٥]

لا أدْري لماذا يَنْتَابَنِي هذا الهاجسُ كُلَّ يوم، أُدرِكُ تمامًا بشاعة ما أُفكِّر فيه، ولكنَّه كالوسواس القهري لا يُفَارِقُني أغلب الوقت!

أغلبهم يَخافُون من الطَّبيب النَّفسي، ولكن ما أعيشه لابدَّ من حَسْمِهِ وبلوغ نهايته.

فَتَحَ عادلُ بابَ بيته في توتُّر ملحوظ وانتهت خواطرُه مع صرير البابِ، لم يُفارقه الهاجسُ الذي يُهاجمه مُنْذُ ثلاثة أشهر وأكثر، دخل المنزلَ بجسده، وذهنه في وادٍ آخر .. قطعت ابنتُه هدىٰ حبلَ أفكاره، وهي تقفزُ عليه في شوقٍ هاتفةً باسمه: عادل .. عادل!

حَمَلَها بابتسامةٍ خافتة، ونَظَرَ إلىٰ أمِّها التي تقفُ خلفها بشرود وقال:

- يومٌ مليء بالعملِ الشَّاق، أُريدُ أنْ أنامَ قليلًا قبل الغداء.

نَظَرَت إليه باستسلام، إنها تلحظُ تغيُّرَه والحالَ الغريبةَ التي أصبحَ عليها منذ أشهر، وقالت:

- هذا ليس بجديد، أصبح نومُك بعد العمل وتناولُك طعامَ الغداء بمُفرَدِك عادة يوميَّة.

أنزلَ ابنَتَه بهُدُوء، واتَّجَهَ إلىٰ غُرْفتِهِ في صَمْتٍ مُقلق ثُمَّ غيرَّ ملابسَهُ في إهمالٍ واستلقىٰ علىٰ سريره مُستسلمًا لإرهاقِ اليوم الطويل.

. . . .

- عادل . . عادل.

استيقظَ عادلُ ببطء ناظرًا إلىٰ زوجتِهِ نظرةً فاترة . .

- ماذا يحدثُ يا عادل؟ أنتَ تتصرَّف بغرابة مُنذُ أسبوع، دائمًا تجلس بمُفردك . . لا تتناول معنا الغداء إلَّا يوم الجمعة، ماذا بك؟ أخبرني . .

لو كانت هُناك مُشكلة في العمل، يُمكننا أن نُنَاقشها معًا.

نَظَرَ إلىٰ الأرضِ واجمًا للحظة ثُمَّ رفع عينيه لينظر في عينيها، وسألها:

- ماذا تعرفين عن اختبار الـ dna؟

تعجَّبَت من سؤالِهِ المُفاجئ والغريب، وأجابته في دهشةٍ بعد ثوانٍ من الوُجُوم:

- اختبارٌ لإثبات النَّسب، ولكن ما علاقة هذا السؤال بتغيُّرِك هذه الأيام؟

لا تزِدْ حيرتي

- له علاقة بهُدىٰ.

- لا أفهم.

- أنتِ تفهمين.

- حقًا لا أفهم .. اتَّسعت عيناها في ذُهُول وقامت أمَامَه فزعة، وصاحت:

هل تعني ما فهمته الآن؟

أجابها في حِدَّة:

- نعم أعني ما فهمتِه، هل هُدىٰ ابنتي حقا؟

انهارت بجانبه فوق سريرها!

- يبدو أنَّكَ قد جُننت، حقًا أنت لا تعي ما تقول!

قالتها وغادرت الحجرة في ذُهُول، وتركته في شروده المُستمر.

. . . .

- أنت لا تعلم ماذا فعل سعد زغلول في مُواجهة الاحتلال البريطاني لمصر، لعلَّك لا تعلم أصلًا أنَّ الاحتلال البريطاني كان عام ١٨٨٢ ميلادية! راجعْ معلوماتك التَّاريخية ثُمَّ تعال لتُناقشني.

انصرف أدهم غاضبًا كعادته من سهرة الجمعة الأسبوعية!

دائمًا يختلف مع أحمد، ودائمًا يتركنا غاضبًا ولأتفه الأسباب.

كنَّا ثلاثة أصدقاء نسهرُ أسبوعيًا يوم الجمعة في مقهىٰ مُجاورة لبيتي، نتناقش قليلًا في أحداث الحياة ومتاعبها، ونختلفُ كثيرًا في تحليلاتنا، سواء للواقع أو للتَّاريخ الذي نعيشه.

التفتَ عادل إلىٰ أحمدَ قائلًا:

يبدو أنَّكما لن تتغيَّرا.

ابتسم في خُبث، وقال:

- دعك منه، أَسْتَمْتِعُ بخلافاته وغضبه وأفرحُ بعودته، فمع من أُمارس هوايتي في الاستفزاز؟

ضحك بعدها طويلًا ثُمَّ سأله:

- ماذا بك يا عادل؟ أشعر بتوترك خلال آخر لقاءين معنا

دائمًا تجلس في شرود، أنا وأدهم في وادٍ وأنت في وادٍ آخر.

نَظَرَ إليه عادل نظرةً واجمة، وأجابه:

- لا شيء، مُجرَّد إرهاق مِنْ كَثْرَةِ العمل.

- عادل، علىٰ مَنْ تَضْحَك، نحنُ عِشْرَة عشرين عامًا، أُقْسِمُ عليكَ أَنْ تُخْبِرَنِي ماذا بك.

نَظَرَ عادل إليه مُتوتِّرًا، سأله: وتُعاهدني ألَّا تخبر أحدًا؟

- أخبرني يا عادل، ما الخبر؟

- وتُعاهدني؟

- يا أخي أقسمُ ألَّا أخبر أحدًا، أقلقتني كثيرًا، أخبرني ماذا بك!

- مرضُ الشكِّ يا أحمد.

أَشُكُّ في أمرٍ حسَّاس، وأتردَّدُ كثيرًا في حكايته لأحد..

هَلْ هُدَىٰ ابنتي؟

اتَّسَعَتْ عينا أحمد في ذهول، وقال:

- مَاذَا تَقُولُ يا عادل؟

هل تَشَكُّ في مُنىٰ؟

اضطرب عادل لرد فعل صديقه، وردَّ في توتر:

لا أدري ما الذي حَدَثَ لي، فجأة هاجمني ذاك الهاجس، أنَّ هُدىٰ ليست ابنتي، وأنَّه لابد من عمل اختبار dna

تأمَّله أحمد لبرهة، وسأله؟

- عادل، هل تُؤمن بالجنَّة والنار؟

نَظَر إليه في تعجُّب ..

طبعًا يا أخي، أقولُ لَكَ هُدىٰ لَيْسَت ابنتي، وتقولُ لِي جنَّة ونار!

هَل كَفَرْت عندما شَكَكْتُ فِي نسبة هدىٰ إلي؟!

- عادل، اهدأ يا صديقي، أُريدُ فقط أن أَصِلَ بِكَ إلىٰ نُقطةِ اطمئنان كنُقطة اطمئنانك بأنَّ هناك جنَّة ونار، هُناك غيب ونَحْنُ نُوقن به، لماذا؟

لماذا نُوقن بأنَّ هُنَاكَ غيب؟

ولِمَاذَا نُوقنُ بأنَّ هُنَاكَ جنَّة ونار؟

نَظَرَ عادلُ إليه مُتعجبًا:

- أحمدُ، ماذا دَهَاك، هل سَتُحوِّل جلستنا إلىٰ خطبة جمعة؟

- عادل، ركِّز معي يا صديقي، يَقِينُنَا في الغيب لأنَّ فطرتَنَا دلَّتنا عليه، ولأنَّ الاختبار لابُدَّ فيه من ثواب وعقاب، ويقيننا في القرآن والرسول لتواتر نقل الحديث عنهما وعن إعجازهما، وأشياء أخرىٰ لا يتَّسعُ الوقتُ لذكرها..

نظرَ إليه عادل مُتعجبًا، ولكنَّه استرسل سائلًا:

- عادل، هل أنت ابن ابيك؟

- أحمد، هل جُننت؟

لَمْ أُجَن يا عادل، ولكنَّ الشكَّ لَهُ قرائن.

الشكُّ لَهُ محل، وَلَهُ أسباب..

نَحْنُ نُوقنُ في القرآن لإعجازه، ونوقنُ في وعدِ الله لكماله وجلاله، ونُوقنُ في أخبار النَّبي لصدقه ولصدق من نَقَل إلينا

سنَّته، ونُوقن في أنَّ أولادنا من صلبنا لمحبَّتِنَا الفطريَّة لهم ولثقتنا في زوجَاتِنَا، دعني أُجارِكَ في شكِّك وفي رغبتك في تحليل الـ dna

ولكن دعنا بعدها ننصح جميع الأقارب والأحباب أن يتيَّقنوا من نسبة أبنائهم إليهم.

هُناك بيوت بُنِيَت علىٰ الخُلُقِ والدِّين وَمِنْ ثمَّ الثِّقة يا عادل، هُنَاكَ فطرة جعلتك استمتعت بِأبوَّتِك لهُدَىٰ ستَّ سنوات، هُنَاك صُروحٌ لا ينبغي أبدًا أن نهدمها بالظُّنون!

نَظَرَ إليه عادلُ في وُجُوم ولكنَّه استرسلَ في حديثهِ، وأنهاه بقوة وحسم:

أنتَ تحتاجُ إلىٰ راحةٍ من العملِ وخطةِ إصلاح لِمَا أفسدتَهُ بكلامِكَ لمُنىٰ..

أَنْتَ تَحْتَاجُ لغرسِ اليقينِ في قَلبِكَ مرةً أُخْرَىٰ يا صديقي!



﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ١-٥]

راسخٌ يُوقنُ بِكِتابِ ربِّه

في قصَّتنا السابقة تعرَّض صاحبُنا لوساوس الشيطان واستسلمَ لها، ولم يَسْتَدْعِ اليقينَ القَّلبي في أخلاقِ زوجته، واليقينَ الفطري في حُبِّه لابنته!

اسْتَسْلَمَ لِهَاجِسِه الدَّاخلي، ومع أنَّه يسوغُ أخذه بالأسباب العملية (أي يقوم بعمل اختبار النسب)؛ كي يَسْتَعيدَ اليَقينَ ويَدْفع الوساوس، ولكن ما النَّتيجة؟

حَيَاةٌ مَجْرُوحة بشكٍ مُؤلمٍ من زوجٍ استسلمَ لوساوس الشيطان!

أمَّا في رِحْلَةِ الرُّسوخ فالمُؤمنُ يَتَعَاملُ مع ربٍ كاملٍ رحيمٍ يَعْلَمُ ضعفَ الإنسانِ، **ولذلك خَلَقَهُ مائلًا إليه مُفتقرًا إلىٰ معيَّته، ويسَّرَ له جميعَ أسبابِ الثَّبات!**

نَزَلَ القرآنُ علىٰ أفصح النَّاس وأعلمهم باللُّغة، ونزلَ علىٰ الصَّادق الأمين، وهم من شهدوا بذلك!

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، صَعَدَ النَّبي ﷺ علىٰ الصَّفا، فجعل يُنادي: يا بني فِهْرٍ، يا بني عَدِيٍّ، لبُطونِ قريش، حتَّىٰ اجتمعوا، فجعل الرَّجل إذا لم يستطع أن يَخْرُجَ أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: **أرأيْتَكم لو أخبرتُكم أن خيْلًا بالوادي تُريد أن تُغير عليكم، أَكُنْتُم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعم، ما جَرَّبْنَا عليك إلا صدقا**. [رواه البُخاري]

تحدَّاهم أن يأتوا بمثل آية، ولا يُوجد مانعٌ حسي أو معنوي يَمنَعُهُم من مُمَارسةِ التَّحدي، وتوافَرَت لديهم أسبابُ التَّحدي من علمٍ وفصاحةٍ، ولكن لم يستطيعوا أن يأتوا بآيةٍ واحدة، وواجَهَهُم الصَّادق الأمين بآياتٍ حاسمةٍ غارسة لليقين في أنَّ هذا القرآن من عند الله..

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

ودعاهم إلىٰ تدبُّره وقال الحكيم العليم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾.

والآياتُ والأحاديثُ كثيرة، تدعونا إلىٰ التَّأمل في وجوه الإعجاز القرآني، والتي لا نستطيع أن نُحيطَ بها..

«وليس إعجازُ القرآن من ناحية تقريره حقائق علمية ما كان للبشر علمٌ بها فقط، ولا من ناحية قَصصه عن أُممٍ بادت فقط، ولا من ناحية فصاحة ألفاظهِ وبلاغة أساليبهِ فقط، ولا من ناحية اتِّساق تشريعه واتِّفاق أحكامه ومبادئه فقط، **وإنَّما إعجازه من جميع هذه النَّواحي مُتعاونة ومُتساندة**، وكلَّما زاد التَّدبُّرُ في آياته، تجلَّت نواحٍ من نواحي إعجازه، وكُلَّما فكَّر المُنْصِفُ في أنَّ هذا القرآن المُشتمل علىٰ هذه الحقائق الكَّونية وهذا التَّاريخ الحق، وهذا التشريع المتَّسق الحكيم - نطَقَ به لسانٌ أُمِّي لم يقرأ ولم يكتب، نشأ في بيئة أُميَّة لا علمَ فيها ولا تعليم؛ زادَ إيمانًا بأنَّه من عند الله، وأنَّه فوق قدرة البشر».

📖 عبد الوهاب خلّاف[1]

في طَرِيقِ الرُّسوخ، ومع الصَّفحة الثَّانية من كتابِ الله، ينبغي أن نتأمَّلها، ونحنُ علىٰ

يقين في كتابِ ربِّنا ووعدِه ووعيدِه ..

ثقة في رحمته وإحاطته بعبيده ..

رغبة في تثبيتهِ ومددهِ، وتضرُّع له واستسلام لأقدارِه ..

(١) علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع للدكتور عبد الوهاب خلَّاف، بتصرف يسير

وبَعدَها، ينبغي أن نأخذَ بخُطُوات عمليَّة تُسعِدُنا في الدُّنيا وتكونُ سببًا في سعادة الآخرة . .

كي ينتفيَ أيُّ شكٍ في قلوبِنا، وتذهبَ أيُّ شبهةٍ، ونُحصِّل الرُّسوخَ القلبي تِجَاه القرآن والسُّنَّة والغيب؛ فنهتدي بالقرآنِ ونسعد بالسُّنة ونشتاق إلىٰ الغيب، يَحْسنُ بنا أن:

نحرص علىٰ صلاتِنا، وندعو اللهَ، ونتضرَّع إليه كي يرزقَنَا اليقينَ إلىٰ أن يأتينا اليقين (الموت)[1].

٢- نحرصَ علىٰ تعلُّم القرآن والسُّنة ونتدبَّر كتابَ اللهِ وآياته، ونجعلَ بيننا وبين الله وقاية، بالخُضُوع القلبي والطَّاعة واجتناب النواهي؛ فيُفتح لنا طريقُ الهُدىٰ بين آيات القرآن وننعمُ به، ويُصبح ربيعَ قُلُوبنا.

٣- نتأمَّل في آيات الله -وأجسادُنا أقربُ آياتِ اللهِ إلينا- (اجعل لك وقتًا ولو أسبوعيًا ترىٰ فيه الطَّبيعة ولو مصوَّرة علىٰ موقع يوتيوب، واستمتعْ بإعجازِ الله تعالىٰ في خلقه)، وإعجاز القُرآن والسُّنة؛ كي نعزِّز يقيننا.

قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

٤- نطَّلع علَىٰ سيرِ الأنبياء والصَّحابة كي نتعلَّم من بَذْلِهِم ويقينِهِم في وعدِ الله، واشتياقهم إلىٰ الجنَّة، ونتذكَّر قولَ سيِّدنا

(١) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ، وفسَّر العُلماء اليقين بالموت

حنظلة لرسول الله: يا رسول الله، نكون عندك تُذكِّرنا بالنَّار والجنَّة كأنَّا رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا[1] الأزواج والأولاد والضَّيعات نسينا كثيرا، فقال رسولُ الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لو تدومون علىٰ ما تكونون عندي وفي الذِّكر؛ لصافحتكم الملائكة علىٰ فُرُشِكم، وفي طرقكم (يعني: أنَّكم لو حصل استمرار علىٰ هذا المستوىٰ الرفيع من الإيمان والتَّذكر فإنَّ الملائكةَ تُصافحُكُم مباشرة، وأنتم علىٰ فُرُشِكُم، وأنتُم في طُرقَاتِكُم) ولكن يا حنظلة ساعةً وساعةً ثلاث مرات. [رواه مسلم]

فلنتأمَّل في أثرِ الاستماع إلىٰ حديثِ النَّبي، ولنُصاحب كلامه، وكلام صحابته في الكتب!

٥- نبتعدَ عن كُلِّ ما يُثير الشبهات ويُعكِّر اليقين، ونتجنَّبَ الجَدَل دُون علم، وإن كان ثمَّة جدل فبعلمٍ، وبنيَّة بيان الحق.

٦- نُصلِّي فنُخلص للرب، ونُزكِّي فنُحسن إلىٰ العبد، فنكون من المُفْلحين، وندخل في أصحاب الآية الكريمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

وبعد الدعاء والأخذ بالأسباب، يقينُنَا أن يُحيينا ربُّنا علىٰ اليقين، ويُميتُنا علىٰ اليقين!

(١) عافسنا أي: خالطنا ولاعبنا، والضَّيعات بمعنىٰ: المعايش من حرث ووظيفة وتجارة وغير ذلك

من أقوال الراسخين

«ومن منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين منزلة اليقين، وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضلَ العارفون وفيه تنافس المتنافسون وإليه شمَّر العاملون، وعمل القوم إنَّما كان عليه وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تَزَوَّج الصبر باليقين وُلِدَ بينهما حصول الإمامة في الدين.

قال الله تعالىٰ وبقوله يهتدي المهتدون: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

ابن القيم (مدارج السالكين)

«علىٰ قدر قربهم من التقوىٰ أدركوا من اليقين، وأصل التَّقوىٰ مُباينة النَّهي وهو مُباينة النَّفس، فعلىٰ قدر مُفارقتهم النفس: وصلوا إلىٰ اليقين».

ابن عطاء

«لو أنّ اليقين استقرّ في القلب كما ينبغي لطار فرحًا وحزنًا وشوقا إلىٰ الجنّة، أو خوفًا من النّار».

سفيان الثوري

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿الٓمٓ﴾.

لم يَجزِمْ أحدٌ بمعنىٰ الحروف المقطَّعة في بداية السور، ولا معنىٰ لها في نفسها، واختلفت فيها الأقوال، والأسلم فيها (كما ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ) السُّكوت عن التَّعرض لمعناها [من غير مُستند شرعي]، ولا يُوجد في القرآن ما لا حِكْمَة منه، ومن حِكَمِها، أنَّها إشارة إلىٰ التَّحدي بالقرآن الذي يتكوَّن من تلك الحروف التي يعلمُونَهَا، ويصوغون منها أفصح الأشعار وأجزل النثر!

فذلك القرآن، لا ريبَ فيهِ، ولا يستطيعُون أن يأتوا بمثلِ آيةٍ واحدة من آياته.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

ذلك الكتابُ لا شكَّ فيه، لا شكَّ في أنَّه الحق من عند الله، لا شكَّ فيما جاء به من قصص وأحكام وعبر، لا شكَّ في هداية من يتمسَّك به ويعمل بأوامرِهِ ونواهيه، وتلكَ هداية الله الخاصَّة بمن أقبلَ علىٰ القرآن . .

فيه إقامةُ الحُجَّة علىٰ الخلق، لا يرتاب فيه إلا الأعمىٰ . .

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ فالشَّمس لا يراها الأعمىٰ ولا ريبَ في ظُهُورِهَا للجميع!

فيه الهُدىٰ وراحةُ القلبِ وسعة الصَّدر، يُغيِّرُ ما في قلبك

دون أن تدري، يملأ حياتَكَ هُدىٰ وبَرَكة؛ فهل يُضحِّي العاقل بهُدىٰ القرآن وبركته، ولا يكون من المتَّقين حتَّىٰ ينتَفِعَ بِهُداه؟

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾.

وما صفتُهُم؟ يؤمنون بالغيب .. يُوقنون بحساب وعقاب، وجنَّة ونار .. يتِّبعون رسولًا لم يروه ويحبُّونه، يُقيمون الصَّلاة بقلوبِهِم قبل جوارحِهِم، وممَّا رزقَهُم الله يُنفقون، فالمالُ مالُ اللهِ، ويُعيدُه المُتَّقُون إليه مَعَ طَلَبِ الأجرِ علىٰ نيَّتِهِم الحَسَنة وفعلهم الطَّيب.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾.

يُؤمنون بالقُرآن والسُّنة، ويَعْمَلُون بِهِمَا ويُوقنون في جميعِ الكتبِ التي أُنزلت قبلَ خاتم الكُتُب (القرآن)، ويَظْهَرُ إيمانُهم في حياتِهِم وأخلاقِهِم وجوارحِهِم ..

يتعبَّدُون لربهم حتَّىٰ يلقوه في الآخرة، وذُكِرَت الآخرةُ لأنَّها الباعث علىٰ العملِ والاجتهاد، فَمَا نحنُ إلَّا في رحلةٍ قصيرةٍ ثُمَّ نَلْقَىٰ الكريمَ ونقف أمَامَهُ لنُحَاسَب عَلَىٰ ما قدَّمنا فِي رحلتِنَا القصيرة .. الدُّنيا!

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

أولئك علىٰ هُدىٰ من ربِّهِم .. فازُوا بشرفِ الحياة، الرَّشاد والنُّور والاستقامة ..

أن تعيشَ في هدايةِ اللهِ .. أنسٌ به، وخضوعٌ له .. واستقامة لأجله ..

أولئك هُمُ المُفْلِحُون .. فلاحٌ في الدُّنيا، وفوزٌ وخلودٌ في جنَّةِ الآخرة ..

ومضات تنير الطريق

- اليقينُ هدفٌ سامٍ؛ فلنسع إلىٰ رُسُوخِه في قُلُوبِنَا.
- الفلاحُ والنَّجاحُ في التَّقوىٰ، والعيشُ مع آياتِ القرآن علمًا وعملًا.
- الصَّلاةُ إخلاصٌ للربِّ، والزَّكاة إحسانٌ للعبدِ؛ فلنحرص عليهما.
- الإيمانُ بالغيبِ عُنوانُ التَّسليم، وكُلَّما زادَ إيمانُنَا بالغيبِ زادَتْ عِبَادَاتُنَا، واشْتَعَلَ شَوْقُنَا إلىٰ لقاءِ اللهِ والفوزِ بجنَّتِه.
- الإيمانُ بالغيبِ يملأُ القلبَ اطمئنانًا، وإنْ خافَ العبدُ مِنْ مَصِيرِه، فَخَوْفُهُ إيجابي يدفعُهُ إلىٰ القُربِ من ربِّه؛ فيأخُذُ بأسبابِ استجلابِ محبَّةِ الله، ويعيشُ حياةً طيبةً حتَّىٰ الموت ثُمَّ يَخْلُدُ بفضلِ ربِّهِ في جنَّاتِ النَّعيم.



نقابُ الإصلاح!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

اذهبي إلىٰ أمِّكِ واتركي لَهُ البيت، ماذا يُريد منكِ بعد كُلِّ ما فعلتِه معه؟

نَظَرَت ليلىٰ إلىٰ صدِيقَتِها سلمىٰ بعينين لامِعَتَيْن، وسلمىٰ تَجلسُ أمامَهَا في توترٍ ملحوظ، تنظرُ إلىٰ الأرضِ بعينين شاردتين، وتستمعُ إلىٰ ليلىٰ كالطَّالب الذي يستمع إلىٰ تقريعِ المُدرِّس عندما ينسىٰ واجبَهُ المنْزِلي!

استمرَّت ليلىٰ في سَيْلِ التَّوجيهات الثُعبانية التي تُلقيها في أذنها . .

- ذريَّة وأنجبتِ لَهُ، عملٌ وتعمَلين ليلَ نهار، بيتٌ وتهتمِّين بِهِ كاهتمامك بنظافتكِ الشَّخصية، ماذا يُريدُ مِنكِ بَعْدَ كُلِّ ذلك؟!

رَفَعَت سلمىٰ عينيها في ضعفٍ وحُزنٍ شديد، قامت بِبُطْء مُتَّجِهة إلىٰ مكتبها وأخذت حقيبتَهَا، وسَارَت بِبُطء تِجَاه بابِ المكتبِ قائلة:

- أراكِ بخيرٍ يا ليلىٰ، وأشكركِ علىٰ نصائحكِ المُخلصة!

نَظَرَت ليلىٰ إليها بابتسامةٍ خبيثة، قالت:

- لَمْ أفعلْ إلَّا ما يُمليه عليَّ ضميري يا حبيبتي، أريدُ لكِ

الخيرَ والسَّعادة . . أنتِ علىٰ يقينٍ من ذلك.

خرَجَتْ سلمىٰ من مكتبهما في هدوء، وتركَتْ ابتسامةَ ليلىٰ الخبيثة تُلوِّثُ صورةَ المكتب الهادئ!

. . . .

– صَبَرتَ عليها كثيرًا يا أحمد، ولابدَّ أن نُواجِهَهَا بعلاقتنا!

أنتَ تُريدُ الولدَ وأنا سأكونُ أمَّ ابنك الأول، سلمىٰ تراكَ في أي وقت، وتجدك عندما تُريدك، وأنا لا؟

لن يكونَ ذلك يا أحمد!

لَنْ تَنفَرِدَ بِكَ سَلْمَىٰ، وأمكثَ شهرين كَيْ أُقنعكَ بالزَّواج ثُمَّ أُقنعك بالإعلانِ عنه!

أخذت ليلي تُمطرُ أحمدَ بالتَّهديد واللَّوم، وهو يستمعُ إليهَا في شرُود . .

كانا يَجلسان في مَطْعَمٍ نِيلِيٍ هادئ، وعبارات ليلىٰ القويَّة يعلو صوتها وسْطَ المكان!

نَظَرَ إليها أحمدُ بعد صَمْتٍ طويل، وتفكَّرَ في كلامها . .

كان أحمدُ رجلًا وسيمًا، ملامحُهُ هادئة، تلمعُ عيناه بذكاءٍ واضح . . ليلىٰ صديقة قديمة لزوجته مُنذُ الطُّفولة، انفصلتا عن بعضِهمَا لسوء أخلاق ليلىٰ وعادَت الأخيرة إلىٰ حياتهما بعد أن زاملَت سلمىٰ في العمل، لطالما كانت تغار منها وتمدُّ عينيها إلىٰ

كُلِّ شيء تمتلكُه؛ لذلك قرَّرت أن تأخذ منها كُلَّ شيء، أو علىٰ الأقل أن تُشاركَها فيه، بدأَت بمُهَاتفتِه منذُ شَهرين، حَاوَلَت خلال تلك الفترة أنْ تُقنِعَهُ بالزَّواجِ منها، ولَعَبَت معه علىٰ وترِ إنجابِ الولد!

هو من الرِّيف، ولا يزال حبُّ إنجاب الذُّكور يطوفُ في قلبه مع عادات الرِّيفِ وتقاليدِه، ولكن سلمىٰ حبيبة عمره، ولَن يلتفتَ إلىٰ غيرِها حتَّىٰ الموت . . ذاك عهدٌ قَطَعه علىٰ نفسه!

قاطَعَت ليلىٰ حبلَ أفكاره. .

- هل سَتَظَلُّ صامتًا كثيرًا هكذا يا أحمد؟ هل تخافُ منها؟ هل تَخْشَىٰ علىٰ مشاعِرِهَا ولا تَخْشَىٰ علي؟ أُريدُ حسمَ هذا الأمر في أقرب وقت. .

قامت غاضبة بعد جُمْلَتِهَا الأخيرة، وتَابَعَها أحمدُ بنظراتِهِ مع ابتسامةٍ غريبة!

. . . .

- ليلىٰ . . ليلىٰ . . استيقظي يا ليلىٰ . . نفسي يا بنتي تجلسي معي، وتحكي لي وأحكي لكِ كأي أم وابنتها!

فَتَحَت ليلىٰ عينيهَا، صَاحَت في وجهِ أمِّها بغضبٍ شديد. .

- ماذا تُريدين مِنِّي يا أمي؟ قلتُ لكِ قبلَ ذلك مائة مرة، أعودُ من العملِ وأنَا في قمَّةِ التَّعب.

- يا بنتي أريدُ أن أتحدَّث معكِ، أنتِ ابنتي الوحيدة، وحالُكِ كُلُّه لا يُرضيني!

لم أوافق علىٰ التَّعرف إلىٰ أحمد إلَّا لإصرارِكِ الغريب، كان مُستقرًا في بيته وبين بناته، وأنتِ ما زلتِ فتاة، وقد يأتيكِ من يُريد الزوجةَ الأولىٰ!

فلِمَ تختارين رجلًا متزوجًا، ولَهُ أربع بنات؟

لِمَ تُفسدين عليه حياته؟

صوَّبت إليها ليلىٰ نظرةً حادة، قالت:

- أنا أعلمُ ما أفعل يا أمي، حياةُ أحمد قَبْلَ دُخُولي فيها كانت بائسة، **وما أفعله الآن إنقاذه مِنْ تَعَاستِه، ما أفعلهُ الآن إصلاحٌ لا إفساد، ما أفعله هو خيرٌ لي ولأحمد وللجميع!**

نَظَرَت أمُّهُا إليهَا في يأسٍ، وقالت في حُزن:

- إصلاح؟! وما تفعلينه خيرٌ له وللجميع؟ هل هذا إصلاح؟

لا أدري ماذا أفعل معكِ يا ليلىٰ، مُنْذُ صِغَرِكِ وأنتِ هكذا، تفعلين ما يُمليه عليكِ هواكِ فحسب، لا تستمعين إلَّا إلىٰ نفسكِ، ولا ترين إلَّا ما يراهُ قلبُكِ!

ويا ليته يرىٰ الصَّواب!

انزعَجَت ليلىٰ وتصاعدَ غَضَبُهَا، قَامَتْ من سَرِيرِهَا مُندفعة إلىٰ الخارج، وتَرَكَت الدُّموع تتلألأ في عيني أمها العجوز!

في اليومِ التَّالي وبعد ساعاتٍ مُرهقةٍ من العمل، تَركَت ليلىٰ المكتبَ عائدة إلىٰ بيتها، قادَت سيَّارتها في سُرعةٍ شديدة، وأخذَت الأفكارُ تتصارع في ذِهْنِهَا، لَنْ تَتْرُكَ أحمد أبدًا، وستُصارحُ سلمىٰ بحبِّها له ورغبتهما في الزَّواج، لَنْ تكونَ هي المرأة التي تُجاهد كي تفوزَ بما تُريد، وإذا فَازَت بِهِ تعيش في الظَّلام، وسلمىٰ تعيشُ في النُّور!

هي تُريدُ أحمدَ لنفسها.

نعم ترتدي نقابَ الإصلاحِ أمامَ أمِّها، ولكن الحقيقة أنَّها تُريدُ أحمد، تُريدُ كُلَّ ما في يدِ سلمىٰ.

لَنْ تسمعَ إلَّا نَفْسَها، ولن تُصغي إلىٰ تُرَّهاتِ أمِّها!

ومع ابتسامةِ الاستهزاءِ عند تذكُّر أمِّها، تحسَّسَت مكان هاتفها فلم تجده، أين هو؟

لعلَّها نسيته في المكتب، استدَارَت بسيَّارتها بسُرعة وعَادَت إلىٰ مكتبها، فَتَحَت البابَ في عُنف، وإذا بسلمىٰ جالسة علىٰ مكتبِها وأحمد يجلس أمَامَها بابتسامةٍ هادئة!

- تُريدين هذا؟

قلَّبَت سلمىٰ الهاتفَ في يدِها، وألْقَت بِهِ علىٰ المكتب، وقَامَت لتدور حولَ ليلىٰ الواقفة في مُنْتَصَفِ الحُجْرةِ بعينين ذاهلتين..

- أتظنين أنَّني سوف أتركك تَهدِمين أسْرَتي بسُهولة؟

تُقابلينني بنقابِ الإصلاح، وتبتعدين عنِّي بمرضِ القلبِ والحقد!

تقولين أمامي: أختي، وحبيبتي، وصديقتي، أنا معكِ وفي ظهركِ طوال الطَّريق، أريدُ لكِ الخيرَ واستقرار العيش..

ومن ورائي تلتَّفين حولَ حياتي كالحيَّة التي تلتف حول فريستها؛ كي تنقضَّ عليها وتفترسها!

أتظنين أنَّني ساذجة، ولم أقرأ صفحةَ قلبك الأسود؟!

أعمالكِ، وسمعتكِ، وتركِكِ لصلاتكِ، عُنوانٌ واضحٌ علىٰ خُبثك!

استمرَّت سلمىٰ في دورانها حول ليلىٰ مع نَظَراتٍ قاتلة، وليلىٰ تقفُ في توتُّرٍ ملحوظ، راحت صورةُ سلمىٰ تتضاعف أمام عينيها، رأت ابتسامتها تتَّسع في سُخرية، كان صوتُها المُتوعِّدُ يبتعد ويتشوَّشُ شيئًا فشيئًا، وأحسَّت بهبوطٍ مفاجيء مِنْ وَقْعِ المُفاجأة!

نظَرَ إليها أحمد بابتسامتهِ الهادئة، وقال: أنَا وسلمىٰ ووالدتك اتَّفقنا علىٰ كُلِّ ما حَدَثَ مُنذُ شَهْرَيْن، أخبرتُ سلمىٰ عن تفاصيل مُكالمَاتِك المُتتاليَّة؛ فقصَّت علىٰ والدتكِ أفعالَكِ وذهبتا إلىٰ طبيبٍ نفسي فوجَّهنا إلىٰ هذه الخُطَّة؛ لعلَّنا نصلُ إلىٰ صلاحِك وعودتك إلىٰ رُشدك..

استمعت ليلىٰ إلىٰ عباراته المُتتالية في ذُهُول، وتَتَابعت أحداثُ الفترة الماضيَّة أمام عينيهَا في سرعةٍ رهيبة!

سَقَطَت ليلىٰ علىٰ الأرض .. وسَقَطَت من أعيُنهِم إلَىٰ الأبد!



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البَقَرَة: ٦-١٦]

راسخٌ مُصلحٌ بصدقٍ وعلم

كثيرٌ منَّا يدَّعي الإصلاح، والحقُّ أنَّنا نُريد -في أغلب المواقف التي نَعيشُهَا- ما يُوافق أهواءنا، والخوفُ كُل الخوفِ أن نقعَ فيما وقع فيه المنافقون!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾.

الرَّاسخ الذي يُريد الثَّبات، يُصلحُ نفسه، ويسعىٰ في إصلاحِ الآخرين، يبتغىٰ سبيلَ الإصلاح وطُرُقِه **في آيات ربِّه وسنَّة نبيِّه وسيرته ثُمَّ سير الصَّالحين الحُكماء**، وخبرات الآخرين..

يَصْدُقُ في صَلاحِهِ وإصْلَاحِه، ولا يَقْلِبُ الحقَّ باطلًا والباطل حقًا، ومَنْ تأمَّل في كتابِ اللهِ وجد أنَّ الإصلاحَ يسبقه التَّوبة، والتَّوبة يَتْبَعُهَا الإصلاحُ، واقرأ هذه الآيات الكريمة تِباعًا بقلبك، وتأمَّل:

قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾

وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

📖 هل تأمَّلنا تلك الآيات وتدبَّرنا معاني التَّوبة والإصلاح؟

إنَّ المُؤمنَ الذي يُقدِّرُ نِعْمةَ الوُجود، ويشكرُ نعمةَ الإسلامِ؛ يحرص علىٰ التوبة..

(ترك الذنوب، والنَّدم علىٰ فعلها، والعزم علىٰ عدم الرجوع إليها، ورد المظالم إلىٰ أصحابها)، وكي يحرصَ علىٰ توبته ويُحصِّنها؛ يحسنُ به أن يحرصَ علىٰ الإصلاح.

ومعنىٰ يُصْلِح: أصلح عمله بعد أن أساء [**التحرير والتنوير لابن عاشور**]..

ولا نظن أنَّنا سنترك الإصلاحَ وقتًا من الأوقات، فالمؤمنُ سيظلُّ يُخطئ ويتوبُ ويُصلحُ حتَّىٰ يوفقهُ اللهُ إلىٰ حُسْنِ الخاتمة، وتأمَّل في هذين الحديثين..

قال رسولُ الله ﷺ: «**كُلُّ بني آدم خطاء، وخير الخطَّائين التَّوابون**» [رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه].

ويقولُ نبيُّنا: «**ما من عبدٍ مؤمِنٍ إلَّا وله ذنبٌ، يعتادُهُ الفينَةَ بعدَ الفينَةِ، أوْ ذنبٌ هو مُقيمٌ عليه لا يُفارِقُهُ، حتَّىٰ يُفارِقَ الدُّنيا، إنَّ المؤمِنَ خُلِقَ مُفَتَّنًا، توَّابًا، نَسِيًّا، إذا ذُكِّرَ ذكَرَ**» [صحيح الجامع].

إذًا سنستمر طوال حياتنا في التَّوبة والإصلاح..

في السُّقوط وتدارك السُّقوط ثُمَّ القيام!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾.

جدٌ واجتهادٌ ومُجَاهدة بمُتعةٍ، توكُّلٍ وجنَّة خُضُوعٍ ونعيم رضا ثُمَّ لقاء عظيم ومغفرة ورحمة بفضل الرَّحمن الرَّحيم!

ولكن كيف يسيرُ العبدُ في طَريقِ الإصلاحِ الصَّحيحِ، ولا يكون من المُفسدين الذين يُفسدون ويظنُّون أنَّهم مُصْلْحُون؟

١- يدعو اللهَ ويتضرَّع إليه أن يجعلَهُ من المُصلحين.
ولنتذكَّر دائمًا: الدُّعاءُ بافتقارٍ وخُضُوعِ قلبٍ مفتاحُ كُلِّ شَيْء.

٢- يستعيذُ من اتباع الهوىٰ، فالكثير منَّا يريدُ تحقيق رغباته ويُلبس رغبته ثوبَ الإصلاح والنيَّة الصَّالحة! (وتأمَّل في موقفِ صاحبة القصة!).

٣- يستخير ويستشير ولا يُشتِّت نفسَه في استشارة الكثيرين (قد تبتغي تخصُّصًا محددًا أو استشارة معيَّنة وتسأل عشرات الأشخاص الذين لا خبرة لهم بما تستفسر عنه، وهذا قد نُطلق عليه (تِيه الاستشارة) والذي نقعُ فيه كثيرًا!

فمثلًا، تجدُ أحدَنَا يستشيرُ خمسة أشخاص في قضيَّة مصيريَّة، وتأتيه الإجابات مُتباينة لاختلاف فهم الأشخاص وضعف استفسارهم عن تفاصيل المشكلة، ولذلك لا تُشتِّت نَفْسَك وركِّز في الاستعانة بالمُسْتَشَار المُؤتمن حتَّىٰ لا تقع في (تيه الاستشارة).

٤- يتعلَّم العلمَ الشَّرعي، ولا يتصدَّر في مسألةٍ أو مُشكلةٍ إلا إذا ألمَّ بها.

٥- يُقدِمُ ولا يُحجم، ويُجاهد ويصبر ولا يَمل، ودائمًا يتبرَّأ من حَوْلِهِ وقوَّته ويسأل اللهَ العون.

٦- ليسَ كُلُّ أحدٍ يستطيع التَّصدر لمُواجهة المُفسدين، فهُناك اعتبارات رئيسة؛ منها الحُجَّة وكيفية إقامتها علىٰ الآخر، والطَّاقة النَّفسية لدىٰ المُصلح، وهذه أمورٌ مُهمة لا ينبغي أن نغفلَ عنها؛ فنقع في الإفساد أو الإحباط!

وبعد التماس هذه الخُطُوات والمُجاهدة في تنفيذِها والصبر علىٰ ذلك، نرجو اللهَ أنْ يتفضَّل علينا ويجعلنا من المُصلحين.



من أقوال الراسخين

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: أَيْنَ كُنْتَ؟ قَالَ: كَانَ بَيْنَ قَوْمِي شَيْءٌ فَأَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ. قَالَ: أَصْبَحْتَ لَكَ مِثْلُ أَجْرِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

يقول ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالصُّلح الجائزُ بين المسلمين هو الّذي يعتمد فيه رضا الله سبحانه ورضا الخصمين، فهذا أعدل الصُّلح وأحقَّه، وهو يعتمد العلم والعدل، فيكون المصلحُ عالمًا بالوقائع، عارفًا بالواجب، قاصدًا للعدل، فدرجة هذا أفضل من درجة الصَّائم القائم».

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أمَّا من كفروا وأصرُّوا علىٰ الطُّغيان فلا يرتدعون ولا يعُودون إلىٰ فِطرَتِهِم السَّليمة التي فَطَرَهُم اللهُ عليها، عَانَدُوا وتكبَّروا؛ فلا ينفع مَعَهُم الإنذارُ والتَّحذير، اتَّخذوا طريقَ الضَّلال والإصرار علىٰ الكُفر.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ولمّا أصرُّوا علىٰ الكفر وآثروا الطُّغيان؛ عُوقبوا بالغشاوة (غطاء وستر) علىٰ أعْيُنِهِم والختم علىٰ قُلُوبِهِم، فلا يرون الحقَّ، ولا يصلُ إلىٰ قلوبهم خير، وذلك العقابُ العاجل .. مُصيبةٌ كبيرة أن ينسىٰ الإنسانُ ربَّه؛ فيُطبعُ علىٰ قلبِهِ، وفي الآخرةِ عذابٌ عظيم، وذلك العقاب الآجل!

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

ومن النَّاس من يدَّعي الإيمانَ وليس بمؤمن، المُنافقون كُثُر ويجْهَرُون بالإيمان، ولكنَّ الإيمان الحقيقي موافقة القول العمل!

﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

وهؤلاء المُدَّعون الإيمانَ، يُخادعون رسولَ اللهِ ومن تَبِعَهُ من المؤمنين، ولكن الواقع: أنَّهم يُخَادِعُون أنفسَهم، فالخَسَارة لَهُم في الدُّنيا والآخرة، ويَالهُ مِنْ خُسران!

أن تضلَّ الطَّريق وتظن أنَّكَ علىٰ صواب!

أن تَخْدَع نفسَكَ وتظنَّ أنَّك تخدع الآخرين!

نسألُ الله النَّجاة من اتِّباع الهَوَىٰ والنَّفس الأمَّارة بالسوء.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾.

في قُلُوبِهِم مَرَضٌ، فزادَهُم الله مرضا، المعصية تَدُلُّ علىٰ

أختها والطَّاعة تلي الطَّاعة، والشكُّ يزيدُ مرضَ القلب، ولمَّا شكَّ القلبُ ونافق؛ كانت النَّتيجةُ المُؤلمة: فزادَهُم الله مرضًا، ويوم القيامة خُسران مبين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

وإذا نهيتهم عن الإفساد ادَّعوا الإصلاح، وهكذا النِّفاق.. قَلْبُ الحَقَائقِ والتَّدليس علىٰ النَّاس وإفسادُ المجتمع، يُفسدون المجتمعات ويُلوِّثُون قِيَمَها، ويدَّعون أنَّهم أهل الصلاح والإصلاح.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

وما يشعرُون بنتيجةِ إفسَادِهم للغشاوة التي عَلَت قلوبهم؛ فالإعراضُ عن الله يُورث غشاوة لا يُميِّزُ الإنسانُ بسبَبِهَا الحقَّ من الباطل، والأدهىٰ أنَّ هذا الصنف يظنُّ أنَّه من المُصلحِين، وهم المفسدون.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

وإذا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كإيمانِ الصَّحابة الكِرام، سفَّهوا منهم وافتروا عليهم الكذب، ولكن السَّفاهة وخفة العقل مُتأصِّلان في المُنافق؛ لنسيانه ربَّه وضلاله طريقَ الصَّواب.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.

يتزيَّنون للمؤمنين بالقولِ الحَسَن، ويُخفون القولَ السيئ عند مُفارقَتِهِم لَهُم، ويقولُون لأسيادهم: إنَّما نستهزئ بهم!

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

والحقيقةُ الواقعةُ في الدُّنيا والآخرة أنَّ اللهَ يستهزئُ بهم، الواقعُ أنَّهم يَعِيشُون في تردُّدٍ وحيرة (يعمَهون: يعمون عن الرُّشد أو يتحيَّرون)، ونهايتهم الهلاك، وقيلَ في معنىٰ استهزاء الله بهم أقوال كثيرة، وكلها تخويفٌ للقلوبِ وتحذيرٌ من سلوكِ سبيلِ النِّفاق، ومن تلك الأقوال: أنَّ الرَّجلَ يُقال لَهُ وهو في جهنَّم ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾!

والقولُ الثَّاني: **يُفْتَحُ لَهم بابٌ مِنَ الجَنَّةِ وهم في النَّارِ، فَيُسْرِعُونَ إِلَيْهِ فَيُغْلَقُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهم بابٌ آخَرُ، فَيُسْرِعُونَ فَيُغْلَقُ، فَيَضْحَكُ مِنهُمُ المُؤْمِنُونَ**

[(زاد المسير) لابن الجوزي]

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾.

أولئك الذين أساءوا الاختيار.. قدَّموا الضَّلالَ علىٰ الهُدىٰ، واستحبُّوا النِّفاق علىٰ الإيمان، واختاروا التِّجارة الخاسرة، ولم يُوفَّقُوا إلىٰ التِّجارة الرابحة، فما ربحوا ولا اهتدوا، وخسروا الخُسران المبين..

نسألُ اللهَ النَّجاة.

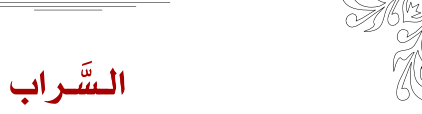
ومضات تُنيرُ الطَّريق

• النِّفاقٌ داءٌ مميتٌ للقلب؛ فليحذر الإنسانُ مِنْ تَكْرار المعاصي والإصرار عليها ومُعارضة الحق، حتَّىٰ لا يُختم علىٰ قلبه.

• السَّفيه مَنْ حَرَمَ نَفْسَهُ من العُبُوديَّة لخالقِه والتَّزين بزينةِ الإسلام!

• التجرُّد سبيلُ صلاح النَّفس، فلا تظن أنَّك دائمًا علىٰ صواب، فالحقُّ يُعرف بمعيارِ القُرآن والسنّة وليس بالأهواء، والحمدُ لله الذي يأخذنا من أنفسنا إليه ويقينا شرَّها.





السَّـراب

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

- سأعطِيكَ فكرةً ذهبيَّةً لمشروعٍ سينقلك نقلةً لا تتخيَّلُها.

ركَّزَ محمدٌ عينيه في عيني سامر باهتمامٍ شديد، وسامر سارحٌ بخَيَالِه في وادٍ آخر..

جَالَ بِفِكْرِه في الماضي مُنذُ ثلاثة أعوام، تخرَّج في كليَّة الطبِّ بعدَ خمسة عشر عامًا من عنادِ كُلِّ شيء!

عاندَ أهلَهُ، ولم يدخُل اختبارات الكلية مُدَّة أربعة أعوام، وتعثَّر في الأعوام الأخرىٰ..

عَانَدَ الأساتذة الذين شَهِدُوا لَهُ بذكائهِ الشَّديد، ونَصَحُوه كثيرًا بالتَّركيز في دراسته؛ فقد رأوا فيه طبيبًا بارعًا، ولكنَّه لم يلتفتْ إلىٰ تَوجيهِهِم وذهبَ مع شهواتِه أينما ذَهَبَت!

عَانَدَ أكثر أصدقائه وفاءً، ولم يُسافرْ معه ليُكمل دراستَه في الخارج، وكانت فرصةً ماسيَّةً لا تأتي إلىٰ كُلِّ أحد!

عانَدَ كُلَّ شخصٍ وعانَدَ كُلَّ شيءٍ، واتُّبعَ هواهُ وجَعَلَهُ لله ندًّا!

- ثُمَّ بعدَ سنتين فقط، اجمعْ ملايينك يا محظوظ.

قاطَعَت جملةُ محمَّد شريطَ أفكَارِه، فنظرَ إليه بعينين شاردتين، وقال:

ماذا قُلتَ يا محمد؟ أعدْ عليَّ حديثَك..

اتَّسعَت عينا محمد في دهشةٍ وغضب، صاحَ في وجْهِه:

- أنت تجلس معي سرحانًا في الملكوت، وأنا أُخطِّط لك مشاريعَك وأرباحَك!

أجابه بنظرةٍ واهية؛ فازداد غضبًا، وقال:

- يبدو أنَّك لا زلتَ في مرحلةِ السُّكْر، سلام يا سامر، سأدَّخِر خططي المُستقبلية وتكتيكاتي العبقريَّة لمن يستحقَّها، سلام يا صديقي.

وقام، وتركه في شرودِهِ المُؤلم!

. . . .

- أُريدُ المُسَاعَدَة يا أبي..

- معك بيتٌ كبير، ومَعَك فدَّان أرضٍ زراعية، وتملك رصيدًا بَنكيًا تُحسَدُ عليه، ولديك مكتبة عامرة بالكُتُبِ الدِّينيَّة والعلميَّة، فماذا تُريد بعدَ ذلك كله؟

- أُريد مالًا أكثر كي أؤسِّسَ شركة.

- تُؤسس شركةً، وأنت طبيب؟

- لا أحبُّ الطب.

- لماذا دخلته إذًا؟

- تقديرًا لرقمِ النَّتيجة، هل أحصل علىٰ مائة بالمائة وأدخل تجارة؟

أنتم علَّمتمونا التَّقدير، ونحنُ نعملُ بتوجيهاتكم!

- يبدو أنَّك لم تعِ ما علَّمناك! أنت دائمًا مُتردِّد، **لَمْ تَسْتَفِد أيَّ شَيءٍ ممَّا أنعمَ اللهُ به عليك!**

- وما الذي اختَّصني اللهُ به؟ كُلُّ أصدقائي مَعَهُم مِثْلِي وأكثر.

- أنتَ تتخيَّل حياةً مُعيَّنة وتَبْني حَوْلَهَا تصوراتك! إذا كان هُناك المِئَات مثلك وأغنىٰ منك، فهُناك الملايين يتمنَّون أن يكونوا في نصفِ ما أنت فيه، أنتَ لا تنتفع بكلامي ولا بكلامِ أمك، **تُوقدُ النَّار كي تنير ما حولك ولا تستضيء بها، بل تتركها تحرقك!**

- كفىٰ!

- **كُلُّ توجيهاتنا لا تنتفع بها، كل ما نقوله وكأنَّا لم نقله!**

- كفىٰ!

- **كُلُّ كلامنا تحسبه وبالًا عليك**، وهو الخيرُ لك.

- كفىٰ، كفىٰ، كفىٰ!

صرخَ بها ثلاث مرَّات، وانتفض قائمًا من سريره والعرق يتصبَّب علىٰ جبينه!

كان منامًا بينه وبين أبيهِ الذي ماتَ مُنذُ تِسْع سَنَوَات.

وكانت آخر كلمة قالها له قبل موته:

«أنتَ من أسبابِ حُزنِي في هذه الحياة!»





﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٧-٢٤].

راسخٌ ولا يجعلُ لله ندا

بعد الثَّلاثين من العمر أو ربَّما بعد الأربعين (إذا طَالَ الرُّشدُ الإنسانَ) يجلسُ المرءُ مع نَفْسِهِ، ويتذَكَّر الماضي وأفعال الشَّباب الطائشة، ويسأل نفسَهُ:

- ما هذا الذي كنتُ أفعله؟

لماذا لَمْ أجتهدْ في كذا؟ ولماذا ورَّطتَ نفسي في كذا؟ ولماذا ضيَّعت وقتي مع فلان أو فلانة؟

هل حقًا كنتُ في وعيي عندما فعلتُ كُلَّ ذلك؟

أسئلةٌ كثيرة قد تكونُ إجابتُها استحضار بعضَ النَّدم الذي قد ينفع في التَّوبة ثُمَّ بَعْدَهَا يُحاولُ المَرْءُ تنظيمَ مُستقبله والحرصَ علىٰ وقتِه؛ استدراكًا لِما ضَاعَ من السنوات!

قد تُوَفَّق إلىٰ الإجابة علىٰ بعضِ تلك الأسئلة إجابة مُحدَّدة، وتُدركُ سببًا أو أكثر لضياعِ عُمرك، ولكنَّ السبب الذي قد يشترك فيه الكثيرُ مِمَّن أضَاعُوا أعمارَهُم:

📖 جعلُ الهوىٰ نِدًا لله!

إنَّ العبوديَّةُ التي نتشرَّفُ بها، أنْ نَمْتَثِلَ للهِ ونتَّبِعَ نبيَّه ونُخالفَ أهواءنا.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يُؤمنُ أَحَدُكم حتَّىٰ يكون هواه تبعا لما جئت به**»[(١)].

والهَوَىٰ في الأصلِ ميلُ النَّفس إلىٰ ما تهواه، فإنْ مَالَت إلىٰ ما يُخالف الشَّرع فهو الهوىٰ المذموم، وإن مَالت إلىٰ ما يوافق الشَّرع فهو الممدوح، **وإذا ذُكِرَ الهَوَىٰ مُطلقًا أو ذُكِرَ ذَمُّهُ فإنَّما يُراد**

(١) صحَّحه الإمام النَّووي وضعَّفه الحافظ ابن رجب، ومعناه صحيح فنُصوصُ الكتاب والسنة تدَلُّ علىٰ هذا المعنىٰ

به الهوىٰ المذموم لأنَّه الغالب، فمُخالفة الهوىٰ المذموم مُهمةٌ، يلزمُ أن يستعدَّ لها العبدُ اليقظ الذي يُريدُ أن يفوزَ بالرِّضا في الدُّنيا وبالسَّعادة في الآخرة.

أن يُوافق هواك الشَّرع وتنقاد لأوامر الله، **وتُخالف نَفْسَكَ الأمَّارة بالسُّوء فتلك العبوديَّة، وذلك شرفُ الخُضُوع والاستسلام!**

نعم يَصْعُبُ أُنْ تُخضعَ هواك إلىٰ كُلِّ أوامر الشَّرع، فالنَّفس الأمَّارة بالسُّوء عَدُوٌ لدود يَرْكنُ إلىٰ الكسلِ ويميلُ إلىٰ الشَّهوات، ولكن يَكْفِي أنَّك تُجاهدها وتُروِّضُها مُستعينًا بقوةِ القوي، ومُتوكلًا عليه، مُستحضرًا الدُّعاء العظيم: (**اللهم آت نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زكَّاها**).

أمَّا أَنْ تجعلَ هواك يُحَرِّكك، وشهواتك تقودك، فتِلْكَ طامةُ الدُّنيا الكبرىٰ!

أن تتنازلَ عن شرفِ العُبُوديَّة والخُضُوع لله، وتقعَ في فخِّ اتِّباعِ الهَوَىٰ؛ فتعيش في تِيهِ الشُّبهات وتتمرَّغ في وحل الشهوات!

هواك يَقُودُك فلا تُعظِّمُ رقابةَ الله، ولا تُمتِّعُ قلبك بنصوص القرآن والسنة!

هُنا قد جعلت هواك ندًا لله، شريكًا له، يُوجِّهك حيثُ أراد!

في طريقِ الرُّسوخ يعيشُ الرَّاسخُ جنَّةَ العبوديَّة، فيُدرك نعمةَ اللهِ عليه بالوجودِ ثُمَّ الإسلام ثُمَّ تفاصيل الشَّريعة ونصوص

القرآن والسُّنة التي لم تترك شيئًا إلا وبيَّنته!

دينٌ عظيم فيه هُدىٰ ونور ونصوص مُنيرة، تجعل حياتك كلها نورًا إذا اتَّبعتها، فلِمَ لا نَنْعَمُ بِتِلْكَ النِّعم ونُنير حياتَنَا،ء ونُحيي قلوبنا بتفاصيل الإسلام؟

لِمَ لا ننقادُ إلىٰ الشَّرع ونُخالف أهواءَنَا؛ فنفوز بالحياةِ الطيِّبة والخُلد في الجنَّة؟

هل وجدنا في اتِّباع هوانا خيرا؟

هل نعيشُ حياةً طيبةً مُطمئنةً مع أهواءنا التي جعلناها تسوقنا؟

إنَّ السَّبيل الأوَّل للنَّجاة هو العودة إلىٰ محراب عبودية الله لا عبودية الهوىٰ!

ولا ننسىٰ أن نُكرِّر علىٰ أنفسنا ونُذكرها دائمًا، **طريق الرسوخ يحتاج إلىٰ تصورٍ ينبغي استحضاره دائمًا:**

١- نحنُ عبادٌ الله ضعفاء ولا حول ولا قوة لنا إلَّا به.

٢- اللهُ كاملٌ عظيمٌ سُبحانه (نُنزهُهُ عن أي نقصٍ وكُلِّ عيب، فهو الكاملُ في كُلِّ شيء)، وفضله علينا بالوُجُود ثُمَّ بالإسلام فضلٌ عظيم يستحقُّ الشُّكر.

٣- الطَّريق فيه أعداء، وألدُّ هؤلاء الأعداء هي أنفسنا التي يجب أن نُجاهدها في الله.

عن فُضالة بن عبيد رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ:

«المُجاهدُ مَنْ جَاهَدَ نفسَهُ في الله» **[صحَّحَهُ الألباني]**

٤- الطَّريقُ طويل، وبالصَّبر والأخذِ بالأسبابِ والاستعانةِ باللهِ؛ سَنَصِل.

٥- جهادُ النَّفس ليس عذابًا بل سيصلُ إلىٰ مرحلةٍ ويكون فيه لذَّة ومُتعة، ثُمَّ نصل بفضلِ اللهِ ورحمته إلىٰ النَّفس المُطمئنة، ويُقال لنا:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾.

وبعد تصورنا لطريقِ الرُّسوخ، هذه سُبلٌ عمليَّة لقهر هوانا وتَجَنُّب جعله ندًا لله:

١- أن ندعو الله سُبحانه ونستعين به ونتضرَّع إليه كي يُجنِّبنَا اتِّباع الهوىٰ، **فالافتقار والاستعانة والدُّعاء** بدايتنا في كُلِّ سُبُلِ التَّزكيَّة والإصلاح.

٢- أن نُلزمَ أنفسَنا بالواجبات (ولنُبادر بالواجبات أوَّل الاستيقاظ)، ونُحاسبها عليها في جلستنا الأسبوعيَّة (هل صلَّينا الفروض؟ هل أطعنا الوالدين؟ وهكذا، **وإذا حَدَثَ تقصيرٌ أو تفريطٌ فلا نجزع؛ فالتَّقصير سيُلازمنا وكذلك المُجاهدة والمُحاسبة حتَّىٰ نصلَ إلىٰ الاستمتاعِ بالاستقامة).**

٣- صُحبةُ الصَّالحين سَبَبٌ قويٌ في مُجاهدةِ النَّفس، ولكن فلنحذر من تَحَوُّل صحبة الصَّالحين إلىٰ **غاية**، فإنْ لَمْ نُرْزَقْ

بالصُّحبة فلندع اللهَ أن يرزقنا إيَّاها، ولنشغل أنفسنا بالطَّاعات وطلب العلم وجميع الأعمال الدينيَّة والدنيويَّة النَّافعة، ولن نجدَ وقتًا للتَّفكير في افتقادِ الصُّحبة إذا لم تُوجد!

٤- المُقارنات بين الأحوال نافعة، فلنُقارن بين حال اتِّباع الهوىٰ وحال اتِّباع الشَّرع، بين الخُضُوع لله والخضوع للنفس، إلىٰ أين سنصلُ مع الله وإلىٰ أين سنصلُ مع النَّفسِ الأمَّارة بالسُّوء، ولنتعظ بالسَّابقين ونستفد من خبرةِ المُعاصرين، فما فاز مُتبعٌ لهواه بدُنيا ولنْ يفوزَ بآخرة!

٥- قراءةُ سيرِ المُجاهدين لأنفسِهِم والرَّاسخين في سبيلِ الاستقامة (الصَّحابة والتَّابعين ومن مات علىٰ هُداهم)، والبُعد عن مواطنِ الفتن وحديث النَّفس الدائم (وليكن هناك وقت في جلستنا الأسبوعيَّة نُحدِّث فيه أنفسَنَا ونُحاسبها)؛ سُبُلٌ متنوعة ونافعة في الخُضُوع والاستسلام.

ولنَتَذَكَّرْ دائمًا مآلَ اتِّباع الشَّرع في الدُّنيا من راحةٍ واطمئنانٍ وعزة نفس واتِّزان ثُمَّ الفوز في الآخرة بجَنَّة الخُلد.

وبعدَهَا نتأمَّل في مآل اتَّباع الهَوَىٰ في الدُّنيا من اضطراب وتردُّد في اتِّخاذ القرار وضيق صدر وظلام قلب ونُفرة من النَّاس..

وفي النِّهاية من لَزِمَ الافتقارَ والدُّعاءَ وأخذَ بالأسبابِ تفضَّل اللهُ عليه، وفازَ بنعيمِ الدُّنيا وجنَّةِ الآخرة!

من أقوال الراسخين

«واتِّباعُ الأهواء في الدِّيانات أعظم من اتِّباع الأهواء في الشَّهوات، فإنَّ الأوَّل حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ابن تيمية

«إنَّ جميعَ المعاصي تنشأ من تقديم هوىٰ النُّفوس علىٰ محبَّة الله ورسوله وقد وَصَفَ اللهُ المُشركين باتّباعِ الهوىٰ في مواضعَ من كتابه، وكذلك البدع تنشأ من تقديم الهوىٰ علىٰ الشَّرع ولهذا يُسمَّىٰ أهلُها أهل الأهواء، ومن كان حُبُّه وبُغْضُهُ وعَطَاؤُهُ وَمَنْعُهُ لهوىٰ نَفْسِه؛ كَانَ ذَلِكَ نقصًا فِي إيمَانِهِ الواجب، فيجبُ عليه حينئذ التّوبة من ذلك، والرُّجوع إلىٰ اتِّباع ما جاء به الرَّسول ﷺ من تَقْدِيمِ محبَّةِ اللهِ ورَسُولِه ومَا فِيهِ رِضَا الله ورسوله علىٰ هوىٰ النَّفس ومراداتها كلّها».

ابن رجب

عظَّم الله تعالىٰ ذمّ اتّباع الهوىٰ في قوله تعالىٰ:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

وقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾.

وجَمْعُ الهوىٰ في الآية الثّانية تنبيهًا علىٰ أنَّ لكلِّ واحد هوىٰ غير هوىٰ الآخر، ثمُّ إنَّ هوىٰ كُلّ واحد لا يَتنَاهَىٰ، وعلىٰ هذا فإنَّ اتّباع أهوائهم نهاية الضَّلال والحيرة.

الفيروزآبادي

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾.

ضَرَبَ اللهُ للمُنافقين مثلين: مثلًا ناريًّا، ومثلًا مائيًّا . .

أمَّا مثلهم النَّاري: كالذي يُوقِدُ النَّار من غَيْرِهِ؛ لينتفعَ بها، ولـمَّا أضاءت له وأحسَّ بالأمَان، ذهب الله بها؛ فعاشَ في الظُّلمات!

ادَّعوا الإيمان؛ فحَقَنُوا دماءهم وسَلِمَت أموالهم، انتفاع دنيوي بادِّعاء الإيمان، ولم ينتفعوا به انتفاعًا حقيقيًا، لم يُنِر قُلُوبَهُم في الدُّنيا ويُنجِّهم من عذابِ اللهِ في الآخرة!

لـمَّا شَعَرُوا بالأمانِ جاءهم الموتُ فكانَ العذابُ؛ لأنَّهم آمنوا للمَصْلَحَةِ وليس إخلاصًا لله وحبًا لدينه!

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

لا يَسْمَعُون الحقَّ ولا ينطِقُون بِهِ ولا يَرَوْنَهُ ولا يَرْجِعُون . . اتَّخذوا طريقَ الضَّلال وأصرُّوا عليه . . نسألُ اللهَ النَّجاة!

﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

والمثل المائي . . .

﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾ أو كأصحاب مطرٍ شديدٍ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: نزل من السَّحاب ﴿فِيهِ﴾: في ذلك السَّحاب ﴿ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ﴾ وهو صوت مَلَكٍ مُوكَّلٍ بالسَّحاب ﴿وَبَرۡقٞ﴾ وهي النَّار التي تخرج منه ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ يعني: أهل هذا المطر ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ من شدَّة صوت الرَّعد يسدُّون آذانهم بأصابِعِهم كي لا يموتوا بشدَّة مَا يَسْمَعُون من الصَّوت!

فالمطرُ مَثَلٌ للقرآن لما فيه من حياةِ القلوب، والظُّلماتُ مَثَلٌ لِمَا في القرآن من ذِكْرِ الكُفر والشِّرك وبيان الفتن والأهوال، والرَّعد مَثَلٌ لما خُوِّفُوا بِهِ من الوَعِيد، وذِكْرُ النَّار والبرقُ مَثَلٌ لحُجَجِ القُرآن ومَا فيهِ مِن البَيَان، وجَعْلُ الأصابعِ في الآذان حَذَرَ الموت مَثَلٌ لِجَعْلِ المُنَافِقِين أصابعهم في آذانهم كَيْلا يسمعوا القُرآن مخافةَ مَيْلِ القَلْبِ إلىٰ القرآن؛ فيُؤدِّي ذلك إلىٰ الإيمانِ بمحمد ﷺ وذلك عندهم كُفرٌ والكُفْرُ موتٌ ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ مُهلكهم وجامعهم في النَّار. [(تفسير الوجيز للواحدي) بتصرف يسير]

﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

«كلَّما أضاءَ لَهُم مَشوا فيه» يقولُ ابن عباس: كلَّمَا أصاب المُنَافِقُون من الإسلام عزًا اطمأنُّوا، وإن أصابَ الإسلامَ نكبةً قامُوا ليَرجِعُوا إلىٰ الكُفْرِ (فتأمَّل فِي نِفَاقِهم وارتباطِهِم بالإسلام من أجل المصلحة الدنيويَّة فحسب)، ولو شاء اللهُ لذهبَ بِسَمْعِهِم وأبصارهم، واللهُ علىٰ كُلِّ شيء قدير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

ثُمَّ يأتي الأمرُ الإلهي العام لجميع الناس .. أمرٌ فيهِ رحمةٌ ثُمَّ نجاة .. اعبدوا ربَّكم

ربُّكم الذي أنعم عليكم بالخلق وربَّاكم بالنِّعم، وتلك نعمٌ عظيمة لو تأمَّلها العبدُ وعاش مع عبوديَّة الخالق الكريم الوهَّاب

اعبدوا ربَّكم، والعبادة تُقيمُك علىٰ سبيلِ المُتَّقين، فاللهم اجعلنا من العابدين المتَّقين!

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ولماذا نَعْبُدُ اللهَ ﷻ؟ لأنَّه الخالق الرَّازق المُدبِّر الكَامِل في صِفَاتِه المُستحِقُّ للعبادةِ والتَّعظيم، تعدَّدت نِعَمُهُ؛ مِنْ أرضٍ مَبسُوطة وسماءٍ مَمْدُودة وماءٍ يَنْزِلُ لتَخْرجَ النَّباتات ويأكلَ النَّاسُ ويُرزقون؛ فلا تجعلُوا للهِ شريكًا في العِبَادَةِ ومَثِيلًا ونَظِيرًا، وأنتم

تَعْلَمُون أنَّه الخالقُ الرَّازقُ المُدبِّرُ لا شَريكَ لَهُ، فكيفَ تَعيشُ فِي نِعَمِه وتُشْرك مَعَهُ غيره؟!

﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

وإنْ كُنتُم في شكٍ مِنْ إنْزَالِ هَذَا القُرْآن عَلَىٰ مُحَمَّد؛ فأْتُوا بسورةٍ مثله، وأنْتُم أهلُ الفَصَاحَةِ والبَلَاغة.

ولماذا قالَ اللهُ: وإن كنتم في ريب، وهم كانُوا في ريب؟

قيل أنَّ اللهَ ذكرَ حرف إنْ؛ إشارة إلىٰ أنَّ الرَّيبَ بعيدٌ عن العقلاء في مثلِ هذا الأمر السَّاطع البُرهان؛ فلذلك وضعَ حرفَ التَّوقع والاحتمال في الأمر الواقع؛ لبُعْدِ وقوع الرَّيب وقُبْحِه عند العقلاء. **[تفسير ابن جُزي]**

وهاتُوا من أشرَكتُم، هاتُوا آلهتَكم وأعوانَكم ومن يشهد عليكم؛ ليشهدُوا علىٰ فِعْلِكم، إن كُنْتُم صادقين في دعواكم، ولَمْ يستطيعوا ولَنْ يستطيع أحدٌ فذلك التَّحدي باقٍ إلىٰ يومِ الدين.

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾.

لَم تفعلوا ولَنْ تَفْعَلُوا؛ إذًا فانصَاعُوا لأمرِ الله واتَّقوا النَّار العظيمة الَّتي أُعدَّت للكَافِرين، موجودة ومُعدَّة لِمَنْ كَفَرَ بالله وعَانَد .. نَسْأَلُ اللهَ النَّجاة.

ومضات تنير الطريق

- تقوىٰ النِّفاق، بالدُّعاءِ وكَسْرِ الكِبر تجاه الأوامر الشَّرعيَّة .. مع جهاد النَّفس، والصِّدق في طلب الحق!

نسأل الله العافية من النفاق.

- العُبوديَّةُ تشريف قَبْلَ أن تكونَ تكليفًا؛ فلنستمتع بالعُبُوديَّة!

- القرآنُ عظيمٌ نَزَلَ علىٰ أفصح النَّاس فَلَم يستطيعُوا الإتيان بمثله، فلننهل من نُوره ولنهتدِ بآياتِه ولننتفع بهديهِ وبركاته .. نسأل الله من فضله.







العهد

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

جَلَسَ أحمد بجوار زوجتهِ مها علىٰ شاطئ البحرِ مع ابنتهما الوحيدة، والفرحةُ تُنِيرُ وجوه الحميع! كان أحمد رجلًا طويلَ القامة، قمحيَّ البشرة، حادَّ العينين، تَجِدُ فِيهِما لَمَعَانًا غريبًا لا يستطيعُ تفسيرُهُ إلَّا صاحبهما، زوجتُهُ مها امرأةٌ مُتوسِّطةَ الجمال، مَلَأت وجهَهَا تجاعيدُ أحزانِ الماضي، مع ابتسامةِ ظفرٍ بالحاضر لا تُفارق خدَّيها إلَّا قليلا!

التَفَتَت مها إلىٰ ابنتها وابتَسَمَت في سَعَادة، قالت:

أتَذَكَّرُ الآنَ فقرَ الماضي بُنَيَّتي الحبيبة، لم تشم أمُّكِ رائحةَ البحرِ وهي صغيرة، والآن لا يُوجد شاطئ في العالمِ لَمْ أَزُرْه، وأَتَسَاءَل دائمًا: كَيْفَ سَتَكُونُ الجنَّةُ بعدما رأيت كُلَّ هذا النعيم!

نَظَرَت ابنتُها دُنيا إليها تُبادلها الحماسةَ والسرور، قالت: أسْعَدَكِ اللهُ كَمَا تَمْلأين حَيَاتنا سعادة أمِّي الحبيبة!

رنَّ هاتف أحمد واستمع قليلًا إلىٰ من يُحدِّثُهُ علىٰ الطَّرف الآخر، تغيَّر وجهُهُ وقام من مكانه وقال:

- هيا بنا يا جماعة! سُنغادر الآن.

التَفَتَت إليه مها مُستعطفة:

- دعنا نجلس قليلًا، لا تبخلْ علينا بهذا الجمال!

- هيَّا بِنَا يا مها، أريدُ أن أستعدَّ للسَّفرِ، هُنَاكَ مُشْكِلة فِي الشَّرِكَةِ ويَجِبُ أن أكونَ هُناك خِلال يومين.

هبَّت من مكانِها في قلقٍ بالغ، واتَّجَهَت وراءَهُ في سُرعة بعد أن فَارقَهَمُا بخطوات سريعة تِجَاه السيَّارة!

. . . .

- ولكن محمدًا دَفَعَ عشرين مليونًا للصفقة! كيف يتراجعُ بهذِهِ السُّرعة؟

قالتها مها في توتُّرٍ شديد، ونظرَ أحمدُ إليها بعينين واجِمَتين، تذكَّرَ صفقةَ الأجهزة الكهربائيَّة التي اتَّفق عليها مع ابن عمِّه وشريكه مُحمَّد، كانت صفقةً كبيرةً ستُساهِمُ في مُضاعفةِ أرباحِ الشَّركة وزيادة ثِقَلِهَا في الشَّرق الأوسط، تمَّ الاتفاقُ أن تتمَّ هذه الصَّفقة ثُمَّ يأخُذَ محمدٌ نصيبَهُ من الشَّركة، وكان العقدُ مكتوبًا وبكُلِّ التَّفاصيل، وغير كتابة العقد .. كان هُنَاكَ العَهْد!

- لا بدَّ من المُواجهةِ يا أحمد!

قاطَعَت مها سيلَ ذكريَاتِه؛ فالتَفَت إليهَا، قال:

- نعم، لا بُدَّ مِنَ المُواجهة!

. . . .

جَلَسَ أحمدُ بجانبِ مها في غُرفةِ اجتماعاتِ الشَّركة، كان التَّوترُ يُخيِّم علىٰ الغرفةِ، والصَّمت لا يقطُعُه إلَّا تنهيدات مَهَا كُلَّ

دقِيقَة، وبعد رُبع ساعةٍ من الانتظَار، دَخَل مُحمَّد إلىٰ غُرفَةِ الاجتمَاعَات، كان بدينًا قصيرًا ذا عَيْنَين جَاحِظَتَين، لا تُفَارِقُه ابتسامةُ لَامُبَالَاة تَسْتفِزُّ كُلَّ مَنْ يَنظر إليه!

- أهلًا يا بن عمِّي.

بادَرَ مُحمَّدٌ الاجتماع بتحِيَّتِه، وجلسَ في ثقة، وبعد دقيقةٍ من الصَّمت قام أحمدُ من مكانِهِ في توتر، صاح غاضبًا:

- ابن عمك؟ وهل **راعيت الرَّحم، هل قُمتَ بحقِّ القرابة والعشرة؟**

لم يتغيَّر وجهُ محمَّد، وازداد توتُّر مها، فقَالَت مُحاولةً تهدئة الأجواء:

- لماذا لم تُتم الصَّفقةَ يا محمَّد؟

دار محمَّد بنظراتِهِ في وجهيهما، وقال في برود:

- العالمُ يتغيَّرُ يوميًا، والعهودُ قد تُنْقَضُ لمصلحةٍ راجحة!

ردَّت مها سريعًا في محاولةٍ للتَّغطية علىٰ أثرِ كلامِهِ المُستفز.

- **وهل نقضُ العهدِ، وفسخُ العقدِ في مصلحتِنَا جميعًا؟**

- لَيْسَ كُلُّ شيءٍ في مصلحةِ الجميعِ بنفسِ الدَّرجة!

ردَّ أحمدُ هذه المرة بغضب:

- ومَنْ الذي يُحدِّد المصلحة؟ ولماذا قدَّمتَ مصلحتكَ الشَّخصية علىٰ أنقاضِ الشَّركة؟

- الشَّركةُ لن تُهدم، والظُّروف تجعلنا أحيانًا نُبادر بخُطُوات سريعة إلىٰ الأمام!

أحمد: **خُطُوات سريعة علىٰ حساب العهود والمواثيق؟**

- السُّرعة في اتِّخاذ الفُرَص لا تُراعي عهدًا ولا ميثاقًا!

- يبدو أنَّك قد جُنِنت!

تغيَّر وجهُ محمَّد . .

- احفظْ أدبك وانتقِ ألفاظك!

قالها ونظرَ إليهما بابتسامة مُستفزَّة، وأردف:

- وتَذَكَّرا أنَّني صاحبُ الفضل في الكثيرِ ممَّا أنتم فيه الآن.

قامَت مَهَا من كرسيها مُغضَبة، صَرَخت فيه بحنق:

- يبدو أنَّك نسيتَ الماضي، نسيتَ أنَّ أحمد جاء بِكَ إلىٰ هُنا بعدما لم تكن شيئًا، **نسيت كيف تَحَوَّلت مِنْ ميِّتٍ إلىٰ حيٍ بفضل الله ثُمَّ بفضل توجيهات أحمد!**

نَظَرَ إليه أحمدُ وابتسامةٌ مريرةٌ ترتسمُ علىٰ وجهه، قال:

- أنا لا أصدِّقُ ما أسمع، **تُنكِر فضلي، وتُسيء إلىٰ صلتي بك، وتخون عهدي معك، وكُلُّ ذلك لأجل انفرادِك بصفقة؟**

استمرَّ محمدٌ في برودِه المعهود، وقال:

- ليست صفقةً هيِّنة، وأنتم لن تخسروا كثيرا.

قال وهو ينهضُ عن كرسيِّه في هُدُوء، ثُمَّ أنهىٰ الاجتماعَ قائلًا:

- رجاء الإسراع في الاجتماعِ مع مُديرِ الحسابات؛ لإتمامِ إجراءات تصفيَةِ الشَّركة!

وتركَ الصَّمت والغضبَ يملآن الغرفة.

. . . .

- ماذا ستفعل يا أحمد؟

سألته مها في توتُّر بينما كان غارقًا في التَّفكير والحيرة، ولم تزل عنه الصدمة بعد..

هو فعلًا لا يدري حتَّىٰ الآن ماذا سيفعل، لم يكن يتخيَّل أن يأتيَ يومٌ **وينقض محمد عهدَهُ معه**، ويترك الشَّركة بعد تلك الضَّربة القويَّة!

لم يكن **يتصوَّر أن يُفسدَ محمدٌ حياتَهُ وعملَهُ بهذِهِ الصورة!**

أفسدَ شركَتَه وقطَعَ الرَّحم ونَقَضَ عهدَهُ معه، ولم يراع مُساعدته له طُوال السِّنين الماضيَّة، لَمْ يَشْكُرْ لَهُ وَقْفَتَهُ بجانبِهِ طوال حياته، وكانت هذه العاقبة!

انتَهَت خواطرُهُ وتوقَّف تَفْكيرُه، قال بصوتٍ خَافِت وكأنَّه يحدِّث نفسه:

- ماذا سأفعل؟

لَنْ أفعلَ شيئًا، أحيانًا لا يستطيعُ المرءُ أنْ يفعلَ أيَّ شيء، حتَّىٰ الأسباب لا يَقْوَىٰ علىٰ الأخذِ بها!

هُناك ظلمٌ وعُدوان لا يَمْلِكُ الإنسانُ حِيَالَهُمَا أيَّ شيء.

هُناك صَدَمَات تَجْعَلُ المرءَ يَقِفُ فَقَط.

يقفُ ويُفوِّضُ الأمرَ تمامًا إلىٰ مالكِ السَّماوات والأرض.

تنهَّدَ تنهيدةً طويلة، ثمَّ قال في استسلامٍ تام:

- قَطَعَكَ اللهُ يا مُحمَّد كَمَا قطعت كُلَّ شيء .. يفعلُ اللهُ مَا يُريد!

قاطَع أفكارَه دخولٌ مفاجئ لسكرتير مكتبِهِ أمجد..

- مُهندِس أحمد، هُناك خبرٌ سيئ!

قام أحمدُ ومها واقفين في توتُّر، وبادرَ أحمدُ سائلًا:

- أسرِعْ يا أمجد، ما الخبر؟

- الأستاذ محمد، البقاء لله!

اتَّسَعَت عينا أحمد، وسأله في دهشة كبيرة غيرَ مُصدِّق:

- ماذا تقول؟

أجَابَهُ أمجدُ في سُرعة:

- اصطدمَت سيَّارتُهُ بمقطورةٍ كبيرة وماتَ علىٰ الفَوْر، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

- نظرَ أحمدُ إلىٰ مها وتبادلا نظرةً خاوية من كُلِّ معنىٰ، قال أخيرًا في ذهول:

- يفعلُ اللهُ ما يُريد!

. . . .

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾

[البقرة: ٢٥-٢٩].

راسخٌ ويَفِي بالعهد

لماذا ننقضُ العهد؟

لماذا نتراجعُ عن المواثيق التي أخذناهَا علىٰ أنفسنا معَ الله أو معَ الآخرين؟

مدحَ اللهُ المؤمنين الَّذين يُوفُون بالعهدِ، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾.

وفي سورة الإسراء، يقولُ الله ﷻ:

﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾.

في كثيرٍ من الآيات يُوجِّهُنا اللهُ -سُبحَانَهُ وتَعالَىٰ- إلىٰ الوفاءِ بالعُهُود والمَوَاثيق، سواء الَّتي بيننَا وبينَه أو التي بيننَا وبينَ العِباد، فلماذا ننقضُ المواثيق ولا نفي بالعُهُود؟

الميثاقُ هو العهدُ المُؤكَّد، والميثاقُ العظيمُ الذي يَلزَمُ كُلَّ عبدٍ أن يلتزمَ به ويتمسَّك .. الشَّهادتان!

شهادةُ العبدِ، أنَّ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ميثاقٌ أخذَهُ العبدُ علىٰ نفسِه، ألَّا يَعْبُدَ إلَّا الله.

لا يخضعَ خضوعًا تامًا، ولا يتذلَّلَ تذلُّلَ عُبُوديَّةٍ إلَّا لله.

لا يتَّبعَ أحدًا اتِّباعًا تامًا، ولا يُعظِّمَ شخصًا تعظيمًا قلبيًا إلَّا سيَّد الخَلْق مُحمَّد ﷺ دون أن يُغالي.

وما نتيجةُ نَقْضِ المِيثاق؟

تأمَّلْ هذه الآية، وتدبَّر في نتيجةِ نقضِ الميثاقِ بينَ العبدِ وبين ربِّه.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ

خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

نَقَضُوا الميثاقَ وقَتَلُوا الأنبياءَ؛ فكَانَت النَّتيجة:

١- اللَّعن والطَّرد مِنْ رحمَةِ الله، وهُم مَنْ أغْلَقُوا علىٰ أنفسِهِم بابَ الرَّحمة، بنقضهم العهد.

٢- قسوةَ القلبِ، فلا تنفَعُهُ المواعظ، ولا تُجدي معه الآيات.

٣- تحريفَ كلام الله، اُبْتُلُوا بالتَّغيير والتَّبديل؛ فيجعلون لكلامِ الله معنىٰ غير ما أرَادَه اللهُ ولا رسُولُه.

٤- نسيانَ ما أنعمَ اللهُ به عليهم من الدين، فقَد ذُكِّرُوا بالكتابِ، وبما أنزَلَ اللهُ علىٰ موسىٰ، فنَسُوا حظًا منه، وهذا شاملٌ لنسيانِ عِلْمِه.

٥- الخيانةَ المُستمرة، خيانةَ اللهِ وخيانةَ عِبَادِه المُؤمنين.

[تفسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (بتصرف يسير)]

رُبَّمَا يتعجَّب البعضُ مِن هذا العقابِ لِمَن نَقضَ الميثاق مَعَ الله، ويتساءل:

لِمَ هذا العقاب الأليم لنقضِ الميثاق؟

إنَّ الميثاقَ العظيم بين العبدِ وربِّه يستمدُّ قيمتَهُ من شيئين:

📖 **الأوَّلُ: من الذي أُعَاهِدُه؟**

والإجابة: اللهُ العظيمُ الكَامِل، ومن أرَادَ أن يعلمَ قيمةَ العهدِ الَّذي بينَهُ وبينَ الله؛ فليتعرَّف إلىٰ اللهِ بأسمائِهِ وصفاتِه.

📖 **الثَّاني: ما الذي عاهدْتُ اللهَ عليْه؟**

إنَّ مُعاهدةَ اللهَ علىٰ التَّوحيد وتَمام الخُضُوع لَهِيَ نِعْمَ المُعاهدة وعظيم الشَّرف، وجميعُ التَّفاصيل التي تَتْبَعُ ذلكَ الميثاق والعَهْد المُؤكَّد، هي نعيمٌ يَعِيشُهُ العبدُ في حياتِهِ، وينعمُ بجزاءِ التزَامِهِ به بَعْدَ مَوتِه، ولعلَّك تتخيَّل أنَّك عَاهَدتَ زميلًا علىٰ الخروج في نُزهةٍ ليلية، فمن عاهَدتَ؟ وعلام عاهدتَهُ؟

لقد عاهدتَ إنسانًا عاديًا علىٰ فعلٍ عادي رُبَّما لا تُمثِّلُ قيمتُهُ شيئًا بالنِّسبة إليك، ولذلك لو تراجَعْتَ عن عَهْدِك مَعَهُ فلن تحدُثَ مشكلةٌ كبيرة!

أمَّا في الميثاقِ العظيمِ فتأمَّل مَنْ عاهَدْتَ وعلام عاهَدْتَ وَمَا نتيجةُ الوفاءِ بالعهدِ، وما عاقبةُ نقض ذلك الميثاق!

فإذا عَلِمنَا ممَّن يَستمدُّ الميثاقُ قيمتَهُ؛ فلِمَ يقعُ العبدُ في نقضِ الميثاق؟

وكيف نُحافظُ علىٰ القيامِ بالمواثيق التي بيننَا وبينَ الله والتي بيننَا وبينَ العِبَاد؟

أسبابُ نقضِ العبدِ للميثاق بينَهُ وبينَ الله:

١- ضعفُ العلمِ بالله وأسمائه وصفاته.

٢- ضعفُ تقديرِ العبدِ لمُفرداتِ الميثاقِ ولوازمِهِ ونتائجِهِ، فإدراكُ العبد مثلًا لقيمة الصَّلاة وما يترتَّبُ عليها من صَلاحِ القلبِ والبدن ثُمَّ ما سيكونُ للعبدِ من جزاءٍ عظيمٍ يوم القيامة إذا أحسنَ صلاتَهُ، كُلُّ ذلك يُؤدِّي بالعبدِ إلىٰ التَّمسكِ بالصَّلاة والوفاء بها والمُجَاهدة لتَجوِيدِهَا.

٣- كثرةُ الذُّنوب والمعاصي والتَّعلق بالدُّنيا ومُلهِيَاتِهَا.

وإذا أرادَ الرَّاسِخُ أن يتمسَّكَ بالعهدِ الَّذي بينَهُ وبينَ الله؛ فليجتهد في التَّعرفِ علىٰ اللهِ ويُقدِّر مُفردات العُبُودية ولوازمها ومآلها (يتعرَّف علىٰ كُلِّ عبادةٍ وكيفية أدائها وثواب المُجاهدة للقيام بها، وأثر تلك المُجاهدة علىٰ شَخْصِيَتِه وقَلْبِه ثُمَّ الثَّواب العظيم الذي ينتظرُهُ يومَ القيامة نتيجة امتثاله بفعل تلك العبادة)، وليبتعدْ عن معصيةِ اللهِ ويُجاهد في ذلك، وسينعمُ بفضلِ ربِّه بالثَّبات علىٰ العهد حتَّىٰ الموت!

أمَّا عن نقضِ العهدِ مع الخلق، فَلَهُ عِدَّة أسباب، قد يُنقض العهدُ لسبب واحدٍ مِنْهَا أو لعدة أسباب، وهي:

١- عدم تقدير الشَّخص الذي عاهدناه، أو عدم تقدير قيمة العهد نفسه، وعاقبة عدم الوفاء به في الدُّنيا وفي الآخرة.

٢- الكبرُ أو الحسدُ أو الخيانةُ، وكُلُّها طوام أصلُها ضعفُ تعظيمِ الله ومُفردات شرعه، وفروعها غيابُ الوازع الدَّاخلي، وحُبُّ الدُّنيا، وضعفُ استحضارِ الإيمان بالقَضَاء والقدر، وضعفُ الإيمان بالغيب.

وطريقُ الرَّاسخ في اكتساب خُلُقِ الوفاء بالعهد، أوَّلُهُ:

١- أن يتعرَّفَ إلىٰ الله الذي أمرَنَا بالوفاء بالعهد، ويدعوه أن يوفِّقَهُ للالتزام بما عاهَدَ عليه النَّاس.

٢- تَدْريبُ النَّفسِ علىٰ الالتزام بالأشياء التي قد تبدُو بسيطة مثل المواعيد التي بينه وبينَ الآخرين، ومثل التَّوقيت الذي يُحدِّدُه للرِّياضة أو التَّرويح عن النَّفس أو النَّوم، والذي يلتزمُ مع نفسهِ ومع غيرهِ في الأمورِ الَّتي قد تبدُو يسيرة؛ سيلتزمُ حتمًا في العُهُود الكبيرة.

٣- العلمُ بأنَّ الوفاءَ بالعهدِ خُلُقٌ عظيم وأثرُهُ كبيرٌ في قلوبِ العباد، وجزاؤُهُ وفيرٌ في الدُّنيا والآخرة، ويكفيه أنَّ اللهَ العظيم أمرَ به وأحبَّه.

٤- أن يُوقنَ الرَّاسخُ في أثرِ الوفاءِ بالعهدِ علىٰ شخصيته، فتزدادَ الثِّقةُ بصِدقِهِ في تزكيتِهِ لنَفْسِه (قد أفْلَحَ مَنْ زكَّاها)، كما أنَّ حُسنَ الوفاءِ يُعزِّزُ نَفْسَه المُطْمَئنَّة ويُقوِّي فيها حُبَّ الخيرِ للآخَرين؛ فيحرصُ علىٰ مَصَالِحِهم ونفسيَّاتهم، كَمَا يزدادُ إيمانُهُ بالقضاءِ والقَدَرِ؛ ويُوقنُ أنَّ التزامَه بعُهُودِه لن يُنْقِصَ من رزقهِ شيئًا، وما عليه إلَّا فعل ما يُرضي الله تِجَاه نَفْسِهِ، وتِجَاه الآخرين!

نسأل الله -سُبحَانَه وتعالىٰ- أن يرزقَنَا الوفاء بجميعِ العُهُود حتَّىٰ نلقاه!



من أقوال الراسخين

لمَّا كان معاوية بن أبي سفيان في أرضِ الرُّوم، وكان بينه وبينهم أمَد، أراد أن يدنو منهم، فإذا انقضىٰ العهدُ غزاهم فقال له عمرو بن عنبسة: الله أكبر يا معاوية. وفاءٌ لا غدر. لقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ كانَ بينَه وبينَ قومٍ عهد؛ فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتَّىٰ ينقضي أمرُها، أو ينبذ إليهم علىٰ سواء». فرجع معاوية بالجيش.

قال ابن عطيّة -رحمه الله تعالىٰ- في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾.

شبَّهَت هذه الآية الّذي يحلف أو يُعاهد أو يُبرم عقدًا بالمرأةِ الّتي تغزلُ غَزْلَها وتفتله محكما، وشبّه الّذي ينقضُ عَهْدَه بعد الإحكام بتلك الغازلة إذا نقضت قوىٰ ذلك الغزل فحلّته بعد إبرامه. **[المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي]**

(قال ابنُ الجوزيّ -رحمه الله تعالىٰ- إنَّ نقضَ العهدِ مِنْ صفاتِ الفاسِقِين)

(زاد المسير) لابن الجوزي

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وتأتي البُشرىٰ العظيمة للمؤمنين، بشِّرهم يا محمَّد بجنَّاتٍ تجري من تحتِهَا الأنهار، أنهارٌ من لَبَنٍ وعَسَلٍ مصفًّى، وبساتين فيها من كُلِّ أنواع الفاكهة، مُتشابِهة مع فواكهِ الدُّنيا في الاسم، مُختلفة في الطَّعم، وللمُؤمنين فيها زوجات مُطَّهرَّات من كُلِّ عيب، وَهُم فيها خالِدُون .. يَخْلُدُون في ذلك النَّعيم فَرِحين بفضلِ الله ومنَّتِه .. نسألُ اللهَ من فَضْلِه العظيم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

لمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾.

ونَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾.

قالَتِ اليَهُودَ: وما هَذا مِنَ الأمْثالِ؟! فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، **قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.** [(زاد المسير) لابن الجوزي]

اللهُ لا يستحي من ضربِ الأمثال بالأشياء الصغيرة أو ما فوقَهَا في الصِغَر، فالحكيمُ يضعُ كُلَّ شيءٍ في مَوْضِعِهِ ويضربُ الأمثالَ للنَّاس كَيْ يَتَفكَّروا ويُسْلِمُوا، فأمَّا مَنْ آمَنَ فيخضع وينقاد، وأمَّا من كَفَرَ فيعترض ويتسَاءل: ماذا أرادَ اللهُ بهذا؟

والله يُضلُّ مَنْ يَشَاء، يُضلُّ من يُعرضُ عن الحق، ويَهْدِي من يَنْقادُ بقلبهِ لأمر الله، ولا يُضلُّ اللهُ إلَّا الخارجين عن طاعتِه المُتَكَبِّرين عن الاستسلام لدينه!

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.

من خَرَجُوا عن طاعةِ الله وخَانُوا العهدَ الَّذي بينَهُم وبينَ الله، والَّذي بينَهُم وبينَ النَّبي، قَطَعُوا جميعَ الوصال؛ صلة الإيمان وصلة الرَّحم وكلَّ وصلٍ فيه خير، أولئك المُفسدون الخاسرون .. نسأل الله النَّجاة

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

كيف تكفرون بالله وهو الذي خلقَكم وأنعمَ عليكم بجميل النِّعم؟

استفهامٌ للتوبيخ، والوجودُ في ذاتِهِ نعمة .. البعضُ قد يسخطُ علىٰ وجُودِه، ولا يُدركُ أنَّ خَلْقَهُ نعمةٌ عظيمة، وجُودٌ ثم بَيَانٌ للطَّريق وإعانةٌ عليه لمن طَلَبَهُ بصِدق ثمَّ خُلُودٌ في الجنَّةِ إلىٰ

مَا لا نهاية، فكيفَ تَكْفُرُ نعمةَ من خلقَكَ وأكرمَكَ وتَفَضَّل عليك!

خَلقٌ ثُمَّ إماتةٌ ثُمَّ بعثٌ ثُمَّ خلُودٌ في جنَّة النَّعيم..

أَحْيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحيِيكُم ثُمَّ إلَيه تُرْجَعُون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

خَلَقَ اللهُ لَكُم جميعَ النِّعم، فتأمَّلوا في خلقهِ وتسخيرِهِ لجميعِ ما في الأرضِ لكم؛ لتتأمَّلوا في مُختلف النِّعم ولا تُعاملوها بإلفٍ واعتياد، خَلَقَها لكم لتنتفعوا بِهَا ثُمَّ قَصَدَ إلىٰ السَّماوات فأحْكَمَهَا وأتْقَنَهَا، وهُو بِكُلِّ شَيءٍ عليم.

فائدة: هذه الآية تقتضي أنَّه خَلَقَ السَّماءَ بعدَ الأرض، وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ ظاهرهُ خلاف ذلك، والجواب من وجهين: أَحَدُهُمَا: أنَّ الأرضَ خُلقت قبل السماء، ودُحيت بعد ذلك فلا تَعارُض، والآخر: تكون ثُمَّ لترتيب الأخبار.

(تفسير ابن جُزَي)



ومضات تنير الطريق

- اللهُ يُبشِّرُ المؤمنينَ بالجنَّةِ، فليسعْ إليها كلُّ مُحِبّ (ألَا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غالية، ألَا إنَّ سلعةَ اللهِ الجنَّة).

- الوفاءُ بالعهدِ مِنْ شِيَمِ الصَّالحين، وخيانةُ العهدِ مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِين؛ وَمَن كان وفيًا في الوُعودِ الصَّغيرة حَفِظَ العُهودَ الكبيرة!

- حياتُنا نعمةٌ ووجُودُنا فَضْلٌ؛ فلنشكرْ ربَّنا بالعُبُوديَّة، والعاقبةُ خلودٌ في الجنَّة!



خليفة

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

- لَنْ يَطولَ منِّي مليمًا واحدًا، هذا ولدٌّ فاشل ولن يأتيَ منه خير.

قالها عبدُ الكَّريم في غضبٍ شديد وهو يجلسُ بجوارِ زَوْجتهِ، كان بدينًا أصلع الرَّأس عيناه لامعتان بارزتان، يلتمع فيهما شرهٌ للدنيا!

نَظَرَت إليهِ زوجتُهُ حِكْمَت في سُخْريةٍ مُستَتِرَة، وقالت:

تذكَّر ماضيك يا عبد الكَّريم، واتَّهِمْ الجينات!

نَظَرَ إليها نظرَةً ناريَّة، وسألها:

- ماذا تَقصِدين يا حِكمَت؟

لَم تَعْبَأ بنَظْرَته وغضَبِه، وردَّت بحدَّة:

- حالُك كان أسْوأ من حالِ ابنك علي .. لم تتعلَّم ولم تَنْجَح إلَّا بخروجِ الرُّوح، وماتَ أبوك بسببك، لا تطلبْ من ولَدِك ما لَمْ تفعله!

استشاطَ غضبًا، وصاح في وجهها:

- ومَن أخبَرَكِ أنَّني أريدهُ أن يتعلَّم؟ وماذا سَيَعمل بالعلمِ؟ المُهم المال وكيف يأتي به، أريدُهُ أن يترُكَ اللَّعب الَّذي يُنفق فيه حياته وينزل إلىٰ السُّوق .. يتحرَّك!

وعلَّم آدم الأسماء كلَّها يا عبد الكريم، ربُّك كرَّم آدم علىٰ الملائكة، العلمُ سيجعله يفوزُ بالدُّنيا والآخرة، باركَ اللهُ في عادل وعافاه من أفكارِك..

تنهدَّت تنهيدةً قصيرة وركَّزَت عَيْنَيْهَا في عَيْنَيْه، وقالت:

احذرْ من ازدراءِ علي يا عبدَ الكريم، عادل ابني وعلي ابني، **لا يمنَعُك سخطُك علىٰ علي من تقديرِه واحترامِه،** فترة وستمرُّ وسيتغيَّر **ويُعمِّر الدُّنيا بإذن الله!**

قالت عبارتها الأخير وقامت إلىٰ مَطبَخِها، وتركته يُتابعها بنظراتِه السَّاخِطة!

....

علِّل رقم (١)

لتقليل المُقاومة الكليَّة المكافئة توصل المقاومات علىٰ التوازي.

الإجابة: لأنَّ المُقاومة الكلية المكافئة سوف تكون أقل من أي من المقاومات المتصلة علىٰ التوازي.

علِّل رقم (٢)

يتوهَّج (سلك التنغستن) عند إيصاله بتيَّار كهربائي.

الإجابة: لأنَّ (سلك التنغستن) ذو مقاومة كبيرة جدًا؛ مما يُحوِّلُ أغلب التيَّار المار فيها إلىٰ طاقة حرارية يسبب في توهج واحمرار السلك.

علِّل رقم (٣)

في كثيرٍ من الأجهزةِ الكهربائيَّة الحسَّاسة يُوضع بها المنصهرات (الفيوز)

الإجابة: لأنَّ هذه المُنصهرات لا تسمح إلَّا بمرور شدات تيار معينة حسب الجهاز الموصلة به، وعند زيادة شدة التيار عن المسموح به والمكتوب عليها فإنَّها تنصهر وتقطع التيار عن الجهاز؛ فيسلم الجهاز من التلف.

أَخَذَ عادل يدورُ في غُرفتِهِ بكتابِهِ، يُملي علىٰ أذنيه الأسئلةَ ثُمَّ يُجيب، وبينما هو مُستغرقٌ في المُذاكرة إذا بِصِيَاحِ أخيهِ علي يُقاطعه، وهو يلعبُ علىٰ حَاسِبِه الآلي.

- ما هذا الهذَيَان يا عادل؟ اتركْ هذا الصُّداع وتعال العب معي دورًا.

توقَّف عادلُ في مُنتصفِ الغرفة، ونظرَ إليه في مزيجٍ من الشفقة والغضب، وقال:

- هذَيَان وصُداع؟ أتُسمِّي العلمَ هَذَيان وصُداع يا علي؟ ألن تكفَّ عن استهتارِك بالعلمِ والدِّراسة؟

كانَ عليٌ أبيضَ البشرة بدينَ الجسم زائغَ العينين، لا يتركُ اللَّعبَ علىٰ الحاسبِ الآلي، ولا يتركُ الطَّعام إلَّا في ثلاثةَ أحوال، إذا نامَ أو دخلَ المِرْحَاض أو انشغلت يداه باللَّعب!

نَظَرَعلي إلىٰ عادل بسخرية، وهو يلوكُ الطَّعام في فمه، وقال:

- ابدأ الخطبة يا عالِم، هيَّا، اصعدْ علىٰ المنبر.

قالها ساخرًا ثُمَّ تصنَّع الجد وسأله:

- وما الذي سنجنيه من العلم يا صديقَ الكُتُب؟

نَظَرَ إليه عادل في يأس، وردَّ قائلًا:

- **العلمُ هو الحياة يا علي، اللهُ ﷻ خَلَقَنا واستخلَفَنَا كَي نعمِّرَ الأرضَ** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، **سخَّر اللهُ لنا ما في السَّماوات وما في الأرض، وكرَّمنا علىٰ جميعِ المخلوقات، فهل نُدرك رسالتَنَا في هذه الحياة ونتعلَّم ونعمل ونُعمِّر؟**

- لا أرىٰ عائدًا ماديًا لهذا العلم الذي تتحدَّث عنه، الكثير من النَّاس تعلَّمُوا وعملوا ولم يَجِدُوا شيئًا، علىٰ الأقل أنا أتلذذُّ بِمَا أنا فيه.

- أنت تتلذَّذُ لذةً وقتيةً موهومة يا علي، لذةٌ سيعقبها الألم في الدُّنيا وقد يمتَّد إلىٰ الآخرة، نعم لا أُنكر عليك التَّرويح واللَّعب بعض الوقت، ولكن أن تُصبحَ حياتُك كلُّها لعبًا وبلا

هدف فتلك الحياة التَّعيسة، **أنتَ لا تُقدِّر قيمتَكَ في الحياة، تقتل روحَكَ ولا تَدْرِي.**

اللَّذة الحقيقيَّة أن تتَّسقَ حياتُك مع الهدفِ الَّذي خلقَك الله مِنْ أجْلِه، العُبُوديَّة والسِّيادة، العُبُوديَّة لله وسيادة الأرض بالعلمِ والعملِ والتَّعمير، أمَّا عن المادة التي لا يجدُها من يبذل ويتعلَّم فأنت واهم.

تثاءبَ عليٌ في إشارة إلىٰ استهتارِهِ بكلام أخيه، ولكنَّ الأخير لم يَعبأ به، وأكمل قائلًا:

نَعَم في الغالب لا يُقدَّرُ العلمُ والعلماءُ (ماديًا) لأسبابٍ مُختلفة، ولكنَّ العلمَ في ذاته لذَّة ووصولٌ وقيمةٌ لا يُدانيها شيء، وحتَّىٰ نفي تقدير العلم ماديًا علىٰ إطلاقه لا يصح، ففي بعضِ الدُّول وفي كثيرٍ من الأزمنةِ تمَّ تقديرُ العلماءِ أكثر ممَّا تتصوَّر، ويبقىٰ التَّقدير الذَّاتي لطالبِ العلم ثُمَّ الأثر الدنيوي والعاقبة الأخرويَّة لهم عظيم القيمة عند من ينوي طلب العلم ويسلك طريقه!

استمرَّ عليٌ في تجاهله، ولكنَّ عادل تنهَّد تنهيدةً قصيرة ثُمَّ قال:

قدرُك عظيمٌ عند اللهِ يا علي ودورُك أعظم، قدرُك ودورُك يناسِبُهُمَا العلمُ والعمل، والتَّرويح وقت التَّرويح، لا أن تجلسَ طوال اليومِ هكذا وتنسَىٰ دورَك في الحياةِ أو تتناساه!

قال علي بلا مُبالاة مُستفزة:

- انتهيت من خطبتك؟ دعني أُكمل هذه المرحلة حتَّىٰ أستعدَّ للغداء.

قال عادل وقد يئس منه:

- وأنا سأرتدي ملابسي وأسير قليلًا؛ لعلي أنسىٰ وَقْعَ لامبالاتك علي!

. . . .

تَعَالَىٰ صراخُ حِكْمَت في المنزل..

- أدْرِكني يا علي، أدْرِكني يا عادل، حُجْرةُ عبد الكريم تحترق!

انتفضَ عليٌّ من مكانه، لم يكن عادل قد عادَ من الخارج، أخذَ الأوَّل يملأ الزُّجاجات الكبيرة والأطباق، ويجري تِجَاه أمِّهِ ويُساعدها في إلقاءِ المياه داخل الغُرفة، ولكنَّ النَّار ازدادَت تأجُّجًا، خَارَت قُوىٰ حكمت وفَقَدت وعيَها من كثرةِ الدُّخان والإجهاد، حَاوَلَ عليُّ الاستمرار في إلقاء الماء؛ ولكنَّه لم يجد نتيجة، بَدَأت قُوَّتُهُ في الانهيار أمام النَّار المُتأججة، وما لبث أن لَحِقَ بأمِّه فاقدًا للوعي، والنَّار لا زالت تأكل غرفة عبد الكريم وتزحف تجاه باقي البيت!

. . . .

- هُما الآن بحالة جيدة، الحمدُ لله.

قالها الطَّبيب لعادل مُعزيًا إيَّاه في والده، والتفت عادلُ إلىٰ الضَّابط الذي انتهىٰ من كتابة المحضر.

- ماسٌ كهربائي، كان يجبُ أن نتعاملَ مع النِّيران بثاني أكسيد الكربون وليس بالماء، الحمدُ لله، قَدَرُ الله ما شاء فعل.

نَظَرَ إليه الضَّابطُ في شفقة، وربَتَ علىٰ كتفيه قائلًا:

- الحمدُ لله أنَّك أدركتَ البيت قبل أن يحترقَ تمامًا، والدتك وأخوك بخيرٍ الآن، لعلَّك لو كنتَ موجودًا لتعاملت بحكمةٍ مع الحادث، ولكنَّها إرادة الله.

نَظَر إليه عادل في حُزن وشكره، وبعد انصراف الضَّابط والطَّبيب، نَظَر عادلُ إلىٰ والدتهِ في امتنان وقال:

- الحمدُ لله علىٰ وُجُودِكِ في حياتي يا أمِّي، رحمةُ الله عليكَ يا أبي!

تساقطَتْ الدُّموعُ من عينيه ونظرَ إلىٰ أخيهِ الرَّاقد في غيبوبته نظرة عتاب، وقال في نفسه:

- أدركتَ الآن قيمةَ العلمِ يا علي؟، كانَ يُمكنُك ألَّا تستخدم الماءَ وتُنقذ أباك، نعم هذا قَدَرُ الله، ولكنْ جهلُك اختيارُك يا علي، جهلُك اختيارُك!

ألقىٰ عليهما نظرةً أخيرة ثُمَّ جرْجرَ قدميه في حزن، وتركَ الغرفةَ يُغلِّفها الصَّمت.

. . . .

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٣٠-٣٧].

راسخٌ ومُستخلف

كُلُّنا يبحثُ عن التَّقدير، لا يُوجدُ أحدٌ لا يُحبُّ أن يُقدَّرَ من الأبِّ أو الأمِّ أو الأصدقاءِ أو أي قريبٍ له مَكانةٌ عندَ الإنسانِ بوجهٍ عام.

تقديرُ الإنسانِ قَدْ يَكُونُ مُسْتَحَقًا، كتقديرِ الأبِ لابنهِ المُتفوق، وقد يكونُ مُتَكَلَفًا أو مُجرَّد مُجاملة، كما يَحدثُ مع الطِّفل الذي يُغرقُهُ والداه بالثَّناءِ رغم تعثُّرِه المُستَمِر، لا لشيءٍ إلَّا لِغَرْسِ الثِّقةِ فِي نَفْسِهِ، وإشباعِ غريزة التَّقدير لديه.

أمَّا إذا تأمَّلنا **التَّقديرَ الخالصَ** الذي لا يَنْتَفِعُ به المُقدِّر ولم يَسْأَلْهُ المُقدَّر، فسنجد قولَ الله ﷻ:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

وقوله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

والآياتُ كثيرةٌ ومُتنوعة في تقديرِ الرَّبِّ -سُبحانه وتعالىٰ- للإنسان، وخَلْقِهِ إيَّاه في أحسن تقويم، وإيْجَادِهِ كَيْ يَنْعَمَ بِمَا سخَّره لَهُ في الدُّنيا مِن نِعَمٍ ثُمَّ المآلُ الجنَّة -بفضلِ الله-؛ إذا حقَّقَ العُبُوديَّة وفَهِمَ رسالتَهُ في الحياة!

وهَا هُنَا سؤال!

هل نَعِي جميعًا فكرةَ تقدير اللهِ للعبادِ وفكرةَ الاستخلاف؟

يقولُ الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ: عن ابن عباس **(إلا ليُقرُّوا بعبادتي طوعًا أو كرهًا، وهذا اختيار ابن جرير).**

فالعبوديَّةُ حقٌ علىٰ جميعِ المخلوقات . . رَضُوا أو كَرِهُوا ورفضوا، **ومَنْ تأمَّل في عظمةِ الخالق أدركَ أنَّ العبوديةَ لَهُ تشريفٌ قبل أن تكونَ تكليفا . .**

حسنًا، لنتخيَّل معًا هذا الفرض؛ كي نُدركَ قيمةَ ومآل العبوديَّة!

لو عُرِضَتْ علينا الجنَّةُ بِنَعِيمِهَا ثُمَّ ذُكِرَ لَنَا ما سنعيشُهُ ونَجِدُهُ فيها، وسُردَتْ لنا الابتلاءات التي سنواجِهَهَا في حياتِنا ثُمَّ نَمُوتُ وندخلُ الجنَّة؛ هل سنُوافق علىٰ خوضِ غمار الحياة وابتلاءاتها؟

بالطَّبع هذا فرضٌ خيالي، ولكن يقينًا لن يرفضَ أحدٌ العيشَ ستِّين عامًا، كَثُرت أو قلَّت، ثُمَّ يُخلَّد بعدَ موتهِ مليارات لا مُتناهية من السِّنين، يتقلَّبُ في نعيم لَمْ يَرَه في الدُّنيا ولم يَسْمَعْ به ولم يَخْطُر علىٰ قلبِ بشر؛ وَلَوْ عُرِضَ ذلك النَّعيم عليه في الدُّنيا ورآه بعينيهِ لفَقَدَ عَقْلَهُ مِن عظمةِ ما يَرىٰ!

إنَّ مِنْ تمامِ عَظَمَةِ الخالقِ وَكَمَالِه وحِكْمَتِه ألَّا يُسْأَل عمَّا يفعل، ومن تمامِ عُبُودِية المخلوق أن يُسلِّمَ لربِّهِ ويثقَ ثقةً تامةً في حِكْمَتِه، ولا يلتفت إلىٰ الأسئلةِ المُشكِّكة والتي مردها الرَّئيس إلىٰ خطأِ التَّصور الإنساني للعبودية، وغياب الإدراك الواعي للهدفِ من الخلق!

التَّصور الخاطئ للعُبُوديَّة جعلَ القلوبَ الغافلة لا تُقدِّرُ خالقَها حقَّ قدره، وتتراكمُ هواجِسُها لتكوِّن أسئلة مثل: لماذا يخلقني الله؟ ولماذا لم يسألني قبل أن يَخْلُقَني؟

نَعَم هُناك أسئلةٌ كثيرةٌ تَرِدُ في أذهانِنَا، وأي سؤال ديني أو دنيوي يفتقرُ للإجابة عليه إلىٰ معلومات.

عندما تتوهُ في شوارع القاهرة فأنتَ تسألُ أهلَ الخبرةِ كي تصلَ إلىٰ بُغيَتك.

عندما تتقدَّم للالتحاقِ بكليةٍ فأنتَ تسألُ عن موادِّها ومدىٰ صُعُوبَتِهَا وتستفسر عن مستقبَلِهَا المهني!

عندَ ذهابِك لخطبةِ فتاةٍ فأنتَ تُكثرُ من التَّحري عن العروسِ كي تبنيَ حياةً سعيدةً؛ فتسأل عنها وتسألها!

جميعُ الأسئلة التي نسألُها هَدَفُها الوصولُ إلىٰ شيءٍ مَا، وكي نصلَ إلىٰ ذلك الشَّيء نسأل أهلَ الذِّكر (أهل الخبرة)، نبحثُ كي نصلَ ونتأمَّل في المسئولِ عنه وفي الطَّريقِ المُوصِلِ إليه . .

فكيفَ بِنَا ونحنُ نَبْحَثُ في قضيةِ حياتِنا وقيمتِها . . وجودنا وسببه . . الخالق العظيم الذي أوجدنا.

والعجيب أنَّ بعضَ مَنْ يسأل مِن المُلحدين المُشكِّكين: لماذا خلقنا اللهُ في هذه الدُّنيا وما فيها من بلايا؟ يتمسَّكُ بحياتهِ ولا يُنهيها مع زعمهِ أنَّها شاقة وكُلُّها شُرُور!، ومع أنَّه يعتقد أنَّ نهايةَ حَيَاتِهِ لَنْ يَعْقُبَهَا ثوابٌ ولا عقاب؛ فلماذا إذًا يُبقِي علىٰ حياتِه ويرضىٰ بالقليلِ من اللذَّات التي يُقرُّ بوجُودِها؟

أليسَ الموتُ الذي لا يعقبُهُ ثوابٌ أو عقابٌ راحة مِن تلكَ الدُّنيا الشريرة؟

يقينًا هذه ليست دعوة إلىٰ الانتحار، ولكنَّها صَيْحة في أُذُنِ كُلِّ مُلحدٍ كي يفيقَ من غَفْلَتِه!

حسنًا، ماذا ينبغي للنَّفس الصَّادقة التي تُقدِّرُ نعمةَ الوُجود، وتَسْعَىٰ للاستمتاعِ بالعُبُوديَّة **وتَعْمِيرِ الأرضِ بالعلمِ والعمل؟**

١- تتعرَّف علىٰ خالِقِها وتبحث في أسمائهِ وصفاتهِ وتتأمَّل في الإعجاز المُتمثِّل في ذاتِها وفيما حولها، ولو شَغَل العبدُ نَفْسَهُ في عُبُوديَّةِ التَّأمُّل لعاش قَلْبُهُ في جنَّة السَّكينة، وتوقَّد ذِهنُه انبهارًا بخلق العظيمَ! (والدُّعاء مفتاحُ كُل خير)

٢- قراءة آيات الله الكريمة وسنَّة النَّبي ﷺ والتَّأمُّل في مواطن الحديث عن قيمةِ الإنسانِ ودَوْرِه في الحياة.

٣- صُحبة أولي الهمم، والقراءة في سيرِ العُظماءِ من الصَّحابة والتَّابعين، **مع إدراكِ التَّفاوتِ بينَ العُصُورِ واختلافِ الظُّروف** (ولنتذكَّر حديثَ النَّبي: إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَىٰ الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ[١]، وتَبْقَىٰ الفُرَصُ مُتَاحةً للجَمِيعِ كَيْ يَتَسَابَقُوا في العلمِ والعمل.

(١) صحَّحه الألباني، وتأمَّل في عظيم الثَّواب لكثرة الفتن واختلاف الظُّروف

٤- تذكير النَّفس دائمًا -ويُفضَّل أن نكتبَ في جلسة المُحاسبة الأسبوعيَّة مظهرًا أو مظهرين لتكريم الله لنا ونعمه التي تُحيط بنا- بقيمتها وتكريم الله لها **وفضل العلم الَّذي يقرِّب من الله، وفضل نعمة الوجود**[١].

٥- عُبُوديَّة الله وإدراك قيمتها: أن نستمتعَ بِهَا ونعيش في سبيلِ اللهِ إلىٰ أَنْ نَموتَ في سبيلِ الله!

نسألُ اللهَ تعالىٰ أَنْ يُكرِّمَنَا بالعبُوديَّة، ويُشرِّفَنَا بخدمةِ دينِه.



(١) يذكر موقعُ مُنظَّمة الصِّحَّة العالميَّة علىٰ الشبكةِ أنَّ هُنَاكَ ٨٠٠٠٠٠ شخص يلقىٰ حَتْفَهُ سنويًا بسببِ الانتحار، وكانت السويد في بعض السنوات -وهي من أعلىٰ الدُّول عالميًا في المستوىٰ المعيشي- علىٰ رأس الدُّول في نسبة الانتحار.. رقمٌ عجيب وربَّما يصل إلىٰ أكثر من ذلك؛ والسَّبب الرَّئيس: جهلُ العبادِ بسببِ وجُودِهم وعدم تقديرهم لنعمةِ حياتِهِم وفطرتهم التي فُطروا عليها!

من أقوال الراسخين

«المؤمنُ أكرمُ علىٰ اللهِ مِنْ ملائكتِه»

أبو هريرة رضي الله عنه

يُرْوَىٰ عنْ زيد بن أسلم أنّ الملائكةَ قالت: ربَّنا إنَّك أعطيتَ بني آدم الدُّنيا، يأكلون منها ويتمتَّعون ولَمْ تُعْطنا ذلك فأعطناه في الآخرة»، فقال:

«وعزَّتي وجلالي، لا أجعل ذرِّيَّة من خلقت بيدي، كمن قلت له كن فكان».

قال الطَّبريُّ في تفسيرِ قولِهِ تَعَالىٰ:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ .. الآية: يقول -تَعَالىٰ ذكرُهُ- ولقد كرَّمنا بني آدم بتسليطنا إيَّاهم علىٰ غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم، ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ علىٰ ظهورِ الدَّوابّ والمراكب، وفي البحر في الفلك الّتي سخَّرناها لهم، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي طيِّبات المطاعم والمشارب، وهي حلالها ولذيذاتها ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ وَفَضَّلْناهُمْ عَلىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا وذلك تمكّنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها، ورفعها بها إلىٰ أفواههم، وذلك غير مُتيسِّر لغَيْرِهِم من الخلق.

تفسير الطَّبري

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

والله تَعَالىٰ يعلمُ كلَّ شيء .. عليمٌ حكيمٌ لا يخلقُ شيئًا عبثا ..

لمّا خَلَقَ الله ﷻ آدمَ واصطفاه خليفةً ليُعمِّرَ الأرضَ، قَالَت الملائكةُ: نَحْنُ نُسبِّحك (نُنزهك عَنْ كُلِّ سوء مُثنينَ عليك) ونُقدِّس لك (ونُطهِّر ذكرك عمَّا لا يليق بعظمتك)، أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها بالمعاصي وغيرها؟

سُؤالُهُم لم يَكُن اعتراضًا علىٰ اللهِ، حاشاهم، أَعْلَمَهُم اللهُ بإفْسَادِ بني آدم، (ومِنْ هُنا قالوا: أتجعلُ فِيهَا مَنْ يُفسدُ فِيهَا؟) فسألوا عن الحكمة في ذلك.

فقال الله: إنِّي أعلمُ ما لا تَعْلَمُون..

خَلْقُ آدم وذريَّته فيه خيرٌ وحكمة، منها المعلوم ومنها ما لا يعلَمُهُ إلَّا الله.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

ولـمّـا كـان سـؤالُـهُـم فـيـه تـفـضـيـلٌ لأنْـفُـسِـهِـم عـلـىٰ مَـنْ

سَيَسْتَخْلِفُهُ اللهُ في الأرض، علَّم اللهُ آدمَ أسماءَ الأشياء كُلِّها ثُمَّ عَرَضَهُم علىٰ المَلائكَةِ وسَأَلَهُم امتحانًا لَهُم، وليُجِيبُوا إِنْ صَدَقُوا في ظَنِّهِم الأفضليَّة علىٰ آدم.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قالوا في انقيادٍ وتَسْلِيم: نُنزِّهُك عَنْ كُلِّ نقصٍ يا رب، ولا عِلْمَ لَنَا إلَّا ما علَّمتنا، إنَّك أنتَ العليمُ بكلِّ شيء، الحكيمُ الذي تضعُ كُلَّ شيءٍ في موضِعِه المُناسب له.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

أمَرَ اللهُ آدمَ أنْ يُخبرَهُم بالأسماءِ التي علَّمَهَا اللهُ له، فلمَّا أخبَرَهُم تيَّقنوا مِنْ فضلِ آدم عليهم، وقال الله: أَلَمْ أَقُل لَكُم إنِّي أعلمُ الغيب، غيبَ السَّمواتِ والأرض، وأعلمُ السرَّ والعلانيَّة، وقِيلَ المَقْصُود: يعلمُ ما يُخفيه إبليس من كِبْرٍ ويكتمه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ثُمَّ أمرَهُم بالسُّجود لآدم (سجود تحيَّة وتعظيم)، فَرَفَضَ إبليسُ لإضمارهِ الكِبْر والعناد.. أخفىٰ الكُفرَ وظَهَرَ عِنَادُه عندَ الاختبار في طاعَتِهِ وخُضُوعِهِ لله، وفي الآيةِ فضلُ العلمِ وفضلُ آدم، وفضيلةُ الانصياع لأمرِ الله.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ثُمَّ تَبْدَأُ قصةُ الاختبارِ الخالدة .. كُلَا ممَّا شِئتُمَا أنت وحواء، ولا تَقْرَبَا هذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا من الظَّالمين.

(رَغَدًا: أكلًا هنيئًا لا عَنَاءَ فيه)

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيطانُ وأوقَعَهُمَا في الخَطِيئةِ وأكَلَا مِن الشَجَرةِ، وكان بلاؤُهُما النُّزول إلىٰ الأرضِ، وبدايةَ رحلة العَدَاوَة بينَ بني آدم والشَّيطان حتَّىٰ يأتي يوم القيامة. .يوم الحساب.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

أَلْهَمَ اللهُ آدمَ كلمات (ربَّنا ظَلَمْنَا أنْفُسَنَا)؛ فتابَ اللهُ عَلَيْهِ، وهو التَّوابُ لِمَن أقرَّ بذَنْبِه وَرَجَعَ إليه، رحيمٌ بعبادِه رؤوفٌ بهم، حتَّىٰ إنَّ الشيطانَ يَطْمَعُ في رَحْمَتِه .. اللهمَّ اغفرْ لَنَا وارحَمْنَا يَا رَحِيم.

ومضات تنير الطريق

- الإصرارُ عَلَىٰ المَعَاصِي يَصْنَعُ أقفالَ القُلُوب، فَلْنَحْذَر.
- الاستِسلامُ طَريقُ النَّجاة، والكِبْرُ طريقُ الهَلَاك.
- بالعلمِ والتَّقوىٰ يَعْلُو العبدُ في الدُّنيا والآخرة.

اللهُ حكيم، فامضِ في الحياةِ مُوقِنًا بلُطْفِهِ وتَقْدِيرِه المُنَاسِب لك وتضرَّع (تذلَّل) له؛ كَيْ يتفضَّل عليك ويُرضيك.







وَحْـلُ النِّسيان

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

هذه أرضٌ مُباركة، سِعرُها يزيدُ كلَّ عام ربع مليون جنيه، ومُسجَّلة في وزارةِ الإسكان وفي الشَّهرِ العقاري.

التفتَ عبدُ الحكيم إلىٰ محمد وهما يقفان وسطَ الصَّحراء، كان عبدُ الحكيم كهلًا بدينًا مُتوردَ الخدَّين ذا عينين جاحظتين لامعتين، وكأنَّ الدُّنيا تتزيَّن أمامَه طوال الأربع والعشرين ساعة؛ فتتألَّق عيناهُ من انبهارِه بِفِتَنِهَا!

- يعني بعدَ خمس سنوات يتضاعفُ سعرُهَا؟

سأله محمدٌ بينما يلتمع الطَّمع في عينيه، فأدركَ عبد الحكيم ظفَرَهُ بالفريسة وقال:

- يتضاعفُ سعرُهَا؟ أنا عبد الحكيم يا حاج محمد، والأجر علىٰ الله..

انْتَظِرْ مُضاعفةَ سعرها مرَّتين علىٰ الأقل!

اتَّسعت عيناه وأُرضيَ طمعُه وسُرَّ وَكَأنَّه يرىٰ الأموالَ المُضاعفة أمام عينيه.. أخذَ بيد عبد الحكيم وسارا معًا، وهما يَجولان بأنظارهما في الأرضِ الشَّاسعة مع ابتسامةِ ظفرٍ تعلو وجهيهما، وكُل ابتسامة كان وراءها نيَّة لا يَعلُمها إلَّا الله، وصاحبها!

. . . .

- القانونُ لا يَحْمِي المُغفَّلين يا حاج محمد!

صاحَ الضابطُ في وجهِ محمَّد، والأخير ينظرُ إليهِ بعينين خاويتين. .

عبد الحكيم نَصَبَ عليه، وباعَ له أرضًا مملوكة للحُكُومة بأوراق مُزوَّرة!

لَمْ يَسْتَطِعْ من شدَّة اغتراره بالرِّبح المزعوم أن ينتبه لما كانَ يُحاك له، كانت خدعةٌ مُحكمة بلا شك، ولكنَّه قصَّرَ في كشفِ تدليسِ عبد الحكيم، كان عليه أنْ يتريَّث قليلًا قبلَ أنْ يُتمَّ الصَّفقة، ويقع في هذه المصيبة!

- النِّيابةُ ستُتَابع القضيَّة يا حاج محمد، يُمكنُكَ أن تذهبَ الآن.

قاطَعَت جملة الضَّابط شرودَه من تفاصيلِ المُصيبة التي وقعَ فيها، فالتفتَ إليه بعينيه الشَّاردتين، ثُمَّ سارَ إلىٰ بابِ القسمِ بخُطا ثقيلة، وكأنَّه يَحمِلُ هُمومَ الدُّنيا كُلَّها فوقَ عَاتِقَيْه!

. . . .

- وعهدَ اللهُ سوفَ نُعلن زواجَنا قريبًا يا مايسة، هل تُريدين إعلانًا في التِّلفاز أم عشرين يافطة في شارع بيتكم؟

انفجرَ عبدُ الحكيم ضاحكًا، وهو يجلسُ علىٰ الشَّاطئ بجوار مايسة، كانت تُنَافِسُه في البَدانةِ، معَ بشرةٍ قمحيةٍ وأنفٍ

أفْطَس حمَّرته أشعةُ الشَّمس مع عينين ضيِّقتين تُركِّزان في كُلِّ شَيء!

عَدَّلَت من رابطةِ شَعرِها، وأدْخَلَت الخَصْلَة السَّميكة التي تتدلَّىٰ مِنْهَا، ونَظَرَت إليه بعينيها الضَّيِّقتين، ورموشهما تنتفضُ في غضب، وقالت:

- نحنُ معًا مُنذُ خمس سنوات يا عبدَ الحكيم، أنا حُلَّ شَعْرِي[1] في المشي معك!

قَطَعت بقولِهَا ضحِكَهُ المُتواصِل، ونَظَرَ إليها بعينيهِ الجاحِظَتين في غضب صائحًا:

- وهل تَعَاقَدنَا علىٰ الزَّواجِ يا مايسة؟

وحتَّىٰ لو تَعَاقدْنَا، أنتِ تعلمين أنَّ عُقُودِي كلها (فشنك)!

أطْلَقَ رصَاصَتُه في وَجْهِهَا وقامَ وَتَرَكَهَا، ثُمَّ التفتَ إليهَا مرةً أُخرىٰ، وأطلقَ ضَحكَاتِه مرةً أُخرىٰ مخلِّفًا وراءَه نارًا مُوقدة من الغضب!

- سأعطيك عشرةَ آلاف جنيه مُقدَّم يا عبده، ورفقتي شهرا!

قالتها مايسة لرجلٍ ضخمَ الجثَّة، يتدلدلُ كرشُه نصف متر أمامَه، عيناه واجمتان من الإفراطِ في السُّكْر!

(١) يقولون عن البنت التي لها علاقات محرمة: ماشية علىٰ حلِّ شعرها، فلطول المشي ينحل الشَّعر

نَظرَ إليها عبده نظرةً ليس لها معنىٰ، قال:

- الشَّهر خليه لكِ، اختلي بنفسك لعلَّكِ تنفجرين من الوحدة ونخلص منكِ. .عبد الحكيم ليس رخيصًا إلىٰ هذا الحد!

تصنَّعت ملامحَ كبرياء لا يليقُ بها، ونَظَرَت إليه في تأفُّف وقالت:

- ٢٠

- لا تكفي!

تَنَهدَّت تنهيدةً طويلة، وقالت في غضب:

- ٣٠، ولن تأخذَ مليمًا غيرها، البلطجية أكثر من الهمِّ علىٰ القلب!

نَظَر إليها نظرةً ساهمة وكأنَّه معتوه، قال:

- اتفقنا!

التمعت عيناهَا الغائرتان في ظَفَر، وابتسمت ابتسامةً كلها شماتة!

. . . .

جَلَسَ عبدُ الحكيم مُتكئًا علىٰ سَريرِه في سَعَادة، وراح يتأمَّل سنيَّة بنظرات شغوفة. .

كانَت طيِّبة المعشر هادئةَ المَلَامِح، نَحافَتُها تُنبئ بمرضٍ لا برشاقة.

- أنتِ بنت حلال يا سنيَّة، بعتُ الأرضَ بخمسة مَلَايين دُفعة واحدة!

نَظَرَت إليهِ بعينين فِيهِمَا الكثير من اليأس، قالت:

- يا عبدَ الحكيم، نحنُ نعيشُ في سترٍ ونعمةٍ من الله، **تتوالىٰ نزواتُك، ومع كُلِّ نزوةٍ يُعافي اللهُ ويُنعم، أرجوك . . تفكَّر في سِتْرِ اللهِ ونِعَمِه علينا وتَتَابعِهَا وتُبْ إليه!**

كان يُحبُّها وَيَعْشَقُ قَلْبَهَا الأبيض، ولكنَّه امتَعَضَ من ذكرِ التَّوبة، وكأنَّها ستُفقره وتسلبه كُلَّ مَا يملك!

نظرَت إليهِ والدُّموع تتلألأُ في مُقْلَتَيْهَا، وأكمَلَت:

- **أنتَ لا تُصلِّي يا عبدَ الحكيم، هذه أكبر مُصِيبة، كيفَ تكونُ مُوحِّدًا بالله ولا تُصلِّي؟**

سألته وزفَرَت زفرةً كُلَّهَا حُزن، وسألَته مرةً أُخرىٰ:

- **عبد الحكيم، هل تُوقنُ في لِقَاءِ الله؟**

نَظَرَ إليهَا لحظة، وقال:

- كُلُّنا سنموتُ يا سنيَّة، غيِّري الحديث وهاتي لنا شيئًا نشاهده في التلفاز!

- **لا يا عبد الحكيم، لَنْ أفتحَ التلفاز، قُمْ وصلِّ لربِّك يا عبد الحكيم، استعنْ بالصَّلاة علىٰ نفسك وعلىٰ الدُّنيا التي خطفتك، لو أيقنتَ بلقاءِ الله لَنْ تنسىٰ الآخرة وتغوصَ في وحلِ النِّسيان؛ لو أيقَنْتَ بلقاءِ الله لعملت لهذا اللقاء!**

صاحَ في وجهِهَا غاضبًا:

- أنا قاعد ساعتين أفرفش معكِ، وأنتِ تقولين لي تُبْ وصلِّ؟ سلام عليكم يا سنيَّة، اهتَّمي بنفسك.

وقامَ وغادرَ المنزلَ، وتركَ وراءَه عينين مُنهمرتين بالدُّموع!

كانت السَّاعة الواحدة بعدَ مُنتصفِ الليل، وعبد الحكيم يجرُّ قدمًا ويُؤخرُّ الأخرىٰ ويسيرُ بلا هدف، وفجأة ووسط الظَّلام الدَّامس، اعترضهُ جسدٌ وقف أمامه مُتحفزًا وكأنَّه كان يتربَّص له!

لم يستطِعْ رؤيته في الظَّلام، ولكنَّ المُتَخَفِّي لم يَتْرُكْه يُفكِّر أو يُحاول رؤيته، انقضَّ عليه بكُلِّ قوةٍ ووجَّه خنجرًا إلىٰ صدرِه؛ فتحَاشَاه عبدُ الحكيم بذِرَاعِه، وقبضَ علىٰ ساعِدِه الأيمن ثُمَّ لكَمَه لكمةً قويَّة بيُسراه؛ فسقطَ الخنجروصاحبه، ومالَ عبدُ الحكيم بجسدِهِ السَّمين ليلتقطَ الخنجر، فوجدَ جسدًا آخرَ يَقْفِزُ فَوْقَ ظهرِه ويُمسكُ رقبَتَه بقوة، فحمَلَه ودارَ بِه، وإذا برصاصةٍ تخترقُ صدرَ المحمول!

كانَ الغريبُ الأوَّل قَدْ أَخْرَجَ سلاحَهُ وأطلَقَ الرَّصاصة، ولكنَّها أصابَت المُهاجِم الثَّاني، انطلقَ عبدُ الحكيم بالجثَّة ودَفَعَهَا في صدرِ الرَّجل فسقَطَا معًا، وأخذَ الخنجر وغرَسَه في صَدْرِه بكلِّ قوَّتِه!

تَسَارَعَت أنفاسُ عبد الحكيم لِمَا بَذَلَهُ من جُهْدٍ خلال تلكَ المعركةِ القَصِيرة، واتَّجَهَ نَحوَ الجثَّتين ليتعرَّف علىٰ ضيفيهِ

الثَّقيلين، فإذا بالأوَّل مُحمَّد الذي نَصَبَ عليه، وإذا بالثَّاني عبده البلطجي!

تَنهَّدَ عبدُ الحكيم تنهيدةً قويَّة، ورنَّت في أذُنَيهِ جملةُ سنيَّة:

تفكَّر في سترِ اللهِ ونِعَمِهِ علينا وتتابعها وتُبْ إليه!

لو أيقنتَ بلقاءِ الله؛ لن تنسىٰ الآخرةَ وتغوصَ في وحلِ النِّسيان!

وَقَفَ عبدُ الحكيم لحظةً يُحملقُ في القمرِ وسطَ الظَّلام الدَّامس، وخاطَبَه خاطرٌ قوي بدَاخِلِه قائلًا: لَمْ يَحِن وقتُ التَّوبة بعد!

ابتَسمَ عبدُ الحكيم ابتسامةً خبيثة، وأكْمَلَ طريقَه بلا هَدَف!




﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٨-٤٨].

راسخٌ مُستعينٌ بالصَّبر والصَّلاة .. مُوقنٌ في لقاءِ الله!

أن تَتَّبعَ ما تُمليه عليك نَفْسُك!

أن تتركَ النَّفسَ تسُوقُك إلىٰ الهلاك..

ما حولك من مُغريات يجذِبُك إلىٰ الدُّنيا!، فلا تَنْعَمُ بنظِامِ الدِّين الذي هو سببُ النَّجاة في الدُّنيا والآخرة!

ذلك اختيارٌ مُهلِكٌ لعبدٍ أنعمَ اللهُ عليه بالعقلِ وتفضَّلَ عليه بالفطرةِ السَّليمة

وقع بنو إسرائيل في اتبَّاع الهوىٰ؛ فأَرشَدَهم اللهُ ﷻ إلىٰ سبيل النَّجاة، الصَّبر والصلاة!

والأمرُعامٌ للنَّاس جميعا .. من أرادَ أن يَغلبَ هواه، فليستعن بالصَّبر والصَّلاة!

ومن الصَّبرِ حبسُ النَّفسِ عن اتِّباع الهوىٰ، وقهرها علىٰ الانصياع إلىٰ الحق، فَلَهَا ربٌ عظيمٌ أمرَهَا أن تُجَاهدَ و**بيَّن لَهَا سُبلَ التَّزكية**، فلا تُترَكُ هَمَلًا حتَّىٰ يَسُوقَهَا هواهَا ويُصبحَ صَاحِبُها وكأنَّه بلا عقل!

قالَ أبُو علي الثقفي: «من غلَبَه هواه تَوَارَىٰ عنه عقله، فانظرْ عاقبةَ من استترَ عنه عقلُه وظهرَ عليه خلافه»!

وقال علي بن سهل: «العقلُ والهوىٰ يتنازعان، فالتَّوفيق قرينُ العقل، والخُذلان قرينُ الهوىٰ، والنَّفس واقفة بينهما، فأيُّهما غَلَبَ كانت النَّفس معه»!

فهل يغلبُ الهَوَىٰ العقلَ؛ فنسيرُ في الدُّنيا كالأنعامِ؟

أم نَسْلكُ طريقَ الرُّسوخ ونستعينُ باللهِ ونتصبَّر بِمُجَاهَدةِ أنْفُسِنَا؛ فيُصبِّرُنَا اللهُ ويهدينا سُبلَ الثَّبات؟

لا شكَّ أنَّ العاقل سيسلكُ طريقَ الرُّسوخ ويُصَبِّر نفسَه ويُخضِعُها لله؛ فيسهلُ عليها الانقيادُ لأوامرِ الله ولا تكون الصَّلاة

كبيرة عليه، ولإدراكِ الصَّبر وخضوعِ القلب يَحْسُنُ بِنَا أن:

١- ندعوَ اللهَ ﷻ أَنْ يُزكِّيَ أنفسَنَا ويُلهِمَهَا التُّقىٰ، ويُجنِّبَّنا اتِّباعَ الهَوَىٰ.

٢- نعلمَ أنَّ ألمَ جِهَادِ الهوىٰ لَحَظَات يَتْبَعُهَا لذةُ الانقيادِ للحق.

٣- نتأمَّلَ في خلقِ الله وعظمتهِ ونعمهِ علينا، ونُحاسب أنفُسَنَا في جلستنا الأسبوعيَّة ونسألها: هل عظَّمتِ ربَّكِ وخضعتِ له؟

اللهُ الكاملُ العظيمُ الكريمُ المُتفضِّل علينا بوافرِ النِّعم، والخضوعُ لَهُ عِزَّة!

فَهَل خَضَعْنَا وتذلَّلنا؛ فنُرزق الخُشُوع؟

٤- **نُكثِرَ مِن الاستغفارِ** كَي نُطُّهِرَ قلوبَنَا، ونستحضرَ نعمَ اللِه وعظمتهِ ورقابتِه لَنَا، **ونحرصَ عَلَىٰ مُحَاسَبَةِ أنْفُسَنَا فِي استحضارِ رِقَابَةِ الله!**

٥- صُحبةُ الصَّالحين وقراءةُ سيرِ الخاشعين سبيلان للتَّصبُّر ورقَّة القلبِ وخضوعه!

٦- مُجاهدةُ الجوارح وكفُّ العين عن فُضُولِها في الاطلاع علىٰ مَا لا ينفعُ القلب (غضُّ البصرِ سببٌ عظيمٌ في جمعِ الهمِّ وحِفظِ القلبِ وخُشُوعِه)

وبعد مُجاهدة النَّفس، وحبسِ الهوىٰ، والسَّعي مِن أجلِ

الفوزِ بالخُشُوع؛ بالخُضُوع للجبَّار والتَّذلل في مِحْرَابِ عُبُوديَّتِه، فلنتأمَّل في اليقينِ بلقاءِ الله ﷻ.

يقولُ ابنُ عُمر رضي الله عنهما: (**إذا أصبحتَ فلا تنتظرْ المساء، وإذا أمسيتَ فلا تنتظرْ الصَّباح، وخُذْ مِن صحتك لمرضك، ومِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك**).

وكُلُّنا نعلم مقولة «**اعملْ لدُنياك كأنَّك تعيش أبدًا، واعملْ لآخرتك كأنَّك تموتُ غدًا**»![1]

فهل المعنىٰ المفهوم من المَقُولتين أن ننتظرَ الموتَ في خوفٍ وقلق؟

المقولتان -باختصار- تَدْعُوان العبدَ إلىٰ استشعارِ قِصَرِ الأمدِ (لَنْ أعيشَ مائة سنة)!

وتعلق القلب بالآخرة .. **يُجنِّبُهُ الغوص في وحلِ النِّسيان!**

أن تستيقظَ وتبذلَ جميعَ الأسبابِ كَيْ تنجحَ في الدُّنيا مُحتسبًا كُلَّ مَا تفعلُهُ عند اللهِ ..

أنت تنام كي تتقوَّىٰ لتَسْعَىٰ في رزقِك وتعبدَ الله، وهذَا لَهُ أجرٌ يومَ القيامة.

تَأْكُل لِتَقْوَىٰ علىٰ العملِ والعبادةِ، وهذا لَهُ أجرٌ يومَ القيامة!

تَعمل وتَسعىٰ في الرِّزق كي تَكْفِيَ نَفْسَكَ وأهلكَ ولا تسأل

(١) وليست حديثًا عن النَّبي ﷺ

النَّاس شيئًا، وهذا مِنْ أعظم الأجر الذي يَحْسُنُ بِكَ أنْ تطلبَهُ من ربِّكَ العظيم يوميًا.

قال رسولُ الله ﷺ: «**دينارٌ أنفقته في سبيلِ اللهِ ودينارٌ أنفقتَهُ في رقبةٍ، ودينارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ علىٰ مسكين، ودينارٌ أنفقْتَه علىٰ أهلِك، أعْظَمُهَا أجرًا الذي أنفقْتَه علىٰ أهلك**». [رواه مسلم]

وهكذا فإنَّ جميعَ ما تفعلُهُ من الاستيقاظِ إلىٰ النَّومِ لَهُ أجرٌ عظيم، ومَعَ طَلَبِ هذا الأجر من الله والعيش بالتَّفَكُّرِ في دارِ الخلودِ؛ يتعلَّق قلبُك بالآخرة وتشتاقُ إلىٰ نعيم الجنة.

طريقُ الرَّاسخ مليء بالعملِ والاحتساب ..

يعملُ ويَحْتَسِبُ (يطلبُ الأجر من ربِّه)؛ فيُعمِّق تَعَلُّق قلبه بالآخرة، ويزدادُ يَقِينُهُ في لقاءِ الله، ويعمل ليوم الحساب!

أمَّا مَنْ لم يستشعرْ هَدَفَ هذه الرِّحلةِ القصيرةِ وظَلَمَ نَفْسَهُ؛ فأهلَكَهَا ولم يُزكِّها بالطَّاعات، وتجاهلَ قلبَه فأمَاتَه بالمَعَاصِي واستشرافِ الفتن (التَّعرض لها واستقبالها بل والبحث عنها!)؛ فَيَزُولُ يَقِينُهُ بيوم الحساب ولقاءِ الرَّبِّ رويدًا رويدًا ويغوصُ في وحلِ النّسيان، ويُخشىٰ عليه ضياع الدِّين!

وكَيْ نَصِلَ إلىٰ تعلُّقِ القلبِ بلِقاءِ الله:

١- ندعو اللهَ أنْ يُعلِّقَ قلوبَنَا بالآخرة (**والدُّعاءُ بدايةٌ لكلِّ تغيير، فلنُواظب ولا نتعجَّل الإجابة**).

٢- نستعشرُ دائمًا قِصرَ الدُّنيا، فمَهْمَا طالَ العُمْرُ لَن يُساوي لحظةً من الخُلُودِ في الجنَّة -بفضل الله-.

٣- زيارةُ القُبُور والتأمُّل في حياةِ البَرْزَخِ، الوحدة التي سنَعيشُها إلىٰ ما يشاء الله، والقبرُ إمَّا روضة مِنْ رِيَاضِ الجنَّة أو حُفرة من حُفرِ النِّيران.

٤- الصُّحبة الصَّالحة (وفي طريقِ الرُّسوخ سنحثُّ دائمًا عليها) وقراءة سِيَرِ الذين عاشُوا بأجسَادِهِم في الدُّنيا؛ وقلوبهم معلَّقة بالآخرة!

٥- البعدُ عن فتنِ الدُّنيا ومُلْهِياتِهَا ومَا لا يَنفعُنَا في دينِنَا أو دُنيَانَا، فَمَا أقبلَ عليه القلبُ (من المحرَّمات) فُتن به!

٦- طَلَبُ الحدِّ الأدنىٰ من العلمِ بالآخرةِ وأشراطِ السَّاعة والموقف يوم القيامة[١].

ومَعَ الأخذِ بالأسبابِ مِنْ دعاءٍ وذكرٍ وتَفَكُّرٍ في مَشَاهِدِ يوم القيامةِ، وطَلبِ العلم المُزكِّي للقلبِ؛ يتعزَّزُ اليقينُ بلقاءِ الله، ويستعدُّ العبدُ لذلك اللقاء العظيم.

نسألُ اللهَ ﷻ أن يُعلِّقَ قُلُوبَنَا به، وأنْ يَرزُقَنَا اليقينَ بِلِقَائِه!



(١) أنصحُ بكتابَي القيامة الصغرىٰ والقيامة الكبرىٰ، وهُمَا للدكتور عمر سليمان الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ

من أقوال الراسخين

عن عُيَيْنَة بن عبد الرَّحمن عن أبيه: أنَّ ابن عبَّاس نعىٰ إليه أخوه قثم وهو في سفر، فاسترجعَ ثُمَّ تنحَّىٰ عن الطَّريق، فأناخ فصلَّىٰ ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثمَّ قام يمشي إلىٰ راحلته وهو يقول:

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾.

(تفسير الطبري)

يقول تعالىٰ آمرًا عبيده فيما يُؤمِّلون من خير الدُّنيا والآخرة بالاستعانة بالصَّبر والصَّلاة كما قال مقاتل بن حيَّان في تفسير هذه الآية: «استعينوا علىٰ طلب الآخرة بالصَّبر علىٰ الفرائض والصَّلاة».

(تفسير ابن كثير)

والظنُّ بمعنىٰ العلم اليقيني، ولكن التعبير عن العلم بالظن يُفيد مع اليقين توقع الأمر المعلوم، فمعنىٰ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾، أنَّهم يتوقَّعون هذا اللقاء وقتًا بعد آخر، فهُم يُؤمنُون إيمانًا صادقًا بلقاء الله، ويترقَّبُون ذلك اللقاء، وينتظرونه مُتوقعين له، فيقينهم يقينُ المُتوقع المُترقب، فيكون في قلوبهم دائمًا ويستعدُّون له بعملٍ صالحٍ يُقدمونه رجاء أن يغفر لهم وأن يتغمدهم برحمته، ويُكفِّر عنهم سيئاتهم.

مُحمَّد أبو زهرة (زهرة التفاسير)

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

اهبطُوا إلىٰ الأرضِ وستُرسل الرُّسل وتُنزَّلُ الكُتُب، ومن اتَّبع هُداي فلا يضلُّ ولا يَشْقَىٰ، فإذا انتفىٰ الضَّلال حلَّت الهداية، وإذا غابَ الشَّقاء حَضَرَت السَّعادة، وإذا ذَهبَ الخوفُ مَكَثَ الأمنُ والاطمئنان، ومع الهدايةِ يأتي الفرحُ بفضلِ الله ورحمتِهِ ويذهبُ الحُزنُ، وكُلُّ ما فاتَ مِن خيرٍ لِمَنْ؟

لِمَنْ استسلمَ وخضعَ لربِّ العالمين، واتَّبعَ هُدَىٰ سيِّد الخلقِ أجْمَعِين ثُمَّ الفوزُ التَّام والسَّعَادة الأبديَّة يومَ القيامة!

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

ومَنْ كَفَرَ وكذَّبَ بآياتِ الله؛ فأولئكَ أصحابُ النَّار . . يخلدون فيها جزاء كُفْرِهم نِعمَ خالقِهم وشِرْكِهم به.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾.

ثُمَّ يتوجَّهُ الخطابُ إلىٰ بَنِي إسرائيل، اشكرُوا النِّعمَ وأتمِّوا العهدَ . . عهد الإيمانِ بالله، وَمَن وفَّاه نالَ خَيْرَي الدُّنيا والآخرة، ثُمَّ يأمرُ اللهَ بالرَّهبةِ مِنه (فارهبون: خافونِ من نقضكم العهد)، والرَّهبة مِن القويِّ الكاملِ عزٌ وأمان . . أيُّ خَوْفٍ غير

ذلك ضعف، بينَمَا الرَّهبة من العظيم قوة .. فيها النجاة!

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾.

وآمِنُوا بِمَا أنزلتَ من القرآن، والقرآنُ مُصَّدقٌ للتَّوراة، فإنْ كذَّبُوه فقد كذَّبوا التَّوراة، ولا تشتروا بآياتِ اللهِ ثمنًا قليلا؛ فتُريدُوا الدُّنيا وتَكتموا صفةَ مُحمَّد التي تَعْرِفُونَهَا في كتابِكِم من أجلِ دُنيا تَخَافُونَ زَوَالَهَا، واتَّقوا اللهَ، فَمَن خافَهُ وعمل بشريعَتِهِ؛ نَجا وفاز!

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ومن مصائبِ العَالِم أن يخلطَ الحقَّ بالباطلِ أو يكتمَ الحقَّ، فالعَالِم التَّقي من يُظهرُ الحقَّ ويُبيِّنه، ولا يُشبِّه علىٰ النَّاسِ أو يُخْفِي عَنْهُم الحقَّ.

(لا تلبسوا: أي لا تخلطوا أو لا تستروا)

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

وأقيموا الصَّلاة .. خيرُ ما يفعلُ العبدُ أنْ يُقيمَ الصَّلاة بقَلْبِه وجوارِحِه، قال سيِّدُ الخلق: «الصَّلاة خيرُ موضوع فَمَنْ شاءَ استقلَّ وَمَنْ شَاءَ استَكثَر» **[حسَّنه الألباني]**

أنْ يعيشَ العبدُ الصِّلة بينَهُ وبينَ اللهِ بقَلْبِه -نسألُ اللهَ مِنْ فَضْلِه-، وآتوا الزَّكاة؛ تَحْلُو حياتُكم وتَطْهُرْ قُلُوبُكم، وارْكَعُوا مع الرَّاكعين .. الجماعَةُ وصلاة الجماعةُ وثوابها العظيم!

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

غريبٌ من العاقلِ أن يأمرَ النَّاس بالبرِّ وينسَىٰ نفسَه، وليس في الآيةِ دعوة إلىٰ عَدَمِ الإنكارِ عَلَىٰ الآخرِ والتَّوقف عَن نصِيحةِ المُخالف لأمرِ الله، بل يأمرُ العبدُ نفسَهُ ويأمرُ غيرَهُ (بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة)، فإنْ قصَّرَ في حقِّ نفْسِهِ؛ لا يُقصِّر في حقِّ غيرِه، والفائزُ مَنْ حصَّل الحُسْنَيَيْن.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ .

واستعينوا بالصَّبرِ والصَّلاة، اصبروا علىٰ طاعةِ الله فاستعينوا به وأطيعوه، ابتعدُوا عن معصيةِ الله وتصبَّروا بِهِ وابتعدُوا عمَّا نَهَىٰ عنه، تصبَّرُوا علىٰ أقدارِ اللهِ واستجلِبُوا رحمَتَهُ وتذلَّلُوا إليه حتَّىٰ يُرضِيكُم ويُنزِّل السَّكينةَ علىٰ قُلُوبِكُم .. تصبَّروا بالصَّلاة، وإنَّها لكبيرة إلَّا عَلَىٰ الخاشعِ الَّذي يُقبلُ علَىٰ اللهِ ويخضعُ لأَوَامِرِه، ويتذلَّل بقلْبِه؛ فيُصلِّي بخُشُوع.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

أولئك يُوقِنُون بِلِقَاءِ ربِّهم ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، والظَّنُّ في لغةِ العربِ يأتي بمَعْنَىٰ اليقين، يَخْشَعُون ويُصلُّون لربِّهِم بقُلوبٍ ساجدة خاشعة تَشْتَاقُ إلىٰ لقاءِ الآخرةِ والخُلُودِ الأبدي!

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ويذكِّر اللهُ بني إسرائيل بِنِعْمَتِهِ عليهم مرةً أُخْرَىٰ وتفضيله إيَّاهم علىٰ العالمين، وإذا استفهمنا: كيف فضَّلهم اللهُ علىٰ العَالَمين، واللهُ يقولُ عن أمَّةِ الإسلام ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؟، فالجواب: فضَّلَهُم الله عَلَىٰ عَالِمِي زمانهم! [تفسير **القرطبي بتصرف يسير..]**

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

واتَّقوا يومَ القيامة، يومَ لا تنفعُ نفسٌ نفسًا ولا يُقْبَلُ منها شفاعة، فيوم القيامةِ لا يَشْفَعُ أحدٌ لأحدٍ إلَّا بإذنِ الله، ولا يَفْدِي أحدٌ أحدًا، ولا يُنصرُ مَنْ كَفَرَ بالله.

وَمَضات تُنيرُ الطَّريق

- الخوفُ من اللهِ وتقواه، أمان.
- الشُّكرُ يَحْفَظُ النِّعَم، وإلَّا فالزَّوال!
- إقامةُ الصَّلاةِ إقامةٌ لنَعِيمِ الحياة!






نِعَمٌ وَفَخ!

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

محمدٌ وكريم وسامر ثلاثةُ أصدقاء مُنذُ عشرةِ أعوام، الثَّلاثةُ في العشرينيَّات من العُمر، وُلِدُوا في نفسِ العام وفي نفسِ الحي، مُحمَّد من أسرةٍ ميسورة الحَال، شابٌ طويلٌ نَحِيفٌ لا تَلْمَحُ في عينيه ذكاءً باهرًا..

كانَ مُحمَّد الابن الوحيد؛ فحازَ اهتمامًا وتدليلًا يُغبَطُ عليه مِنْ بَعْضِ أقْرَانِه، ويكرهه آخرون؛ فالاهتمام الشَّديد مع التَّدليل يُكبِّلُ الحريَّة ولا يصنعُ رجالا!

وكريم يملك والدُه محل جزارة، وأمُّه ربَّةُ منزل لا يعنيها من الدُّنيا إلا طعام أبنائها ولا تفهم من تربية الأولاد إلَّا الطبخ وقضاء حوائجهم التي يُمكنهم قضاؤها بأنفسهم؛ فتجدُ كريمًا مثالًا حيًا لمهنةِ والده واهتمام أمه، شابٌ سمين لا يهتمُّ بشيء في الحياة إلَّا الطَّعام!

أمَّا سامر فشابٌ مُتوسِّطُ الطُّول تملح في عينيه ذكاءً شديدًا، يلبس العُوينات ويعمل والداه في التَّربية والتَّعليم، ويبدو أنَّ مجالهما كانَ لَهُ عظيم الأثر علىٰ الابن! له أختٌ في نفسِ العُمْرِ ولها نفس الذَّكاء، وعَاشَ الاثنان في منافسةٍ عِلمية لإرضاءِ الوالدين.

جَمَعَ الأصدقاءَ الثَّلاثةَ العمرُ والحيُّ وحبُّ السفر، وعَاشُوا في نعيمِ الاستقرارِ الأسري ماديًا ومعنويًا، لَمْ يَفْتَرِقُوا إلَّا لنومٍ أو طعامٍ أو سفرٍ يُفرِّقُ الخلَّان!

تَتَابَعَت نعمُ اللهِ علىٰ الأصدقاءِ الثَّلاثة من أُسَرٍ مُستقرة وتعليمٍ خاصٍ وأموال تَخْرُج لتلبِّي رغباتِهم متىٰ طلبوها؛ فعاشُوا في صُحبةٍ سعيدةٍ راقيَّة خاليَّة من الحسد والحقد، وحياة هادئة مُستقرة ليس فيها أحداثٌ كبيرة أو صاخبة، حتَّىٰ ذلك اليوم الذي لم يتوقعوه!

جَلَسَ الأصدقاءُ الثَّلاثة أمام كورنيش النِّيل في ليلةٍ صافية، والقمرُ في كَبِدِ السَّماءِ والجوُّ يحثُّ علىٰ السهرِ إلىٰ الفجر!

بَادَرَ محمدٌ بالكلامِ قائلًا: ليلةٌ لذيذة يا رجال، ربنا يديم هذا الجو العليل!

كريم: لا شيء يدوم يا محمَّد، حتَّىٰ اللحم لا يدوم!

ضَحِكَ الثَّلاثة مُستمتعين، وذكَّرهم سامر بالضَّيف القادم..

- صفوت سيأتي ليُقابلنا الآن، هل سنجلسُ هُنا أم سنذهبُ إلىٰ مكانٍ آخر؟

كريم: صراحة لا أرتاحُ لهذا (الصَّفوت)، أرجو أن نعرفَ منه ماذا يُريد ونُفارقه علىٰ الفور.

محمَّد: وأنا أيضًا، رأيي من رأي كريم.

- مساء الفُل يا شباب!

خَرَقَت التَّحيةُ آذانهم فالتفتوا؛ وإذا بصفوت يقفُ أمَامَهم بنظراتٍ خاويةٍ مِنْ أيِّ مَعْنَىٰ، شابٌ قصيرٌ في نفسِ عُمْرِهِم، تتدلَّىٰ كِرْشُهُ أمَامَه ولَهُ رأسٌ دائريٌ كالبطيخة تتوسَّطُه عينان غائرتان مع بشرةٍ حمراء وعرق يَتَصبَّبُ فَوْقَ جبِينِه كأنَّه جَاءَهُم عدْوًا علىٰ الأقدام!

ابتَدَرَه سامر بذكاء: تأخَّرْتَ يا صفوت، وعندنا موعدٌ مع آخرين وسط البلد، هات ما لديك..

نَظَرَ صَفوت إليهم مُبديًا الفهم، ولَمْ يَكْتَرِث ب (القَلْبَة المُجهَّزَّة)!

- هُناك مُسلسلٌ جديدٌ ويَحْتَاجُ إلىٰ بَعْضِ الشَّباب (الكُومبَارس) في مشاهدَ رقصٍ وغناء، وأَنْتُم أحْبَابي.. الجوُّ لذيذ والمُنْتِج دماغه حلوة!

نَظَرَ بَعْضُهُم إلىٰ بعضٍ نظرةَ قلق!

لم يكن لهم في هذا الجو، نَعَم هُم يَسْهَرُون ويَمرَحُون ويُسَافِرُون هُنا وهُناك، ولكنَّهم يُصلُّون ويَصُومُون ويُجاهِدُون أنفُسَهُم اتِّقاء الكَبَائِر، **تربَّوا علىٰ شُكرِ النِّعم ومُنْذُ نُعُومَةِ أظْفَارِهِم، دَأَبَ أهلُهُم علىٰ تَحْدِيثِهِم عَنْ نِعَمِ اللهِ المُتَتَالِيَّة!**

قَطَعَ سامرُ صَمْتَهُم، قائلًا:

- لَيسَ لَنَا في الهلسِ يا صفوت، شُفْ طريقك!

لَمْ يرُد صفوت، وانتَظَرَ حتَّىٰ يسمعَ من الآخرين.

ردَّ مُحمَّدٌ علىٰ كريم، قائلًا: وما أدراك أنَّه سيكونُ هلسًا يا كريم؟ دعنا نُجرِّب .. المللُ قادم فلنُقابلْه ببعضِ المُغامرات!، ما رأيُك يا سامر؟

نَظَرَ سامر إلىٰ مُحمَّد وكَريم ثُمَّ نَظَر إلَىٰ صفوت الذي وقفَ مُتربصًا سقوط فرائِسِه بلا أي ملامح!

- المُغامرات لذيذة وشائقة، ولكنَّا نَخشىٰ الوقوعَ في مَتَاهات لا قِبَلَ لَنَا بها!

التَفَتَ مُحمَّد إليه في حَمَاس، وقال:

- التَّجربة خيرُ دليل يا سامر، والمللُ بدأ يتسرَّب إلينا، لَنْ نخسرَ شيئًا!

قال كريم في حكمةٍ مُصطنعة:

- نأخذُ برأي الأغلبية، صفوت سيحتَرِق من طول الوقوف!

ثُمَّ ضَحِك ضحكةً عالية، وقال:

- أنا ومُحمَّد موافقان، هيَّا بِنَا يا سامر، هيَّا يا صفوت بنا إلىٰ المُنتج!

. . . .

- هل تُدخِّنُون؟

كان رجلًا بدينًا يلبسُ سلسلةً ذهبيَّة مع رأسٍ ضخمٍ وأنف تُنافسُ الشَّفتين في الضَّخامة، يلبس ملابسَ يبدو فيها كالبلياتشو ولا يُفارقُ السِّيجار أصَابَعَهُ الضَّخمة!

- التفتوا إلىٰ بعضِهِم البعض في توتُّرٍ ملحوظ!

نَظَر إليهم في سخرية، قال:

- ليست مُشكلة، نُعلمكم كلَّ شيء، خُذْهم يا صفوت واعملْ الواجب!

وساروا وراء صفوت إلىٰ الخارجِ في صمت..

. . . .

جلسَ الجميعُ أمامَ كورنيش النِّيل بوجوهٍ غير وُجُوهِهِم في كُلِّ ليلة!

التفتَ سامر إلىٰ مُحمَّد وكريم في قلق، قال:

- لَنْ أُكمِلَ هذه المُغَامرة.. أشعر أنَّها فخٌ، نَحْنُ في نعمةٍ عظيمةٍ، وأهلنا ناس مُحترمة، هل يصلُ بنا الحال إلىٰ تعلُّم الدُّخان من أجل أن نعملَ كومبارس؟!

لا والله، لن أُطيعَ هذا العجل فيما أمر!

سمع صفوت وصفَ سيِّده بالعجل، قال:

- اخترْ ألفاظك يا سامر، هذا عملٌ وعليه أجر، بدلًا من حَيَاتِكُم المملَّة!

- حياتُنَا المُملَّة حياةٌ كُلُّها نِعَم، استقرار واطمئنان واحترام مُتبادلٌ بيننا وبين أهلِنا، فإذا كُنْتَ تُطلق علىٰ الاحترامِ مللًا، فمرحبًا بالملل!

تحفَّز صفوت لسامر واتَّسَعَت عيناه وكأنَّما أفاق ممَّا يشرب، أحسَّ كريم بأنَّ الأمرَ سيتطور، فقاطعهما قائلًا:

- لِكُلٍ حريته يا سامر، المُغامرة لا تزال في أوَّلِهَا؛ وإذا أردتَ الذِّهاب فلكَ ما أردت!

نَظَر إليهما سامر في توسُّل، ومُحمَّد يَتَحَاشَىٰ النَّظرَ إليه، ويقول:

- المُنتج شكلُهُ لذيذ يا سامر، ولعلَّها مُغامرة مُمتعة!

سَارَعَ سامر بالردِّ في مُحاولةٍ أخيرةٍ، قال: **اللهُ أكرَمَنَا ونجَّانا من فتنٍ كثيرة يا رجالة، اذْكُرَا نِعَمَ اللهِ السَّابقة، اذكرا فضلَ اللهِ علَيْنَا، فهل نُقابل نعمَ اللهِ وفضله بالظُّلم؟**

صَمَتَ الجميعُ للحظَةٍ، فسارعَ صفوت كي لا يترك لهما فرصةً للتَّراجع، وقال: هيَّا بنا يا شباب، سنتأخر علىٰ المُنتجَ!

وقامَ كريم ومحمد يقودُهُمَا صفوت إلىٰ العجل..

عفوًا.. إلىٰ المُنتج!

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٤٩-٥٧].

راسخٌ مُقدرٌ للنعم، شاكر نعمة الهدى

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾.

قد يُظنُّ أنَّ هذه الأسطر سوف تَدعونا إلىٰ الحمد والشُّكر والصَّلاة، وتُذكِّرك بنعمِ الله عليك، ولكنَّا لن نستحضِرَ الحمدَ والشُّكرَ من قصَّتِنَا السَّابقة، بل سنذهبُ في رحلةٍ نتذكَّر فيها بعضَ

ذكريات الماضي، ذكريات مُؤلمةٌ لَطَفَ اللهُ بنا فيها، وكُرُبات مُوجعة نجَّانا الله منها.

يحكي أحدُهُم -وتلك قصص واقعية- أنَّه وَقَعَ في دينٍ كبير، ودون أن يسألَ أحدًا، إِذَا بصديقٍ يُهاتِفُه ويسدُّ عنه ديْنَه الَّذي أرَّق نَوْمَه وذهبَ براحةِ باله!

مُوظفٌ فقير وقعَ لابنه حادثٌ أليم، ويحتاجُ مبلغًا خياليًا من المالِ كَيْ يُعالجَه، فإذا برجُلٍ مُوسرٍ يتكفَّل بكلِّ تكاليفِ العِلاج، والرَّجل لا يعرفه.

يقولُ آخر وقَدْ تَخَطَّىٰ سِنَّ الأربعين: مرضتُ بمرض السَّرطان وساءت نفسيَّتي، ولم يُعطني الأطبَّاءُ أملًا في الشِّفاء، ولكن الله أكرمني وشُفيت، وعدْتُ أفضل ممَّا سبق!

مواقف كثيرة ونعمٌ جليلة مرَّت بِنَا وبِغَيْرِنَا، ولن أذكِّرك بِنَفَسِكَ الَّذي لا يَسْتَطِيعُه بَعْضُهُم إلَّا بجهازِ تنفس!

(تأمَّل في بلاءِ مرضىٰ جائحة كورونا وموت ما يزيد عن مليون شخص في أقل من عام)!

قدماك الَّلتان لا يملكهما آخر!

عيناك اللتان تطَّلعان علىٰ كُلِّ شيء!

لسانُك الذي يتذوَّق جميعَ الأطعمة (وكان من أعراض فيروس كورونا فقد حاستي الشم والتذوق، ولم يتحمَّل الكثيرُ ممَّن نعرفهم فَقْدَ تلك النِّعمة مُدَّة ستة أيام فقط!)

لو كتبنا النِّعم التي أَلِفنَاها لملأنا مئات المجلَّدات، ولكن إلف النِّعمة واعتيادها يُنسي الشُّكر!

إنَّ تناولَ النِّعم الجليلة بالشُّكر ثُمَّ التَّأمل في الكُرُبَاتِ الشَّديدة الَّتي نجَّانا اللهُ منها وحَمْدَ الله علىٰ العافيَّة؛ لَهُ أثرٌ عظيمٌ في حياةِ القلبِ وإحياءِ الأملِ في النَّفس وعند الآخرين..

لُطفُ اللهِ في السَّابق يُصبِّرُكَ علىٰ بلاءِ الحاضر ويُبشِّرُك بالعافيَّة في المستقبل!

هُناك سُبُلٌ دعونَا نتناولها، ويقينًا -وبفضل الله- ستأخذُ بأيدينا في طريقِ الرُّسوخ، ولكن قبلَ أن نتحدَّث عن تلكَ السُّبُل، دعونا نتأمَّل فضلَ الله علىٰ بني إسرائيل وردهم نعمَ اللهِ بالجُحُود!

تتابعُ النِّعم علىٰ بني إسرائيل عجيب!

نجاةٌ من عذابِ فرعون وذبحه للنِّساء والأبناء، ضَعْ نفسَكَ مَكَانهم، ظالمٌ متجبرٌ يُهدِّدك بزوجتِك ويتوعَّدك بذبحِ ابنك مع قُدرتِهِ علىٰ التَّنكيل بك أكثر من ذلك!

بحرٌ عظيم أمامَك وعدوٌ لدودٌ وراءَك، ثُمَّ بقدرة الجبَّار ينقسمُ البحرُ كَيْ تنجو من عدوِّكَ اللَّدود!

تَحَوُّلٌ إلىٰ عبادةِ عجلٍ بعد تلك النِّعم العظيمة، ثُمَّ عفوٌ مِنَ الربِّ العَفُوِّ عن تلك الجريمة التي لا تُعقل!

فكيف بعاقلٍ أَنْ يعبُدَ عجلًا ذهبًا له خوار؟!

آياتٌ عظيمة تَسْردُ لنا صورَ الجُّحُود البشريَّة وتُمثِّلُهُ في إعراضِ بني إسرائيل عن الشُّكر واستمرارهم في التيهِ والضَّلال!، فما السُّبُل التي يلزمنا سلوكها كي نحفظَ قلوبَنَا ونتثبَّت بالله، وننجو مِن مصيرِ الجُحُود الذي غاصَ فيه هؤلاء؟!

السَّبيل الأول: التَّعرف علىٰ المُنعِم بأسمائهِ وصفاتهِ، واستحضار معانٍ عظيمة، كقُدرته اللامتناهية وكرمه اللامتناهي ورَحمَتِه التي سبقت غضبه ولطفه الذي يشمل جميعَ العبادِ، وفرحته بتوبة العصاة وشكره اليسير من الطَّاعات، تلك معانٍ جليلة ولو ملأنا بها حوائطنا وسَطرنَاهَا في صَفَحَاتِنَا وحَفَرْنَاها في قُلُوبِنَا لهو خير عظيم!

السَّبيل العملي الثاني:

ترسيخُ معنىٰ حُسنُ الظنِّ بالله وَتَوَقُّعُ الخيرِ دائمًا **(وتوقُّع الخير شيء والتَّعلق بما نُريده ونُصِرُّ علىٰ أنَّه الخير شيءٌ آخر، فالَّذي يُحسنُ الظنَّ يُوقن أنَّ كلَّ ما يأتيه من ربِّه هو الخير)** وكَيْ نَصْدُقَ في سلوكِ هذا السَّبيل، يجبُ علينا أن نُحقِّقَ الحدَّ الأدنىٰ من العمل.

يقولُ الحسن البصري: لو أحسَنُوا الظنَّ لأحسَنُوا العمل!

أمَّا التَّمرُّغ في العِصيانِ والإصرارِ علىٰ تجاهلِ الرِّقابة الإلهيَّة، والتَّنافس في استشرافِ الفتن (التَّعرض لها والبحث عنها) فهو سبيلٌ لاستبعادِ التَّوفيق لا استجلابه!

ولننتبه إلىٰ أصلٍ عظيمٍ من أصول السَّير إلىٰ الله ﷻ:

(وأَتْبِعْ السَّيئةَّ الحَسَنَةَّ تَمْحُهَا)..

لا تلتفتْ أبدًا بقلبِكَ ونفسِكَ الضَّعيفة إلىٰ معاصيك!

إذا أذنبتَ فعجِّل بكلمةٍ طيبة، واستحضرْ أنَّ ربَّك يسمعها.

أسْرِعْ بابتسامةٍ في وجهِ أمِّك أو أي قريب لك، وسَلْ ربَّكَ المغفرة.

امسح علىٰ رأسِ يتيمٍ، وعجِّل بتقبيله؛ والودودُ يراك!

إنَّ استحضارَ مواقف عصيبة مرَّت بك ثُمَّ تذكُّر نجاتك منها، وكتابة تلك المواقف حيثُ تراها أمامك؛ يغرسُ في قلبِك السَّكينة، ويُثبِّتُ إقبالَ قلبك علىٰ الله، ومع الإكثارِ من الدُّعاء والصَّبر وعدم الاستعجال، وتوقُّع الخير واليقين في تقديرِ اللهِ المُناسب لك؛ يَطمئن القلبُ وتتَّزن النَّفس وتَرْضَىٰ بفضلِ الله!

وهكذا -وبفضلِ الله- سيعيشُ من يبتغي الرُّسوخ في نعيمِ شُكرِ الله، ولن يقعَ في فخِّ الجُحُود وتيهِ الكُفران!




من أقوال الراسخين

«أَكْثِرُوا ذكرَ هَذِهِ النِّعْمَة فَإِنَّ ذكرَهَا شكر».

الحسن البصري

إنَّ اللهَ ليُمتع بالنِّعمة ما شاء، فإذا لم يُشكر عليها؛ قلبها عذابًا!

ولهذا كانوا يسمون الشُّكر: الحافظ؛ لأنَّه يحفظ النعم الموجودة . .

والجالب؛ لأنه يجلب النعم المفقودة».

الحسن البصري

قال ابنُ الأثير: «من كان عادته وطبعه كُفران نعمة النَّاس وترك شكره لهم؛ كان من عادته كفر نعمة الله ﷻ وترك الشُّكر له».

جامع الأصول (٢/ ٥٦٠)

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

ويُعدِّدُ اللهُ نِعَمَهُ تفصيلًا علىٰ بني إسرائيل: نجَّاهم من فرعون الذي كان يُقتِّل الرِّجال، ويترك النِّساء أحياء؛ خوفًا علىٰ عرشه. وكان ذلك من شِدَّة البلاء وعِظَمه! (بلاء: امتحان بالنِّعم والنِّقم) (يسومونكم: يُذيقونكم)

كانوا يُذبِّحون الأولاد، ويتركون النِّساء أحياء للخدمة، وذلك لأنَّ كهنة فرعون قالوا له: يُولدُ في بني إسرائيل مولودٌ يُنازعك في ملكك، فأمرَ بأن يُذبحَ كُلُّ مولود يُولد في بني إسرائيل ويُترك البنات أحياء.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

فَرَقَ اللهُ البحرَ اثني عشر طريقًا بعددِ فِرقِ بني إسرائيل، ونجّاهم وأغرق فرعونَ وجنده، والله يتولَّىٰ المؤمنين، ينصرُ مَنْ آمنَ بِهِ وتوكَّل عليه، ولَوْ بَعْدَ حين! (فَرَقْنَا: فَصَلنا وشققنا)

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

وواعدَ اللهُ نبيَّه موسىٰ أربعين ليلة؛ ليُنزِّل علىٰ بني إسرائيل التَّوراة التي فيها نجاتهم؛ فلم يصبروا حتَّىٰ يأتيهم ما فيه هُداهم ونجاتهم، وعَبَدوا العجلَ وكانوا ظالمين.

فائدة: مُوسىٰ اسْمٌ أعْجَمِيٌّ، أصْلُهُ بِالعِبْرانِيَّةِ: مُوشا، فَمُو: هو الماءُ، وشا: هو الشَّجَرُ، لِأنَّهُ وُجِدَ عِنْدَ الماءِ والشَّجَرِ، فَعُرِّبَ بِالسِّينِ **[زاد المسير لابن الجوزي]** وذَكَرَ السُّدِّيُّ أنَّ أُمَّهُ لَمّا خافَتْ عَلَيْهِ جَعَلَتْهُ في التّابُوتِ، وألْقَتْهُ في اليَمِّ، كَما أُوحِيَ إلَيْها، فَألْقاهُ بَيْنَ أشْجارٍ عِنْدَ بَيْتِ فِرْعَوْنَ، فَخَرَجَتْ حَوارِيُّ آسِيَةَ امْرَأةِ فِرْعَوْنَ يَغْتَسِلْنَ، فَوَجَدْنَهُ، فَسُمِّيَ بِاسْمِ المَكانِ. **[النكت والعيون للماوردي]**

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ثُمَّ عَفَا العفوُّ عَنْهُم لعلَّهم يشْكُرُون، عَفَا اللهُ تَعَالَىٰ عن أكبر زلَّة زلُّوها وجريمة اقترفوها، وهي اتِّخاذهم عجلًا إلهًا وعبادتهم له. عَفَا اللهُ تعالىٰ عنهم ولم يأخذهم بالعذابِ لعلَّهم يشكروه بعبادته وحدَه دون سواه.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وأنزلَ اللهُ علىٰ مُوسَىٰ التَّوراة تُفرِّق بينَ الحقِّ والباطل، لعلَّهم يهتدون بِهَا وينتفعون بِمَا فيها، والهُدَىٰ كُلُّه والنَّجاة فيما يُنْزِلُه اللهُ من وحي!

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

ثُمَّ أمرَهُم مُوسَىٰ بقَتْلِ أنفُسِهِم توبةً إلىٰ خَالِقِهِم؛ فَقَتَلُوا أنفُسَهم ونزلَ عليهم الظَّلام كَيْ لا يَرَىٰ الأبُّ ابنَه والأخُ أخَاه، وكان عددُ القتلىٰ سبعين ألفًا، كان الأمرُ ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ فيه إشارة: كيف تعبُدُون غير بارئِكُم (خالقكم) . .

ثُمَّ تابَ اللهُ عليهم، وهو التَّواب الرَّحيم.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سبعين رجلًا كَي يَعْتَذِرُوا إلىٰ ربِّهِم من

عبادةِ العجل، فطَلَبُوا رؤيةَ العظيم؛ فأخَذَتهم الصَّاعقة، فتأمَّل في تَتَابعِ النِّعم واستمرار التَّكذيب والكُفر وسوء الأدبِ مع رب العالمين، نَزَلت عليهم الصَّاعقةُ؛ وذلك جزاء جرأتهم علىٰ ربِّهم ونبيِّهم. (جهرةً: عِيانًا بالأبصار)

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِنْ بَعْدِ مَوْتِكم، أحيَاهم اللهُ نعمةً مِنْهُ وتوبة ولعلَّهُم يَشْكُرُون، تَتَوَالَىٰ الفُرصُ علىٰ أسلافِ اليَهُود فأنْكَرُوا نِعَمَ اللهِ ولم يشكرُوها، فَهَل يتشبَّه بهم المسلمُ ويقابلُ الفُرَصَ المُتتاليَّة بالتَّجاهل والإعراض؟

وكُلُّ يومٍ فُرصةٌ جديدةٌ، ونعمةٌ من الرَّب -سُبْحَانَه وتَعَالىٰ-

﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

أرْسَلَ اللهُ إليهم الغَمَامَ ليُظلَّهم في التِّيه، ورَزَقَهُم اللهُ مَا طَابَ من الطَّعَام (طائرُ السَّلوىٰ طيِّب الطَّعم)، ولكنَّهم استمرُّوا في كُفْرِهِم بِنعم الله ولَمْ يَشْكرُوه، وما ظَلَمُوا اللهَ بَلْ ظَلَمُوا أنْفَسَهُم؛ فالخاسرُ مَنْ لَمْ يَشْكُرْ نعمَ اللهِ عليه، ونسي فَضْلَه .. اللهم اجعلْنا من الشَّاكرين يا شكور.

ومضات تُنيرُ الطَّريق

- النِّعَم تَسْتَوجِبُ الشُّكر، والشُّكر جزاؤُهُ الزِّيادة.
- الجدلُ بالباطلِ يَقْتُل تَسْليمَ القلب.
- الفُرَصُ من الرَّب ربَّما تكونُ كثيرة، ولكن مَن يَضْمَن أنْ يَعيشَ لاستغلالها؟

فلنُبَادِر! الآن!







﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾.

- هذهِ خمسُ خطط تسويقيَّة للعامِ الجديد . .

نَطَقَ أمجدُ جُملتَهُ وسط مجلسِ إدارةِ شركتهِ وتفرَّس في وجوهِ الحُضور، لاحظَ تحمُّسَ الجميع لاجتماعهِ بهِم، وكَثُرَت المُدَاخَلات خلال الاجتماع، وتعدَّدت الاقتراحات المطروحة من الموظَّفين؛ لتطويرِ الشَّركة.

عفوًا سيِّد أمجد، هُناك مُكالمة ضروريَّة.

قاطعَهُ مديرُ مكتبهِ؛ فاستدارَ إليه أمجد، قال: حوِّلها إليَّ هُنا يَا كَارم!

رَفَعَ أمجدُ السمَّاعة، وإذَا بنَحِيبِ زَوْجتِهِ نَجْوَىٰ علىٰ الجانبِ الآخر، والكلمات تَتَعثَّر علىٰ لسانها: أَدْرِكني يا أمجد، كريم في المستشفىٰ، وَقعَ لَهُ حادثٌ مُرَّوع في طريقِ عَودَتِه من الجامعة!

تغيَّرت ملامحُ أمجد، وتَصاعدَ الدَّمُ وظَهَرَ علىٰ صفحةِ وجهه، ثُمَّ التفتَ إلىٰ المجلس قائلًا:

- تمَّ تأجيلُ الاجتماع لظُرُوفٍ خاصة، وهَرْوَلَ إلىٰ زوجتِهِ وابنِه.

قُلتُ لَهُ لا يذهب إلىٰ الجامعة بالسيَّارة!

صَاحَ أمجد بجُملتهِ في غضبٍ هادر وسط رَدْهةِ المُستشفىٰ، ونجوىٰ تتضرَّع إليه قائلة وسط دموعِهَا:

- هذا ليس وقت غضب يا أمجد، وذهابه بالسَّيارة قدرُ الله!

حَدَجها بنظرةٍ تقدحُ شررًا، وانفجر فيها:

- ذهابُهُ بالسَّيارة قَدَرُ الله، وأمري لَهُ الذي لم يُنفذه قَدَرُ الله، وإهمالُهُ كلَامِي قَدَرُ الله، كُلُّ شَيء قَدَرُ الله، هَلْ أَصْفَعُهُ عَلَىٰ وجههِ خَمسين صفعةً، وأقولُ لكِ: هذا قدرُ الله؟

لَنْ نُعلِّق أخطاءنا علىٰ قدر الله!

نَظَرَت إليه مُتوسِّلةً، ودُمُوعُها ما زالت تسيلُ علىٰ خدَّيها غزيرةً، قَالَت:

أرجُوك، ليسَ هذا وقتُ لوم.

التفتَ أمجدُ إلىٰ الحائطِ الذي وَرَاءَه، وضَرَبَه ضربةً حاول أن يُفرغ فيها غضبه، وهَاجَم ذاكرَتَه موقِفُهُ الأخير مع ابنِهِ..

- لا تَذْهَب بالسيَّارة إلىٰ الجامعة؛ نظرُك ضعيفٌ ولم تتعلَّم القيادةَ جيدًا بعد، انتظِرْ حتَّىٰ تَتَعلَّمَ القيادةَ وتَرتَدِي العُوينَات!

تردَّدَت الأوامرُ الَّتي ألقَاهَا إلىٰ ابنِهِ في رأسه، ووجْهُهُ فوقَ يدهِ علىٰ حائطِ المُستشفىٰ بعد ضربتِهِ القويَّة!

- لا تقلقوا، الحالةُ مستقرةٌ حتَّىٰ الآن.

قاطَعَ الطبيبُ أحزانَهُما وتوترهما؛ فهَرَعَت إليه نجوىٰ في لهفةٍ ودموعها تنهمر كالسَّيل:

- حقًا يا دكتور؟ الحالة مُطمئنة؟ أرجوك لا تُعلِّق قلوبَنَا بسراب!

نَظَرَ إليها الطَّبيبُ في شفقة، قال:

- أنَا طبيبٌ مهني يا فندم، ولَن أخدعَكِ من أجلِ هُدُوء وقتي، إن شاء الله الحالة مُطمئنة ومُستقرَّة.

- أشْكُركَ جزيلَ الشُّكر يا دكتور، لا أدري ماذا أقولُ لك.

قالَهَا أمجد، وهو يمسك كتفي الطَّبيب في امتنان، ردَّ الأخير:

- هذا عملي وتلك حالتكم، إن شاءَ الله نُبشركم بالخروجِ قريبًا.

تَبَدَّل الحزنُ الذي لفَّ المكانَ مُنْذُ دقائق إلىٰ هُدُوءٍ نسبي،

وانهمرت دُموعُ الفرحِ من العيون!

. . . .

نَظَر كريمُ إلىٰ ابنِهِ وعيناه مُتَّقدتان بالغضب، قال:

- يَبْدُو أنَّ تغييرَ الكلامِ وراثة، حكيت لَكَ قصَّتي مَعَ أبِي؛ لعلَّكَ تتَّعظ وتنصاعَ للأمر، ولكن كما قلت، يبدو أنَّها وراثة، ولا أعلم أين يُوجد جينُ العِنْدِ في جسمِ الإنسان، وكيف نتعامل معه!

التفتَ مُحمَّد إلىٰ أبيهِ كريم في ضيق، وقام مُندفعًا إلىٰ الخارجِ حانقًا!

نَظَرَت أمُّ محمَّد إلىٰ كريم في توتُّر، قالت:

- مُحمَّد كبير يا كريم، لا أدري إلىٰ متىٰ ستَتَعَامَل مَعَه بهذا الأسلوب؟

ردَّ عليها غاضبًا:

- الكبيرُ كبيرٌ بأفعالهِ واختياراتِه وليس بالسِّن، وأنتِ السَّبب فِيمَا وَصَلَ إليه الآن!

حدَّقت فِي وَجْهِهِ دون أن تقولَ شيئًا، وكأنَّها تُريدُ أنْ تمتَّصَّ غَضَبَه بِنَظَرَاتِها، قالت:

- سأترُككَ تهدَأ قليلًا، وسأذهبُ لأَرَىٰ ماذا سأصنَع مَعَ مُحمَّد

وقَامَت، وترَكَتْهُ فِي ثَوْرتِهِ العارمة.

. . . .

- لماذا لا تُفكِّر فِيمَا عَرَضناه عليكَ يا مُحمَّد؟

سَرَحَ محمدٌ في فتاته التي يرتبطُ بها، وتَذَكَّر لقاءَهُ الأخير مَعَهَا.

كان مُحمد شابًا طويلًا مستقيم البنيان، يتمتَّع بقوامٍ قوي وجاذبية تجعل منه عروسًا جيدًا لمن يبحث عن الشَّكليَّات، أمَّا عن توجُّهاته فقد حُقَّ لأبيه أن يثور ثورته، **فمُحمَّد لا يرضخُ إلَّا لرغباته ونزواته، دائمًا يستقبل نصائحَ أبيه بأذنيه ولا يُنفِّذُ منها شيئًا..**

وكان الموقفُ الأخير القشَّة التي قَصَمَت ظهرَ البعير![١]

عَرَضَ عليه أبوه الزَّواج من ابنةِ صديق عُمره، وهي فتاة يتمنَّاها أيُّ شاب يُريدُ زوجةً صالحة، ولكن محمدًا رَفَضَ ولم يُصرِّح لأبيه لماذا يرفض تلك الفتاة الجوهرة!

- لماذا يا مُحمَّد؟

أعَادَت أمُّهُ السُّؤال، وانتَشَلته من أمواجِ شروده التي يتقلَّبُ فيها، فنَظَرَ إليها بعينين واجمتين، وقال بصراحة:

(١) القشَّة التي قَصَمَت ظهرَ البعير! (هو مَثَلٌ يُشيرُ إلىٰ حدثٍ صغيرٍ يُحدِثُ أثرًا كبيرًا ليس بذاتِهِ فقط، بل لأنَّه جَاءَ بعدَ تَرَاكُم كثير من الأحداث، كالبعير الذي يُحمَّل الأحمَال الثِّقال حتَّىٰ لم يَعُدْ يحتمل شيئًا آخر، ثُمَّ تضع فوقَهَ حملًا صغيرًا فينقسم ظهره، ظاهريًا بسبب القشَّة، ولكن حقيقةً بسبب عدم مقدرته علىٰ حمل كل الأحمال السابقة)

- أنا مُرتبطٌ بفتاةٍ أخرىٰ.

نَظَرَت إليه والدتُهُ مُتعجِّبة، سألته:

- ولِمَ لَمْ تخبرني؟

- لَم أجد مُناسبةً لأخبركما.

- ومن هذه الفتاة؟ هل نعرفها؟

- ابنةُ عمي كارم.

- مَنْ؟

- قلتُ لكِ، ابنة عمي كارم.

- ولكنَّك تعلم أنَّها لا تُناسبك بالمرَّة، وعَمُّك كارم في مشاكل كبيرة مع أبيك.

- ولكنني أحبها.

- ماذا تقول يا محمد؟ من تُحب؟ أنتَ تعلم أخلاقَ هذه الفتاة ومُستواها الدراسي وصحبتها، وتترك ابنة صديق والدك وتختار هذه؟

تستبدل النِّعمة بالنِّقمة؟! يبدو أنَّك لا تعي ما تقول!

- أعي ما أقول، ولن أرتبطَ إلَّا بها.

نَظَرَت إليه قليلًا وجَاهَدَت كي تكتمَ غضبَها، ثُمَّ غادَرَت الغُرفة وتركَته غارقًا في أحلامِ اليقظة!

. . . .

- هل تَعلمين يا سالي؟ أنتِ ابنة عمي، وأعلمُ أنَّك لا تُحبِّينني كما أحبُّك، وأشكُّ في علاقاتِكِ بآخرين، ولكنني أسعد معكِ . . معكِ فحسب!

قالها مُحمَّد وهو يُدخِّن سيجارة مخدرات، ثُمَّ استغرقَ في ضحكٍ هستيري!

اختَلَطَت ضحكات سالي بضحكاتِه، كانت تجلسُ معه في سيَّارتِهِ علىٰ جانبِ طريقٍ مُظلمٍ بعدَ مُنتصفِ اللَّيل، وتُشاركُهُ تدخينَ المُخدِّرات في نَهَمٍ عجيب!

نَظَرَت إليه بعينين لامعتين بالدُّموع مِنْ أَثَرِ الدُّخان الكثيف، وقالت بعد أن توقَّفت عن الضَّحك:

- لماذا لا تستمع إلىٰ كلامِ والدتك وتتزوَّج الشِّيخة؟

قالتها ثم أرسَلَت ضحكةً قصيرة ساخرة!

اكتست ملامحُه بجديَّة مُفاجئة، نَظَر إليها مُعتدلًا في جلسته، قائلًا:

- أتعلمين يا سالي؟

ضَحِكَت ساخرةً، وقالت:

- لا، لا أعلم.

أكمل وكأنَّها لَمْ تَقُلْ شيئًا:

- والدي دائمًا كان يُعارضُ أباه، وأنا كذلك، يطلب شيئًا فأفعل غيره، يأمر أمرًا فأبدله وأفعل ما يُرِيحُني ويأتي علىٰ هواي!

شَرَد في وجهها لحظةً ثُمَّ سألَهَا مرة أخرىٰ:

- أتعلمين يا سالي؟

استمرَّت في تدخينها ولم تلتفت إليه ثُمَّ ضحكت وقالت:

- لا، لا أعلم.

لَمْ يَلْتَفِتْ إلىٰ سُخريَّتِها، قال:

- أعلم أنَّ والدي يختار لي الأصلح، وأعلم أنَّكِ سيئة الأخلاق ولا تصلحين للزَّواج، وأعلم أنَّني أُعاند وأستبدل الشرَّ بالخير، ولكنِّي أعيش لحظتي، أحيا معكِ في لذة وقتيَّة، وأنا لا أريدُ غير ذلك، أنا سعيدٌ الآن فحسب ولا أفكِّر في المستقبل.

لم تلتفت إلىٰ إهانتِهَا طوال حديثِه، وأخذت تضحكُ وتضحك، فابتسم ابتسامة خاويَّة وأدارَ السيّارة وانطلقَ علىٰ غير هدىٰ!



﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: ٥٨-٦١].

راسخٌ لا يُبدِّل

لماذا نُبدِّلُ الأشياء؟

الفتاةُ تستبدلُ ثوبَهَا القديم لِقِدَمِه، والشَّاب يبحثُ عن سيَّارةٍ جديدة -إن كانَ غنيًا- كي ينعم بالإمكانات الجديدة، ويُساير (الموضة).

تبديلُ الأشياء لَهُ أسبابٌ كثيرة، قد يكون السببُ هو الملل

من الشَّيء، حبُّ التَّغيير في ذاته، فقدان الشَّيء لقيمته، أو حتَّىٰ انتهاء الصلاحية، التَّغيير لمُجرَّد التَّغيير، وربَّما نصل إلىٰ التَّبديل لمجرد شهوة التَّغيير للتغيير (حُبُّ التَّغيير بلا سببٍ منطقي).

أذكرُ أحدَ مَعَارِفِي عند بدايةِ نُزُولِ الهاتف المحمول، كان يُبدِّل هَاتِفَه ربَّما أكثر من مرَّتين في السَّنة الواحدة! وقرأت أنَّ سلطان مملكة بروناي (حسن بلقية) بلغ أسطول سيَّاراته سبعة آلاف سيارة، وهُناك أنواع تُصنَّع له فقط، وقِيل أنَّه عندما يَمَلُّ منها يُلقيها في البحر كي لا يركبها غيره، مع امتلاكه مزرعة مساحتها أكبر من سلطَنَتِهِ التي يحكمها!

الأشياء الماديَّة يسهلُ علىٰ البعضِ تبديلها، والمشاعر قد تُغيَّر، والمواقف تجاه الأشخاص والمبادئ قد تتحوَّل، ولكن هُناك ما يصعب إنكاره أو تغييره أو العبث به، ربَّما لقُدسيته (كالدِّين) أو لنسبة الشَّخص إليه وصعوبة تنصله منه (كالأبوة أو البنوة)!

الأب والأم والأخ والأخت، يصعبُ علىٰ الإنسانِ أن ينفيَ نسبَتَهُ إليهم!

أشياء قد تُغيِّرها بسهولة، وأشخاص وقيم يصعبُ أن تتنصَّل منها، أمَّا الأوامر الإلهيَّة فلا يستطيعُ أحدٌ أن يُبدِّلَها؛ فهل يستطيعُ أحدٌ أن يقول: سأستبدل الصَّلاة ببعض الحركات -عياذًا بالله-؟!

يبعدُ علَىٰ المسلم الصَّادق تبديل الأوامر الإلهية، فهو يعيش مُعظِّمًا لدينِه وتفاصيل شريعته، مُعمِّرًا قلبه بالإيمان بربِّه ولقاءه،

مُوقنًا أنَّ الجميعَ سيُحاسب علىٰ ما قدَّم في الدنيا!

حتَّىٰ الكافر الذي لا يعبدُ الواحدَ الأحد، يُحاسَب علىٰ ما تَرَكَهُ من أوامر.

قال الله ﷻ:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾.

ما الذي جَعَلَهُم من أهلِ سَقَر (الجحيم)؟

لم يُصلُّوا، ولم يُطعموا المسكين، وخاضوا مع الخائضين، وكذَّبوا بيوم الدين.

كذَّبوا بالبعث وسيُحاسبون علىٰ فروع الشريعة.. اللهم نجِّنا بفضلك يا كريم!

إنَّ الأوامرَ الإلهية تستمدُّ قدسيتها وتقديرها من الآمر (الله العظيم) ثمَّ من خيرِ البشر حامل الرِّسالة إلىٰ الخلق (الرسول ﷺ) ثمَّ من المُوصل (جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ثُمَّ مما تؤول إليه من عظيم الثواب (الخلود في الجنَّة).

عندما يأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالصَّلاة فتأمَّل من يأمر؟

اللهُ خالق السَّماوات والأرض، خالقُ كل شيء، خالقُ

البدنِ وما فيه من إعجاز ومُعجزات، ولو كتبنا مليارات الصَّفحات؛ لن نحيطَ بأيِّ جُزْءٍ من عظمةِ خلقِ الخالق، فتأَمَّل في عظمةِ الخلق تُدركْ عظمةَ الخالِق!

العظيمُ أرسلَ الملكَ جبريل الكريم، وما أدراك ما عظمة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال رسولُ الله واصفًا أحب الملائكة إلىٰ الله: «**رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**». [رواه مسلم]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: **رَأَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاح كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ**[1] **مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ**. [رواه أحمد في المسند]

والملك نزلَ علىٰ سيِّد الخلق ﷺ، نموذج بشري اختاره اللهُ كي يَقتدي به الجميع، ويكفي أنَّه اختيار الله.

وثواب امتثال الأمر جنةُ خُلدٍ إلىٰ ما لا نهاية **(ولنتوقَّف دقيقةً كي نتفكَّرَ في خلودٍ لا يتناهىٰ في نعيمٍ لا يُدْرَك بالعقل، ولا يَخْطُرْ علىٰ القلب)**، فيها ما لا عينٌ رَأَت، ولا أذنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بَشَر، والخلدُ في ذاتِهِ نعمةٌ يكادُ العقلُ يشتُّ

(١) (تهاويل الدر والياقوت) أي: الأشياء المختلفة الألوَان . . . وأصلها مما يهول الإنسان ويُحيِّره.

لو حَاوَل تَصَوُّرها، إنَّه الخُلْدُ مع العظيم، وكفىٰ به نعمة (نسألُ اللهَ مِنْ فَضْلِه).

تلكَ الرُباعيَّة العظيمة التي تُحيطُ بالأمر تجعل تَصَوُّرَ تبديله بعيدًا عَنْ أيِّ قلبٍ حي، فكيفَ بِمَنْ يُبدِّلُ أمرَ الله ولا يُعظِّمه!

إنَّ تراكُمَ الشَّهوات والاستسلام للنَّفس، سبيلان لضعفِ تعظيمِ الأمر، ولا يأمنُ عبدٌ أن يقعَ في التَّبديل جُحُودًا وكِبْرا!

نَعَم، ضعفُ الإنسانِ ونسيانه قد يجعلانه يتهَاوَن في القيامِ بأمر الله، ولكنَّ الاستمرارَ في تيهِ المعاصي، والاستهانةِ بمُراقبةِ اللهِ قَدْ يَصلان بالمرءِ إلىٰ تَعَمُّدِ تبديل الأوامر!

تأمَّل في قصَّتِنا السَّابقة وانهيار القيم عند بطلها، ثُمَّ تأمَّل في كُفران بني إسرائيل لنعمِ اللهِ عليهم.

تُشيرُ الآيات الكريمة إلىٰ تبديل بني إسرائيل لأمرِ الله ثُمَّ استبدالهم للخيرات، وفيها تذكير اليهود بحادثةٍ عظيمةٍ حَدَثَت لأسلافِهِم تجلَّت فيها نعمةُ اللهِ علىٰ بني إسرائيل، وهي حال تستوجب الشكر!

ذلك أنَّهم لمَّا انتَهت مدةُ التِّيه، وكان قَدْ مَاتَ كُلٌ من موسىٰ وهارون، وخلفهما في بني إسرائيل فتىٰ موسىٰ يوشع بن نون وغزا بهم العمالقة، وفتحَ اللهُ تعالىٰ عليهم بلاد القدس؛ أمرهم الله تعالىٰ أمر إكرام وإنعام، فقال ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدًا، واشكروا لي هذا الإنعام بأن تدخلوا بابَ

المدينة راكعين متطامنين قائلين: دخولنا الباب سجدًا حطةٌ لذنُوبنا التي اقترفناها بِنُكُولنا عن الجهاد علىٰ عهد موسىٰ وهارون؛ نُثِبْكُم بمغفرةِ ذنوبكم ونزد المُحسنين منكم ثوابًا، كما تضمَّنت الآية الثانية

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

وقد تَجَلَّت فيها حقيقة سوء طباع اليهود وكثرة رعوناتهم وذلك بتغييرهم الفعل الذي أُمروا به، والقول الذي قيل لهم فدَخَلُوا البابَ زاحفين علىٰ استاههم قائلين: حبَّة في شعرة! (قالوها علىٰ سبيلِ الاستهزاء) ومِنْ ثَمَّ انتقم اللهُ منهم فأنزلَ علىٰ الظَّالمين منهم طاعونًا أفنىٰ منهم خلقًا كثيرًا جزاء فسقهم عن أمر الله ﷻ وكان فيما ذكر عظة لليهود لو كانوا يتَّعِظُون. [**أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري بتصرف يسير**]

والمُتأمل فيما فات قد يصعبُ عليه تصورٌ وصول الإنسان إلىٰ هذه المرحلة من الكبر والغرور وغياب تعظيم الرب!

تأمَّلْ في أفعالِ الصَّهاينة، وانظرْ إلىٰ عِظَم ما قاموا به قديمًا وحديثًا، فهل تستبعد أن يتبعهم في الظلم من يُكتب في بطاقته (مسلم)؟

هل تستبعد أن يسلكَ سبيلَ الطُّغيان والنِّفاق من يُنسبون إلىٰ الإسلام؟

النَّفس البشرية لا تُقيِّم بما هو مكتوبٌ في البطاقة، وإنَّما قيمة الإنسان في تقواه، وتعظيمه لأمرِ ربِّه والامتثال له!

ويأتي السؤال: كيف نتَّقي التبديل والاستهانة بأمر الله؟ وكيف نُحافظُ علىٰ أمر ربِّنا ونُعظِّمه ونشكر نعمه؟

١- الدُّعاء والتَّضرع إلىٰ اللهِ، كَيْ يَجْعَلَ قُلُوبَنَا تقيَّة نقيَّة مُعظِّمة لأمرِه ونَهْيِه.

٢- العلم، والمقصود به العلم بأسمائه الله وصفاته، فالذي يتأمَّل في نفسِه وفي خلقِ الله وعِظمه وفي كمالِ الرَّبِّ وتنزيهه عن أي نقصٍ وعَيْب، يخضع قلبُهُ ويُدرك حجمه.

٣- صحبة الأتقياء وأصحاب الهمَّة العالية، وقراءة سير المُنقادين المُعظِّمين.

٤- تذكرة النَّفس دائمًا بالمآلِ العظيم لطاعةِ الأمرِ الإلهي حيث خُلُود في جنَّةٍ عرضُها السَّماوات والأرض، ولنُطالع الأعداد الرَّهيبة للكواكبِ والمجرَّات المُكتشفة، ومَا خَفِيَ وكَانَ فِي عِلْمِ اللهِ أعظم، فسُبحان الخلَّاق العظيم.

وِرْدٌ من حديث النفس يكونُ في جلسةِ المُحاسَبَة الأسبوعيَّة، يُذكِّر الإنسانُ نَفْسَهَ بأصلِ خَلْقِهِ وعظمة ربِّه ثُمَّ المآل الذي ينتظره، وليكن شعاره:

دُنياكَ ٧٠ سنة تَقِلُّ أو تَكْثُرْ!
فلَا تَبِعْ مليارات السِّنين اللامُتناهية في النَّعيم بسبعين سنة . .
ستنام ثلثها ، وقد تتكدَّر أغلبها . .
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾.
اهزمْ نفسَك واقهرْ شيطانَك ، بالتَّسليمِ لربِّك .

٥- الفطرةُ تُناسبُها الاستقامة، وتعظيم الأمر الإلهي قوةٌ لشخصيَّةِ الفرد واتِّساقٌ مع فِطْرَتِهِ، بينما التَّهرب من الأوامر ومحاولة لَيِّ النُّصوص سبيلٌ إلىٰ النِّفاق، وهدمٌ للاتِّزانِ النَّفسي، والمُتأمِّل فيمَنْ يُحافظُ علىٰ الصَّلاةِ، ويتورَّع ويتقي ما اشْتَبَه عليه؛ يُدرك ذلك المعنىٰ تمام الإدراك!

٦- قياس الالتزام بالأمر الدُّنيوي علىٰ الالتزام بالأمر الإلهي، فالغرب عندما التزمَ بالأسباب الدنيويَّة للتَّقدم؛ تقدَّم علميًا ولكنَّه سيخسر الآخرة، فما بالنا لو التزمَ المُسلمون بأوامر الدِّين مع أسبابِ الدُّنيا وسُبُل التَّقدم، وصاغوا من رحِمِهَا نظامًا يتَّسق مع الاستخلاف الربَّاني للإنسان؛ فالفوزُ الدُّنيوي حتمًا سيكونُ النَّتيجة، والآخرةُ بفضلِ الله للمُتَّقين!




من أقوال الراسخين

«الويلُ كُلُّ الويل علىٰ المفرِّط الَّذي لا ينظرُ في عاقِبتِه».

ابن الجوزي

«وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطا، يحتمل أن يكون الفرط بمعنىٰ التّفريط والتّضييع، أي كان أمرُهُ الَّذي يجب أن يلزم ويهتمّ به من الدِّين تفريطا، ويحتمل أن يكون بمعنىٰ الإفراط والإسراف، أي كان أمرُهُ وهواهُ الَّذي هو سبيله إفراطا وإسرافا».

ابن عطية الأندلسي

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

أمرَهُم اللهُ بدُخُولِ قرية (قيل قرية ببيتِ المقدس) سيكونُ فيها رغدُ العيش، وليدخلوا في تواضعٍ وليقولوا حِطَّة: أي أن يحطَّ الله خَطَايَاهُم ويغفرها، وسيزيدُ المُحسنين، فجزاءُ من يُحسن الإحسان، واللهُ كريمٌ ذو الفضلِ العظيم.

(رغدًا: أكلًا هنيئًا واسعًا لا عناء فيه)

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

فبدّل الظَّالمُون القولَ وسَخِروا وقالوا: حَبَّة في حِنْطة، اللهُ أمَرَهُم أن يقولوا: حُطَّ عنَّا خَطَايَانَا، فبدَّلوا الأمرَ ساخِرِين، وقالُوا: حبَّة في شعرة، ودَخَلُوا علىٰ أدبَارِهِم؛ فكان عذابُ الله حقًّا عليهم جزاءَ سُخريتِهِم، وعدم تسليمهم لأمرِ الله.

(رجزًا: عذابًا).

﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

ولمَّا طَلَب لهم مُوسىٰ الماء، أمرَه اللهُ أن يضربَ بعصاه البحرَ فانقسمَ اثنتي عشرة عينا، وكُلُّ فريقٍ كانَ له المكان الذي يشرب منه، كُلُوا واشربُوا ولا تُفسدوا في الأرض، فالنِّعمة تقتضي أن تَشْكُرَ لا أن تُفسد، وشُكرُ النِّعمة يَكونُ بِشُكرِ المُنعم.

(مشربهم: موضع شربهم)

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾.

لم يَصبرُوا علىٰ طعام واحد وطلبوا الثُّوم والخيار والعدس والبصل بدلًّا من المنِّ والسَّلْوىٰ خير الطعام!

فتأمَّلْ في تبدُّل الفطرة وإيثار الرَّديء علىٰ الجيِّد! أخبَرَهُم مُوسىٰ أنَّ ذلك تبديلٌ للخير، وأي مِصْر فيه ذلك الطَّعام .. سَخَرُوا وعانَدُوا وتعنَّتوا؛ فكانوا من الكافرين؛ أنزلَ اللهُ عليهم الذُّلَّ وضعف القلب .. قتلوا الأنبياء واعتدوا وكفروا؛ فحقَّ عليهم العذاب.

ومضات تنير الطريق

- السَّعادةُ والأمنُ في الإيمانِ بالله، فلا خوفٌ علىٰ المؤمنِ ولا حزنٌ عليه وهو مع الله!
- النَّجاة في الامتثال لأمرِ اللهِ كما أمرَ لا كَمَا نَهْوَىٰ!
- الفِطرةُ قَدْ تتغيَّر والقلبُ قَد يَنْتَكِس، والثَّبَاتُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ بالدُّعاءِ والتضرُّع وطَاعَةِ الله!



حِيلة

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

مُحمَّد عارف مُوظَّف في شركةِ المَخبُوزَات، نحيف الجِّسم يُشبه الخُبز الطَّويل الذي يُباع في الشَّركة التي يَعمل فيها، ذو وجنتين بارزتين من قسوةِ ظروفِ الحياة، لا يهتَّم بملبسه إلَّا في الأعياد والمُناسبات!

وفي يومٍ من الأيَّام وأثناء عمله اليومي في شركتِهِ وتفكيرِهِ في السُّوق الذي سيغوصُ فيه بعدَ الانصرافِ؛ كَي يأتي بطلباتِ البيت، قاطعَ أفكارَهُ مديرُهُ الأستاذ لطفي بفكرةٍ غريبة!

- ما رأيُك في خوضِ مُغامرة جريئة في هذه الشَّركةِ يا مُحمَّد؟

تَرَكَ محمدٌ ما بيده، والتفتَ إليه في بلاهة، قال:

- وهل هُناك وقتٌ للمُغامرات يا حاج لطفي؟

كانَ لطفي مُوظَّفًا قديمًا في الشَّركة، ويعلم ظروفَ كُلَّ الموظَّفين، يعلم شخصيَّاتهم ونفسيَّاتهم، وكأنَّه قرين لهم!

يُدركُ أنَّ مُحمَّدًا يعيشُ في ساقيةٍ كَيْ يكفيَ بيتَه لُقمةَ العيش، جُلُّ تفكيره طوال اليوم حولَ بيتهِ وأولاده وكيف يَمَرُّ الشَّهرُ بلا ديُون، يعيشُ في خوفٍ طوال نصفِ الشَّهر الأوَّل من الحاجةِ إلىٰ قرضٍ كي يُكملَ بهِ نصفَ الشَّهر الثَّاني إلىٰ برِّ الأمان، يَعْلمُ أنَّ محمدًا لا يُصلِّي رغم أنَّ اسمَه علىٰ اسمِ من جُعِلَتْ الصلاةُ قرة عَيْنِه، وعلمه بهذا شجَّعه علىٰ أن يعرضَ عليه هذا العرض!

- ما رأيُك في العملِ يوم السَّبت مع زيادةِ في الرَّاتب؟

تَرَك مُحمَّدٌ ما بيدهِ في لهفة، والتفتَ إليه في اهتمام:

- يا أهلًا وسهلًا، أوافق بالطَّبع، ولكن أينَ العمل؟

نَظَرَ إليه لُطفي نظرةً خبيثة كلها ظفر، وقال:

- هُنا في الشَّركة، يوم السبت؟

تأمَّلهُ محمدٌ في شك، قال:

- ولكنَّ الشَّركة والمصانع تُغلق يوم السبت؟!

- سنفتحها وسنُجهِّز مخبز (٣) للعمل، وسنتَّفق مع المُورِّد ليأخذَ الإنتاجَ ونبيعه لحسابنا.

كان لُطفي يُوقنُ أنَّ محمدًا لَنْ يرفضَ طَلَبه، هو في حاجةٍ ماسَّة إلىٰ المال، وفي ذات الوقت لا يُوجد بداخله ما يُنكرُ عليه الخطأ، واعظ الخيرِ غابَ عن ضميره غيبة طويلة، ولم يَعُدْ بعد!

نَظَرَ إليه في توتُّرٍ، وقال وكأنَّه يُوافق تمامًا علىٰ الحيلة:

- وهَلْ أنتَ علىٰ يقينٍ من المُشاركين معنا؟

ابتسمَ لُطفي ابتسامةَ ثقة خبيثة، وردَّ عليه قائلًا:

- أنَا لُطفي يا محمَّد، ألا تعلَم مَنْ أنَا، وما موقعي في هذه الشركة؟

تسلَّلَ الارتياحُ إلىٰ محمد، وابتَسَم في ثَقةٍ استَلَبَها من ثقةِ لطفي، قالَ في طمع:

- ومَا نصيبي من هذه الصَّفقة؟

وضَعَ لُطفي قدَمَه فوقَ الأُخرىٰ في ثقةِ الفائزِ في معركةٍ يسيرةٍ، قال:

- ستُكملُ شَهْرَك دون قلق، وستذهبُ إلىٰ السَّاحلِ الشَّمالي في الصَّيف، لا تقلقْ!

ولوَّثَتْ ابتسامَتْهُمَا الخبيثة صورةَ المكان.

. . . .

التفتَ مُحمدٌ إلىٰ صديقهِ إبراهيم في توتر، قال:

- هَل أنتَ مُتأكد أنَّ أحدًا لم يرك وأنت قادم؟

نَظَر إليه إبراهيم نظرةَ ثقة، وقال:

- لَمْ يرني أحدٌ وأنا قادمٌ إليكَ يا محمَّد، هيَّا ولا تُطِلْ حالةَ التوتُّر هذه، ما الحكاية؟

- أُريدُ أن أستشيرَكَ في موضوع.

نَظَر إليه مُتعجبًا، قال:

- تأتي بِي في هذا الوقت من اللَّيل لنتقابلَ في العمل، كَيْ تستشيرني في موضوع؟ وما عيبُ الهاتف يا عم محمد؟ هل إجابتي علىٰ الاستشارة ستكون مضروبة؟

هات ما لديك يا محمد، يبدو أنَّ عقلَكَ قد خف!

- هل ستتكلَّم أكثر من ذلك؟

- لا، ولكن أمرك غريب.

- لُطفي طلبَ منِّي أمرًا غريبًا، وأظنُّه قد طَلَبَ مِنْكَ نفس الأمر.

- وما الَّذي طَلَبه لُطفي؟

نَظَرَ إليه في تردُّدٍ وكأنَّه سيتراجعُ عن إخباره، ولكنَّه حَسَمَ أمرَه، قال:

- سنبيعُ إنتاجَ مخبز (٣) لحسابنا في الإجازة.

قالَها وراقبَ ردَّ فعل إبراهيم، ولكن الأخير لم يَظْهَرْ علىٰ وجِهِه شيء، قَالَ:

- وهل وافقت؟

- قلتُ أستشيرك أولًا.

نَظَرَ إليه إبراهيم نظرةً خاوية، قال:

- وهل هذه هي الأمانة يا مُحمَّد؟ هل هذا هو القيام بالعملِ حقَّ القيام؟ لقد وَعَدْنَا الحاج عبد الفتَّاح أن نضعَ المخابزَ في أعيُنِنَا، ونقوم بعَمَلِنَا علىٰ الوجهِ الأكمل؟ فهل هذا ما تَعَاقَدْنَا عليه؟

تغيَّرَ وجهُ محمَّد ولمع العرقُ فوقَ جبهته، قال:

- الحياةُ صعبة، والمصروفات تزداد.

- وهل هذا مُبرِّر يا محمَّد؟ الحياةُ صعبة علىٰ الجميع، وماذا لو اتَّقينا اللهَ وقُمنا بواجبَاتِنَا حقَّ القيام، ماذا لو لَمْ نَتَحَايَل علىٰ اللهِ كَيْ يزدادَ رزقُنا؟، اطلبْ ما عندَ الله بالحلالِ يا مُحمَّد، صلِّ لله واجتهدْ وقُم بِمَا اتَّفقت عليه مَع صاحبِ العمل، وتعاملْ مع أمرِ ربِّك بتعظيم ثُمَّ خُذْ بأسبابِ الاجتهاد وقوة، وسترىٰ الفرق.

لَمْ يشعرْ محمدٌ بأثرٍ للكلامِ علىٰ قلبهِ، يعلم أنَّ كلامَه صحيح، ولكنَّه لم يَعْتَدْ الاستقامة، ولم يُجاهد في أخذِ الأمورِ بقوَّة.

نَظَرَ إلىٰ إبراهيم في رجاء، قال:

- حسنًا يا إبراهيم، سآخذ مَا قلته بجد، وأراجع نظرَتِي للأمُور، ولكن عِدْنِي ألَّا يخرجَ هذا الكلام من بيننا.

تأمَّله إبراهيم بنظرات ليسَ لَهَا معنىٰ، قال:

- لا تقلقْ يا مُحمَّد، سِرُّك في صدري، والآن أريدُ أن

أذهبَ إلىٰ أولادي، سهَّرتَنَا بلا داع، أراكَ غدًا في الشركة، سلام يا محمد.

تَرَكَ إبراهيمُ محمَّد غارقًا في صراعِ الأسئلة..

هل سيستطيعُ أنْ يقومَ بأمرِ الله في نَفْسِهِ وفي عمله؟

هل سيُصلِّي ويلتزم ويأخذ أمورَ دينِه ودنياه بقوة؟

هل سيلتزم إبراهيمُ بِمَا قالَ ولَن يُخبرَ لطفي؟

ماذا سيقولُ للطفي، وقَدْ وافَقَه علىٰ العرضِ الذي قدَّمه إليه؟

دَارَت عشراتُ الأسئلةِ في ذِهْنِه، ودفَنَ رأسَه بين يَدَيْهِ ولَمْ يَصِلْ إلىٰ أيِّ إجابة..

. . . .

جَلسَ الحاج عبد الفتَّاح صاحب الشَّركة في مكتبِه، دَخَل عليه مُحمَّد بتوترٍ مَلحُوظ، قال:

- أريدُ أن أفاتحَ حضرتك في موضوع..

نَظَر إليه الحاج عبد الفتَّاح بابتسامةٍ غريبة، قال:

- خيرًا يا مُحمَّد، أراك متوترًا، اهدأْ يا رجل لَنْ نأخذَ من الدُّنيا شيئا، وضَحِكَ بصوتٍ عال..

قَبْل أن تخبرَني بموضوعِك، أريدُ أن أقابلَك بزميلٍ لك يُحبُّك ويحرصُ علىٰ العملِ كحِرصِك، ونَظَر إلىٰ البابِ مُبتسمًا، قال:

- ادْخُلْ يا إبراهيم!

ودَخَلَ إبراهيمُ الغرفةَ بوجهٍ مُبْتَسِم، واتَّسَعَت عينا مُحمَّد في ذُهُول..

ولم يُناقِشْ موضوعَهُ مع الحاج عبد الفتَّاح!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾

[البَقَرَة: ٦٢-٦٩].

راسخٌّ يأخذ أمرَ ربِّه بقوة

أسئلةٌ سريعٌ ومُصارحةٌ ليِّنة!

هل نَحنُ من المُحسنين؟

هل نسعَىٰ إلىٰ أخذِ أوامرِ ربِّنا كَمَا أُنزِلت، ونجتهد في ذلك؟

هل نَصْدُقُ مع الله ولا نتحايل كي نصلَ إلىٰ ما يُريده هوانا؟

تلك الفتاة التي تُظهر جزءًا من شعرِها تَحْتَ غطاء الرأس، أو ترتدي بنطالًا ضيقًا؛ فهل هذا حجاب؟

ذلك الشَّاب الذي يُؤخِّر صلاةَ الفجر إلىٰ ما بعد طلوع الشمس، هل امتثل للآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾.

نَعَم قَدْ نتَّفِق أنَّ السعيَ نحوَ الطَّاعة شيءٌ محمود، ولكن الأوامرَ الإلهيَّة والتَّوجيهات النبويَّة التي نَزَلت علىٰ سبيلِ الوجوب، يُنتظر تنفيذها والصِّدق في تلقِّيها كَمَا أُنزلت، وليس كمَا نُريدها نحن!

الفتاةُ التي ذكرناها، لو سألناها: ما نيَّتكِ في تركِ هذا الجزءِ من شعرِك؟

الشَّاب الذي أخَّر وقتَ الصَّلاة مُتعمدًا، هل هذا وقتها الذي أمَرَك اللهُ أن تُصلِّي فيه؟

إنَّ الأوامرَ الإلهيَّة واضحة، والأمر بتقوىٰ الله قدرَ الاستطاعة لا يُسوِّغ تقسيم الطَّاعات أو اجتزائها!

قول الله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ لا يُعطينا الحقَّ في أداءِ صلاةِ الظُّهر ركعتين فقط، بدلًا من أربع ركعات.

مِنْ لَازِمِ الانقياد والصِّدق في تلقِّي الأمر، تَنفِيذُه كَمَا أنزلَه اللهُ وليسَ كمَا فصَّله هوىٰ النَّفس، وشكَّلته عادات المجتمع (أحدُهُم عند انتشارِ الحجاب استنكرَ غطاء الرَّأس، ويقولُ هذا ليسَ رداء المصريات!، مع أنَّ النِّقاب كان رداءُ سيِّدات في وقتٍ من الأوقات، ولهذا فالمُجتمع ليس إلهًا والعادات التي تُخالف الشَّرع ليست قرآنًا).

نَعَم، هناك أسبابٌ قد تدعو البعضَ إلىٰ اجتزاءِ الطَّاعات، والتَّحايل عليها ومنها ضعف الإيمان والرُّكون إلىٰ الدُّنيا والجهل بالحُكم الصَّحيح!

نَعَم الامتثال بالإقبالِ علىٰ أصلِ الطَّاعة (أن تُحبَّ السَّترَ مثلًا) شيء محمود، ولكن المسلم الصَّادق يرجو قبولَ العمل، وذلك القبول شرطُه الإخلاص والاتِّباع.

الاتِّباع، أن نتَّبعَ الأمرَ كَمَا أُنزلَ علىٰ سيِّد الخلقِ محمَّد ﷺ.

والإخلاص أن نتوجَّه بالعبادةِ إلىٰ اللهِ فقط، لا لِسُمعة أو منزلة عند النَّاس أو لدُنيا نصيبها.

حسنًا، قد تقولُ الفتاة: أليس تغطية أغلب الشَّعر أفضل من كَشْفِهِ كله؟

هل تُريدون منَّا أن نتركَ الطَّاعة تمامًا؟

والإجابة: السَّعيُ نحو الطَّاعة حسن، ولكن الصِّدق في الطاعةِ واجب، وعدم تنفيذها كما أمرَ اللهُ بها قد يُعرِّضها لعدم القبول.

إذن نخلع غطاءَ الرَّأس .. هذا ما تُريدونه؟

إذا وَصَل التَّفكير إلىٰ هذا الطرح فيُقال: إذا اكتفيت بهذا الجزء الذي تقوم به امتثالًا لأي أمر، فهل تلوم نفسَك دائمًا ويحزن قلبُك للتَّفريط؟

هل تضمن لقلبك أن يحتفظَ بمشاعرِ النَّدم علىٰ التَّفريط في تنفيذِ الأمرِ علىٰ الوجه الذي أمرَ اللهُ به وأراده؟

نَعَم، مشاعرُ النَّدم عظيمة، ولكن هل تضمنُ استمرارَها؟

مشاعرُ النَّدم في ذاتِها لا يُضمَن استمرارُها، فالصِّراع الدَّاخلي حولَ أيِّ طاعة أو فكرة ينتهي إمَّا بتنفيذِ الطَّاعة أو تركها!

📖 النَّدم لا يستمرُّ إلىٰ ما لا نهاية!

ولماذا يضعُ العاقلُ نفسه في خندقِ الصِّراعات؟ وما الذي يجعله يُقصِّر في تنفيذِ الأمرِ كَمَا يُريدُه الله؟

نحنُ لا نمُنُّ بالطَّاعةِ علىٰ اللهِ حتَّىٰ نقول إنَّ نصفَ حجاب أفضل من عدمه، بل نمتثل للأمرِ الإلهي من أجل أنفسنا والله غنيٌّ عن طاعاتنا، «من اهتدىٰ فإنَّما يهتدي لنفسه»، فمِنْ غير المنطقي ولا المعقول أن يفعل الإنسان شيئًا يستنقذ به نفسه ثم يفعله منقوصا، وإذا راجعه أحد قال: «هذا أفضل من ألَّا أفعل شيئا»!

📖 مَنْ يأخذ بسبب نجاة يستقصيه حتىٰ آخره ..

إنَّ السَّبيلَ إلىٰ أخذِ أمرِ الله بقوة، والبُعد عن فتنِ الدُّنيا ومُلهيَاتها.

١- أن يدعوَ العبدُ ربَّه ويتضرَّع إليه، والدُّعاءُ أقوىٰ الأسلحة.

٢- التَّأمل في معالِي الأمور والأجرِ العظيم الَّذي ينتظرُ صاحبها.

٣- مُطالعة سيرِ الصَّالحين وأصحابِ الهممِ العاليَّة في التَّنافسِ لنيلِ رضَا الله، واتِّباع أمر الله كَمَا نَزَل.

٤- التَّقصيرُ سبيلُ التَّنَازلِ عنِ الطَّاعات، فلنحْذَر.

٥- صُحْبَةُ الصَّالِحين وسيلةٌ عَظِيمة لِرَفْعِ الهمَّة والسَّعي نَحوَ تَجْويدِ الأعمال.

٦- عَلَينَا السَّعي، والقبول من الله، ولا نقعُ في وَهْمِ الكمالِ فنُحْبَط، ولنتمسَّك بالاتِّباع واللهُ -تعالىٰ- يتقبَّل من المُخلِصِين.

نسألُ اللهَ تَعَالىٰ أن يهدِيَنا سُبُلَ الرُّسوخ، ويوفِّقنا إلىٰ أخذِ جميعِ أوامِره بجِدٍّ وقوَّة.



من أقوال الراسخين

«بقدرِ ما يصغرُ الذّنبُ عندك يعظمُ عند الله، وبقدرِ ما يعظمُ عندك يصغرُ عند الله».

الفُضَيل بن عياض

قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا عليّ ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنَّ العملَ إذا كان خالصًا ولم يكن صوابا لَمْ يُقْبَل، وإذا كان صوابًا ولم يَكُنْ خالصًا لَمْ يُقْبَل حتَّىٰ يكون خالصًا صوابا. الخالصُ أن يكونَ لله والصَّواب أن يكونَ علىٰ السُّنَّة. ثُمَّ قرأَ قولَهُ تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

ولننهل من نعيم معاني القرآن

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وليسَ كُلُّ بني إسرائيل هلكَىٰ ولا كُلُّ النَّصارىٰ (الصَّابئون من ضِمْن النَّصارىٰ علىٰ اختلافِ العُلماء في تعريفِهِم) ولكن هُنَاك مَنْ آمنَ قبل مُحمَّد وعَمِلَ صالحا، فلَهُم أجْرُهُم ولا خوفٌ عليهم؛ لإيمَانِهِم وخُضُوعِهِم وتَسْليمِهِم لله.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

أخَذَ اللهُ العهدَ عليهم، ورَفَعَ فوقَهُم جبلَ الطُّور تخويفًا، قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِمَا في التَّوراة أو يُنزلُ عليكُم الجَبَل؛ فآمَنُوا، وأمرَهُم بالأخذِ من التَّوراة والعملِ بِها، نَزَلَت الكُتُبُ كَيْ نُجاهدَ بالعملِ بما فيها، ونمتثلَ لأوامرِ ربِّنا ونعتبر بما وَرَدَ فيها مِنْ قَصَص، واذكرُوا ما فيه (أي التَّوراة) لعلَّكم تخافُون اللهَ وتتَّقُونَه.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

وبعدَ كُلِّ تلك النِّعم وبيان سبيل الحق وأَخْذ الميثاق، تولَّيتم وأعْرَضتم وابتَعَدتُم عن الحقِّ، ولَوْلَا فضلُ اللهِ بتأخيرِ العذابِ عَنْكُم وعدم تعجيلِ العقوبةِ؛ لهَلَكْتُم.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.

ولَقَد عَلِمْتُم ما جَرَىٰ لأصحابِ السَّبت الَّذي حرَّم اللهُ عليهم الصَّيد يومَ السَّبت فتَحَايلُوا علىٰ تحريم الله، ووَضَعُوا الشِّبَاكَ في الماءِ، وأخذُوا ما صِيدَ يومًا آخر (يوم الأحد)؛ فمَسَخَهُم اللهُ عقابًا علىٰ استهانَتِهم بأمرِه وتَحَايُلِهِم علىٰ شَرْعِه، فتأمَّلْ في التَّحايُل علىٰ أمرِ اللهِ، وتسميةِ الأمورِ بغيرِ مُسمَّياتِها، والالتفافِ حولَ أوامرِ الله بالتَّساهل والتَّأويل والتَّبرير، نسألُ اللهَ الثَّبات.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

فَجَعَل اللهُ عقوبَتَهُم عبرةً للأُمَمَ الَّتِي عَاصَرَتهُم، ومَنْ عَاشُوا بَعْدَهُم، ولا يتَّعِظُ ويَعْتَبِرُ إلَّا المُتَّقون!

حوادثُ كثيرة تُصيبُ النَّاس وبلايا عظيمة تَنْزِلُ بالأممِ، ولا يعتبر ويتذكَّر ربَّه إلَّا القليل!

(نكالًا: عقوبة)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

قصَّةُ البقرة، أنَّ رجلًا مِنْ بني إسرائيل قَتَل قريبَه ليرثه، وادَّعىٰ علىٰ قومٍ أنَّهُم قَتَلُوه، فأمرَهُم اللهُ أَنْ يذبَحُوا بقرة، ويضرِبُوا القتيلَ ببعضِها، ففعَلُوا فقامَ المقتُول (بَعَثَه الله) وأخبرَ بمَنْ قتله، ثُمَّ عادَ ميتًا، ولمَّا أمرَهُم مُوسَىٰ بذَبحِ البقرةِ اتَّهمُوه بالسُّخرية منهُم؛ فقال: أعوذُ باللهِ أَنْ أكونَ مِن الجَّاهِلِين، فالجاهلُ لا يعرفُ ماذَا يقول، ولا تَبعات (نتائج) أقواله.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾.

قالوا: قل لربِّك يُخبرنا ما سنُّها؟ قال: لا كبيرة ولا صغيرة، وإنَّما هي بينَ ذلك، فلا تتعنَّتُوا ولا تتشدَّدُوا وامتَثِلُوا لأمرِ الله، فتأمَّلْ في التَّعَنُت، وغيابِ استسلام القلب!

(لا فارض ولا بكر: لا مُسنَّة ولا فتيَّة)

(عوان بين ذلك: نصف (وسط) بين السِّنين)

﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾.

استَمَرُّوا في تعنَّتهم وقالوا: ما لونُها؟، فأجابَ مُوسىٰ: صفراء تسرُّ النَّاظرين، واستمرَّ معهم وأجابَهُم ولَمْ يُجَادِلْهُم.

لوْ لَمْ يعترضُوا لأجزأَت عنهم أدنىٰ بَقَرة، ولكنَّهم شدَّدوا فشُدِّد عليهم، حتَّىٰ انتهوا إلىٰ البقرة الَّتي أمَرُوا بِذَبْحِها فوجدُوها عند رجلٍ ليسَ لَهُ بقرة غيرها، فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبًا، فأخذوها فذبحوها.

(تفسير ابن كثير)

ومضات تنير الطريق

- اليقينُ في علمِ الله بالنِّيات؛ يجعلُ المرءَ يستقيم مع الله!
- الامتثالُ للهِ زينةُ العبوديَّة، ومفتاح التَّوفيق!
- اللهُ يُعطي الفرصَ الكثيرة، ولكن هل نضمنُ أن نعيشَ لنُدركها؟



تِيـهٌ قَاسٍ

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

عادَ المُهندسُ كامل بعدَ يوم عملٍ شاق، أحضرَ مشروبَه الَّليلي ومدَّد جسده علىٰ أريكتهِ المُفضَّلة، أخذَ يحتسي المشروب مُتأملًا في صورةٍ كبيرة تملأ الحائطَ الذي يُقابله، سَرحَت عيناه التَّائهتان في وجهِ صاحبةِ الصُّورة وبدأ رأسُهُ يترنَّح من أثرِ المشروب وخُيّل إليه أنَّها تبتسم!

- هُناك فتاةٌ لا يُوجد مثلها عشر فتيات في العالم، هل ستظلُّ علىٰ هذه الحال دون زواج؟

استمعَ إلىٰ العبارةِ السَّابقة واتَّسعت عيناه الزائغتان في ذهول .. ما هذا؟ يبدو أنَّه قد أفرط في الشَّراب.

قام بجسدٍ مُضطرب، واتَّجه إلىٰ غُرفة مكتبهِ .. فتحَ حاسبَهُ الآلي ثم موقع التَّواصل الذي يسهر يوميًا أمامه واتَّصل بفتاةٍ من قائمةِ الفتياتِ التي يقضي ليلَه في الحديثِ معهن!

كاملُ مُهندس حاسب آلي يعملُ في شركةٍ عالميَّة براتبٍ يتمنَّاه أي أحد، وجهٌ أبيض هادئ، عينان تائهتان من كثرةِ السَّهر وتعاطي الخمور، إلَّا أنَّ عضلاتهُ مرسومة قويَّة وكأنَّه لاعب كمال

أجسام، عندما تنظرُ إليه تَتَذَكَّر الصُّورة الكارتونيَّة لأدهم صبري علىٰ غلافِ روايات رجل المستحيل!؛ يهتَّم بجسده نهارًا، ويُفسِدُ عقلَهُ وقلبَهُ ليلًا!

- لماذا تُريدُها بيضاء؟ بياضُ البشرةِ ليسَ بالضَّرورة علامة علىٰ الجمال.

سألته الفتاةُ التي يُحدِّثُها علىٰ موقعِ التَّواصل، فأجاب:

- أُريدُها بيضاء شقراء، مُتوسطة الطُّول، جامعة أمريكية، والدها ذو مركز في القضاء وأمُّها ربَّة منزل.

- ههههههه، وما مقاسُ الحذاء؟

اكتسىٰ وجههُ بالغضب، سألها:

- هل تسخرين؟

- لا أسخر، ولكنَّك لا تطلبُ أمورًا واقعية!

- كُلُّ ما أطلبهُ موجود، ولكن لم أقابلها حتَّىٰ الآن!

قالت مُتصنعةً الغضب:

- لاحظْ أنَّك تتحدَّث مع فتاة.

ابتَسَمَ في خُبْثٍ، وقال:

- وما المُشكلة، هل أنتِ زوجتي الأولىٰ وأبحث عن الثَّانية؟

أحنقها ردُّه، قالت بتهكُّم:

- سأغَادر الآن، أكرمَكَ اللهُ بعروس المريخ التي تبحث عنها.

ضَحِكَ كاملُ وتركَهَا تُغادر بلا اعتراض، هو يعلمُ أنَّها ستتصل به مرةً أخرىٰ، هو يثقُ في جاذبيَّتِهِ للنِّساء!

ابتسمَ في ثقةٍ مُعجبًا بنفسهِ، وقام يتجهَّزُ للخروج.

. . . .

كان كاملُ يسهرُ طويلًا خارج المنزل، **حياة مُضطربة مليئة بالمعاصي .. أخذٌ بجميعِ أسبابِ قسوة القلب، ومعَ النِّعم الكثيرة التي يتمرَّغ فيها**، لكنَّه لا يفعل شيئًا إيجابيًا إلَّا الحفاظ علىٰ رشاقته كَيْ يَظَلَّ قِبْلَةَ عيون النِّساء!

وفي ليلةٍ من الليالي عند عودته إلىٰ منزلهِ كالعادة بعد مُنتصف الليل، إذا بصوتٍ يُناديه:

- إلىٰ أين يا باش مهندس؟

التفتَ كاملُ إلىٰ المُنادِي في تعجُّب، كان الحاج محمَّد جاره، رجلٌ علىٰ المعاش ولا يفعلُ شيئًا في يومِهِ إلَّا الذِّهاب إلىٰ المسجدِ لأداءِ الصَّلوات، والجلوس في الشُّرفة لمُشاهدةِ التِّلفاز وقراءة الجرائد.

- تعال يا باش مهندس كامل، أريدُ أن أجلسَ معك قليلًا.

كان الحاج مُحمَّد يقطنُ في الطَّابق الأرضي، ولم يُرد كامل

أن يقعَ فريسةً لثَرْثَرَتِه، ولكنَّه فكَّر أنَّه إذا أفلتَ من تطفُّلِهِ هذه المرَّة ونَجَا، فلن ينجوَ المرَّات القادمة؛ فآثر أن يُلبِّيَ دعوَتَه؛ كَيْ لا يعيش في قلقِ انتظارِ النِّداء عليه كُلَّمَا مرَّ أمامه!

دَلَف كاملُ إلىٰ الشُّرفة التي يجلسُ فيها الحاج محمَّد بعدما لبَّىٰ دعوتَه، وقال في برود:

- خيرًا يا حاج محمَّد، لماذا أردتَ مُجالستي؟

- أنت جارٌ عزيز يا باش مهندس، ولكن لماذا لا أراك في المسجد؟

- أَلِهَذَا ناديتني يا حاج محمد؟

- لا يا باش مهندس، لم أدعك لهذا بالطبع، دعنا ندخل في الموضوعِ مُباشرة، عندي لك عروس يتمنَّاها أي شاب.

تأمَّل كاملُ في وجْهِه، وصَمَت قليلًا وقال:

- ولكن هل تعلم المُواصفات التي أبحثُ عنها؟

- **يا كامل يا بني، لا تشدِّد فيُشدَّد عليك، في النِّهاية كُلُّهن نساء!**

قالها وأخذ يضحك، ولكن كامل لم تَبْد عليه أيَّة مشاعر، وأكمل الحاجُّ مُحمَّد:

- أنا أعلم كلَّ شيء يا مُهندس كامل.

نَظَرَ كاملُ إليه مُتعجبًا، سأله:

- ماذا تقصد يا حاج محمد؟

اقْتَرَبَ منه وابتسم ابتسامةً طيِّبة، قال:

- أعلم سهراتك ونزواتك وكلَّ شيءٍ عنك.

انتفضَ كامل من مكانِه وهبَّ واقفًا، صاح وشررالغضب يتطاير في عينيه:

- ماذا تقولُ يا حاج محمد؟ هل تُراقبني؟ أستأذنك يا حاج، عِندِي مشوار مُهِّم.

قامَ مُحمَّد ليُثنيه عن المُغادرة، أمسك بيده وقال:

- تمهَّلْ يا كامل، أنتَ في عُمرِ ابني، وأنا لا أريدُ لكَ إلَّا الخير!

نَظَرَ إليه كاملُ حانقًا، ولم يُغادرْ؛ فرَبَتَ الحاج محمَّد علىٰ كَتِفَيه، وأَجْلَسَهُ ثُمَّ قال:

- **قلبُك أمانة يا بُني؛ فاحرصْ علىٰ طَهَارته.**

كُلُّ ما أنتَ فيه يُفسدُ قلبَكَ وبصيرتَكَ ويجعلُ قرارَك تائهًا مضطربًا..

عندك الكثير من الفتياتِ الصَّالحات فلماذا تَتَشَدَّد في مُواصفاتِك، والعمر يجري بك يا بني!

هل تَتَذَكَّر الحادثَ الذي تعرَّضت له العام الماضي؟

تأمَّله كامل في صمت، وذهَبَ بخَيَالِه سنة إلىٰ الوراء..

كانَ عائدًا من عملِه، ورَكَنَ سيَّارته علىٰ الجانبِ الآخر من الطَّريق، وأثناء عبوره الطريقَ إلىٰ منزله؛ داهَمَتْهُ سيَّارة وتعرَّضَ

لإصابَات خَطِيرة كَادَت أنْ تُنهيَ حَيَاتَه لَولَا فضلُ اللهِ عليه بالشِّفاء!

قَاطَعَ الحاج مُحمَّد سيْلَ ذكرياتِه، قائلًا:

نجَّاك الله من حادِثٍ أليم ولم تفقدْ وظيفَتك، **فهل شكَرْتَ ربَّك يا كامل، أَمْ قَسَىٰ قلبُك ونسيت تتابُعَ النِّعمِ والعافيَّة عليك؟**

قسوةُ القلبِ نتاج التَّشديد وغياب شُكْرِ النِّعم وكثرةِ المعاصي يا كامل، والعاقبةُ شُؤم وتشتُّت وغضب من الله!

اسمعْ كلامي بقلبِك لا بعقلِك، واعلَمْ أنِّي جارك ومثل والدك وأحبُّ لك الخير.

كان يتكلَّم، وكامل ينظرُ إليه شاردًا..

كلامٌ جديدٌ لَمْ يَطْرُق مسامَعَه مِنْ قبل!

هَل هَذَا الرَّجُلُ يُريدُ لَهُ الخَيْرَ حقًا؟

هل يَنْصَحُهُ بِصِدْق؟

هل مَاتَ قَلْبُه؟

أسئلةٌ كثيرةٌ دَارَت بذِهْنِه، فقامَ واجم العينين، واستأذَنَ الحاجَّ مُحمَّدًا، قائلًا:

- شكرًا لَكَ يا حاج مُحمَّد، أَعِدُكَ أنَّني سأفكِّرُ فِيمَا قلته، إلىٰ اللقاء.

صَعَد كاملُ إلىٰ منزلِه، جلسَ قليلًا يُفكِّر في كلامِ الحاج مُحمَّد، مدَّد جَسَدَه علىٰ أريكتهِ المُفضَّلة ثُمَّ نَظَرَ إلىٰ الصُّورة التي

تملأ الحائط أمامه وقال:

- أريدُ العروسَ التي لا يُوجَدُ مثلها عشرة في العالم!

والتمعت عيناه بالدُّموع، وهو ينظرُ إلىٰ صورةِ أمِّه التي ماتت مُنْذُ خمس سنوات!



﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٠-٧٦].

راسخٌ حريصٌ على قلبِه

قلوبٌ كالحجارةِ أو أشدُّ قسوة . .

بل أشدُّ قسوة!

«وإنَّما لم يُشبِّهها بالحديدِ مع أنَّه أصلب من الحجارة؛ لأنَّ الحديدَ قابل للين، فإنَّه يلين بالنَّار، وقَدْ لَانَ لداوود عليه السلام،

والحجارة لا تلينُ قط، ثُمَّ فضَّل الحجارةَ علىٰ القلبِ القاسي، وإنَّ مِنَ الحجارةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأنهار». **[تفسير البغوي]**

إنَّ طريقَ الرُّسُوخ بدايتُه ووسطُه ونهايتُه، السَّعي إلىٰ حياةِ القلبِ واتِّقاء قسوته!

كلُّنا نَحْرِصُ علىٰ حياةِ أبْدَانِنَا ومنَّا مَنْ يَحرِصُ علىٰ جاذبيَّةِ جَسَدِه وتَنَاسُقِه (يلعب الرياضةَ يوميًا أو يحترف رياضات معينة)، وهذا شيءٌ عظيم وهدفٌ نبيل يُغبَطُ عليه من يُحقِّقه، وكذلك هو امتثال لتوجيهِ النَّبي (وإنَّ لبدنِكَ عليك حقًا).

نَعَم قد يُثابُ المرءُ بنيَّته علىٰ اهتمامِهِ بجسدِهِ والسَّعي نحوَ تقويَتِه، فالمؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلىٰ اللهِ مِن المُؤمنِ الضَّعيف، وطريقُ الرُّسُوخ في هذا الزَّمن يحتاجُ أشدَّ الحاجةِ إلىٰ أن تحيَا الأبدانُ بالنَّشاط والقوة، ولكن الحاجة الأكبر والأولوية العُظمىٰ لحياةِ القلوب.

إنَّ طلبَ الرُّسوخ يُجبِر بوصلةَ المُخلِصَ علىٰ الاتِّجاه ناحيةَ إحياءِ القلب؛ فحياةُ القلبِ سببٌ رئيسٌ في حياةِ البَدَن، والقلبُ سيِّد الجوارح.

ونحنُ في سبيلِ الرُّسوخ، وعند أوَّل نظرة لَنَا في هذه الدُّنيا مَعَنَا قَلْبٌ أبيض لم يتلوَّث بأدرانِ الشَّهوات ولَمْ يتعرَّض لظلامِ الشُّبُهات.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَىٰ فِيهَا جَدْعَاء**» متفق عليه[1].

نعمةٌ عظيمةٌ لا تُقدَّر بثمن، يشتركُ في حفظِها أسرةٌ ومجتمعٌ ثُمَّ الشَّخص نفسه، وللعجبِ الشَّديد تُقابلُ الأسرةُ صفحةَ القلبِ البيضاء بالكثيرِ ممَّا يلوثُهَا من مسموعٍ ومرئي.

لن نتناولَ هُنا دورَ الأسرةِ والمُجتمع، فمحله مواقف وصفحات أخرىٰ، ولكن قصَّتنا هُنا مثَّلت شابًا لم يشكرِ النِّعَم والعافيَّة السَّابقة، وشدَّد علىٰ نفسِه وأحاطَ قلبَه بالفِتَنِ والشَّهوات؛ حتَّىٰ قَسَىٰ ولَمْ يُبصرْ مصلحةَ صاحبِه!

يتوجَّب علينا ونحنُ نسلكُ طريقَ النَّجاة، أن نحرصَ علىٰ سلامةِ القلبِ والمُحافظةِ علىٰ فطرتِنَا السَّليمة ونَنجو من التَّشبه ببنِي إسرائيل في تشدِيدِهم علىٰ أنفُسِهِم وذهاب اعتبارِهم بالآياتِ وعدم شُكْرِهم النِّعم؛ حتَّىٰ لا يقتربُ مصيرُنا من مصيرِهم!

نتعجَّبُ لقسوةِ قلوبِنا ونحنُ نُعرِّضها يوميًا لعشراتِ الفِتَن ومِئات المَعَاصي، مع قلةِ العِبادات (إذا كُنَّا من أهل الصلاة والصوم والصدقة) وقلة الشكر!

---

(١) يُمَثِّلُ رسولُ اللهِ ﷺ هذا المعنَىٰ بولادةِ البَهيمةِ سَليمةً مِن العُيوبِ، كاملةَ الأعضاءِ، لا نَقْصَ فيها، ثُمَّ يَحصُلُ فيها النَّقصُ مِنَ الجَدْعِ وغيرِه؛ لأجْلِ تَصرُّفِ الإنسانِ، كذلك الإنسانُ يُولَدُ سَليمًا علىٰ الفِطرَةِ، ثُمَّ يَحدُثُ فيه النَّقصُ مِنَ التَّهَوُّدِ والتنصُّرِ وغيرِهما؛ لأجْلِ تصرُّفِ والدَيْهِ

نشتكي كثيرًا، شبابًا وكِبارا، من غِيَابِ التَّوفيق وذِهابِ الخُشُوع والتَّخبطِ في الحياة، فهل بَذَلْنَا **الحدَّ الأدنىٰ من الأسباب** كي نُوَفَّقَ في طريقِنَا إلىٰ النَّجاح في الدُّنيا والآخرة!

دَعْنَا نُصارحْ أنفسنَا بكُلِّ وُضُوح .. نَحْنُ مُفرِّطُون في الأخذ بالأسباب!

أنا وأنتَ نستطيع أن نحرِّكَ أيدينا بإرادتنا واختيارنا، هذه اليد هُنا والأُخرىٰ هُناك؛ فَلِمَ لا نُحرِّك أجسادَنَا ونُخْضِعُها للقيامِ أمام ربِّ العالمين والصَّلاة له؟

لِمَ لا نُخضِعُ أَنْفُسَنَا الكسُولة، ونفتحُ المُصحفَ، ونقرأُ ولو آيةً واحدةً ونمرِّرُها علىٰ قلوبِنا؟

دعني أصارحك أنَّ مِنْ أَسْمَىٰ الأهداف التي قصدتُها بكتابةِ هذا الكتابِ، هو تسهيل إقبال المُعرِضين عن قراءةِ القرآن (وكُلُّنا لنا نَصيبٌ من الإعراض) وتدبره وفهم معانيه، ودعني أقصُّ عليك هذا الموقف الواقعي القصير!

يقولُ أحدُهُم: في مرحلةٍ ما مِنْ حياتي يُمكنُكَ أنْ تَصِفَها بمرحلةِ قسوةِ القلبِ، دلَّتني بنتُ خالَتِي علىٰ فتحِ المُصحف كي أقرأَ وأهتدي، ولكنَّني يومها لَمْ أسْتَطِع!

قلبٌ يصلُ صاحبُه إلىٰ مرحلةٍ لا يستطيعُ مَعَهَا أنْ يَفْتَحَ كتابَ ربِّه بسهولة، ولا أجدُ ما يُلخِّصُ تلك الحال إلَّا الآية الكريمة..

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

غطَّىٰ علىٰ قُلُوبِهِم مَا كَسَبُوا من الذُّنوب؛ فقَسَىٰ وكان هذا حاله، وأصْبَحَت هذه النَّتيجة!

هَلْ بَذَلَ أحدُنا أدْنىٰ الأسباب كَيْ نَنجُو مِن تلكَ الحالة القلبيَّة المُحْزِنة؟!

تأمَّل معي في شابٍ يعيشُ في زَمَنِ الشُبُهَات والشَّهَوَات، ولكنَه..

يقرأُ جزءَ قرآن، ويقرأُ في خمسةِ كُتُبٍ في علومٍ مُختلفةٍ ويتعلَّمُ لغةً ويلعبُ رياضةً ويدرسُ في معاهدَ مُختلفة علىٰ الشبكةِ العنكبوتية (الإنترنت) ويُطوِّر نفسَه فيما يتعلَّق بعملِه ويجلسُ مع أهلِهِ ويتواصل مع أحبابِه، وكلُّ ذلكَ في جدولٍ يوميٍ مُنظَّم، فَمَتَىٰ سيكْتَئب ومَن سيُوسوِسُ لَه، ومِن أيِّ طريقٍ ستُهاجمُه الشَّهوة؟

فَهَل نفعلُ ذلك أو حتَّىٰ نفعلُ الحدَّ الأدنىٰ من الطَّاعات وشَغْل الأوقات؛ كَيْ ننجوَ بقُلُوبِنَا ونُقابل ربَّنا بقلبٍ طاهرٍ سليم؟

دعونا نسلك خُطُواتِنَا في سبيلِ النَّجاة بقلبٍ سليم، ولكي نتجنَّب الوقوعَ في فخِّ تجاهلِ الآياتِ ووحلِ قسوة القلب؛ فعلينا أن:

١- ندعو اللهَ أن يرزقَنَا قلبًا سليمًا شاكرًا، وأن يوفِّقنَا إلىٰ أسبابِ صَلَاح القلب، والدُّعاء رأسُ أي رزقٍ دُنيوي أو أُخروي.

٢- نتعرَّفَ إلىٰ اللهِ بأسمائهِ وصِفاتهِ، ونتأمَّل في خَلْقه وآياته (لا نَحرمُ أنفسنَا من التأمُّل، ففي الأثرِ المنسوب إلىٰ

أبي الدَّرداء ﵁: تَفَكُّرُ ساعةٍ خَيْرٌ من قيامِ ليلة).

٣- الصُّحبة الصَّالحة (وقراءة سير المُعظِّمين لأمرِ الله) من الأسبابِ المُعينة علىٰ صلاحِ القلب. (وسنُذكِّر بذلك طوال طريقنا نحو الرُّسوخ).

٤- السَّعيُ في سُبُلِ تَحْصِيلِ الرِّضا، ومنها البُعد عن التَّرف في كُلِّ الأوقات، وقد رُوي عن عمر ﵁ توجيه نفيس، يقول: اخشوشِنُوا فإنَّ نعمةَ الله لا تدُوم.

٥- حِفْظُ النَّظَرِ والخَوَاطِرِ، فلا نمدُّ أعينَنَا إلىٰ مَا ليس لَنَا، ولا نسترسلُ في التَّفكير السَّلبي.

وبعدُ، فالقلبُ أمانةٌ عظيمةٌ والحرصُ علىٰ حياتِهِ مُهمَّةٌ جليلة، والنَّاجي مَنْ دَعَا ربَّه وبَذَلَ الأسبابَ كَيْ ينجو مَن هذهِ الحياةِ بقلبٍ سليم!



من أقوال الراسخين

«أربع من علامات الشَّقاوة: قسوةُ القلبِ، وجُمود العين، وطولُ الأمل، والحرصُ علىٰ الدُّنيا».

مالك بن دينار

«ما أُبتُلي أحدٌ بمصيبةٍ أعظم عليه من قسوةِ قَلْبِه».

حذيفة المرعشي

قال مالك بن دينار: «ما ضُرِبَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظم مِنْ قسوةِ قلب وما غضب الله علىٰ قومٍ إلَّا نَزَعَ الرَّحمة من قُلُوبِهِم».

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

استمرُّوا في جِدالِهِم وتعنُّتِهِم وقالوا: إنَّ البقرَ تشَابَه علينا فلا نهتدي إلىٰ المقصُود؛ فادع لَنَا ربَّك يبينُ لَنَا ما هي، عن ابن عباس، قال: «لو أخذوا أدنىٰ بقرة اكتفوا بها، لكنهم شدَّدوا فشدَّدَ الله عليهم» .. فتأمَّلْ في تشديدِ المَرْءِ علىٰ نَفْسِه، اللهُ يُريدُ اليُسْرَ لِعِبَادِه، ولكن استسلامهم لهوىٰ النَّفس يَذهبُ بهم إلىٰ الهلاك!

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

قال إنَّها بقرة غير مُذلَّلة للعملِ تُثيرُ الأرضَ بالحرَاسة ولا تَسْقِي، مُسَلَّمَةٌ من العيوب ولا لون فيها إلّا اللَّون الذي ذُكر من قبل، فأقرُّوا بأنَّه وضَّح المقصود، ولو اختاروا أيَّ بَقَرةٍ في البداية لكان المطلوب، ولكنَّهم شدَّدُوا فشدَّد اللهُ عليهم ولولَا قولهم: «إن شاءَ اللهُ» ما اهتدُوا إليها، وذبحُوها وما كادُوا يفعلون؛ بسبب تَعَنُّتِهِم وتَشْدِيدِهِم في السُّؤال عن وصْفِهَا.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

قُتِلَت نفسٌ فاخْتَلَفُوا في قاتِلِهَا، والله مُظهرٌ لا محالة من أمرِ القاتل والمقتول.

(فادارءتم فيها: فتخاصمتم فيها)

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

فأُمروا أن يَذْبَحُوا بقرة؛ كَي يضرِبُوا القتيلَ ببعضِها فيُحييه الله، وهو دليلٌ علىٰ قُدرةِ اللهِ علىٰ الإحياءِ بعدَ الإماتة، وقامَ المقتول من الموتِ وذكرَ اسمَ مَنْ قَتَله، وتلكَ آيةٌ عظيمة لعلَّهم يعقِلُون، ويعتَبِرون.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ثُمَّ قَسَت قلوبُكُم . . قَسَت القلوبُ بعدَ العِبَر والمواعظ ومِنْ قبلها النِّعم، قَسَت القلوبُ بسببِ نقضِ الميثاق وعدمِ الوفاء بالعهد، قَسَت لطولِ الأمدِ ونسيانِ الآخرة

﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ﴾.

قَسَت القلوبُ فهي أشدُّ قسوةً من الحجارة، ومن الحجارةِ ما يتفجَّرُ منهُ الأنهارُ ومن الحجارةِ ما يَهْبِطُ من خشيةِ الله، حجارةٌ خيرٌ من القلوبِ القاسيَّة، ولا يغفلُ اللهُ عن عبادِه، ولا يفوتُه مثقالُ ذرةٍ من أعمالِهِم.

﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

طَمِعَ المُسلمون في إيمانِ أهلِ الكتاب وقد حرَّفوا كتابَهَم فكيف تطمعُون في إيمانِهِم لَكُم، وقد عَلِموا مَا فِي كتَابِهِم وحرَّفوه وهم يعلمُون صدقَ ما فيه وعاقبة تحريفِه!، فتأمَّل في قصدِ تحريفِ الآياتِ مع العلمِ بذلك وقَصْدِه، ومع العلم بعَاقِبَةِ التَّحريف، كيف يكون هذا القلب الذي يُحرِّف كلامَ ربِّه قاصدًا ويعلمُ عاقبةَ ذاك الجُرم العظيم؟ اللهم عافِنا وارزقنا قلوبًا سليمة يا رزاق!

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

إذا قابَلُوا المؤمنين ادَّعوا الإيمان، وإذا انفَرَدُوا ببعضِهِم أنكَرُوا علىٰ بعضِهِم البعض، قالوا لبعضهم: كيف تَعتَرِفُون أمامَهُم (أي أمام المُؤمنين) بصحةِ دينِهِم وصحةِ ذكرِ نبيِّهم مُحمَّد في التَّوراة، وتُقيمُون الحُجَّة علىٰ أنفُسِكُم. (فاعترافهم بصحةِ الإسلامِ أمامَ المُؤمنين حُجَّة عليهم) وتؤمنون وتظهرون لهم الإيمان؟!

نفاقٌ وضلالٌ ونسيان لرقابةِ الله واطِّلاعِهِ علىٰ القلوب؛ وهُرُوب من الحقِّ الواضحِ الذي يعلمُونَه وذُكِرَ في كتابِهِم!

نسألُ اللهَ الانقيادَ لأوامِرِه وتعظيم جميع كُتُبه!

ومضات تنير الطريق

- الجدلُ بالباطل مذمومٌ مفسدٌ للقلبِ، فلنتجنبه.
- الانقيادُ للشَّرعِ طريقُ النَّجاة.
- العيشُ بوجهين نتيجتُهُ بُغْضُ العباد وغضب الرَّب؛ فلنُوحِّد وجهَةَ القلبِ تجاه رضا الخالق.



الخطيئة

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

بِكَم الحصَّة يا شيخُ أحمد؟

سألَتْ مدام مُنىٰ الشَّيخَ أحمد في حياء، فأجابَهَا سريعًا وعيناهُ فِي عَينَيْهَا: ولا يهمك يا ستِّ الكل، خلِّيها علينا، الحصَّة بخمسِين جنيهًا فقط؛ لأجل خاطر حضرتك!

نَظَرَت في الأرضِ بخَجَل، قالَت:

- ألَا يَكونُ السِّعرُ أقلَّ من ذلك؟

تَغيَّرَ وجهُهُ بعضَ الشَّيء، ولكنَّه عَادَ سريعًا إلىٰ ابتسامتِه، قال:

- تَعرِفِين ما أبذله مَعَ الولدِ في الحصَّةِ من تَلْقِينٍ وشرحٍ وتربويَّات، الحقُّ أن تكونَ بثمانين، ولكن حضرتك مقامك عالٍ عندنا!

لم يُعطْهَا فرصةً للرَّد، وتابَعَ في سرعةٍ وحسم:

- في انتظارِ مُكَالمة حضرتك لتحديدِ الموعِد القادِم، السَّلام عليكم!

وغادَرَ المكانَ تاركًا وراءَه سُخْطَا!

. . . .

كان الشَّيخُ أحمد قصيرًا بدينًا ذا بشرةٍ حمراء، ووجنتين متوردَّتَيْن تعلُوهُما عينان خضراوان لامعتان تقرأ فيهِمَا اللهفة علىٰ الدُّنيا، لا تُفارقهما طُوال يَقَظَةِ صاحبهِمَا!

سَارَ الشَّيخُ أحمد بابتسامتِهِ الغريبة عائدًا إلىٰ منزلِه، كان يعملُ في تحفيظِ القرآن ويسكنُ وسطَ البلد، نشأَ في أسرةٍ فقيرة، وبعد عَثَرَاتٍ كثيرةٍ في طريقِ بَحثِهِ عن لُقمةِ العيش، دلّه صديقُ الدِّراسة علىٰ سبيلٍ للرِّزق!

قالَ لَهُ صَدِيقُهُ حمدي ذات يومٍ وهما يَجلسان في المقهىٰ المجاورة لبَيْتِه:

- السُّوقُ تَعبان هذه الأيام يَا أحمد، وأنْتَ لا تملِكُ خبرةً في أيِّ عَمَلٍ، وتاريخك الأخلاقي سيئ!

قَالَها وضَحِك ضحكةً طويلة..

صوَّب إليه أحمدُ نظرةً حانقةً وقال: وأنت ابن تيمية زمانه يا عمّ حمدي؟!

لَاحَظَ حمدي الضِّيق الذي أصابَ صديقَه؛ فردَّ مهدِّئًا الحوارَ قبلَ أن يَشْتَعِل:

يا صديقي «كُلُّنا في الهَوَا سَوَا»!

تَابَع ضَحِكَه في لامبالاة، ثُمَّ بادَرَه سائِلًا:

- صحيح يا حَمَادة، أتذكَّر أنَّ الحَسَنَةَ الوحيدة التي فعلتَهَا في صِغَرِكَ هي حفظ القرآن، فلماذا لا تُراجعه؟

نَظَرَ إليه مُغتاظًا، قال:

- أُراجعه، ولِماذَا أُراجعه؟ هل تُريدُني أن أتوب؟

ضَحِكَ حمدي، قال بنبرةٍ يقطرُ منها الخُبث:

- تُراجُعه كَيْ تعملَ في التَّحفيظ، كثيرٌ من الأُسرِ يُريدون تحفيظَ أولادَهُم القُرآن، وسيكون مصدرَ رزقٍ لك!

- اعتدلَ أحمدُ في جِلْسَتِه ورَنَا إلىٰ حمدي باهتمام، قال:

- ولكنِّي أُدخِّنُ وأسهرُ يوميًا، وأنتَ تعلمُ ما نفعلُهُ أنا وأنت في سَهَرَاتِنَا اليوميَّة!

- يا عمِّ الشَّيخ أحمد، هذه مهنةٌ لطلبِ الرزق، لا تُركِّز كثيرًا فيما نفعلُهُ أنا وأنت، راجعْ القرآنَ فحسب، وسنجدُ لَكَ بعضَ الطُّلاب، وستسيرُ الأمورُ كَمَا تُريد، وربَّما أفضل ممَّا تُريد!

تذكَّرَ الشَّيخُ أحمد قصَّة مُراجعتِه للقرآن وعملِه في التَّحفيظ ووجَدَ نفسَهُ أمامَ بيتِه، كانَ يعيشُ بمُفرَدِه في منزلٍ بسيطٍ وسطَ البلد، يعيشُ مع شهواتِه ولشهواتِه، يُدخِّنُ ولا يقومُ من أمَام التِّلفاز إلَّا مَعَ أذان الفجر، وليته يقوم ليُصلي الفريضة، يسيرُ تجاه سريرِه ورأسه يكادُ ينكفئ علىٰ الأرضِ من تعبِ النَّهار وسهرِ الَّليل، ثُمَّ ينهارُ علىٰ السَّرير **ويُحيطُ بِهِ الظَّلام بعدَمَا أحَاطَت بِهِ سيِّئَاتُه طوال اليوم!**

استيقظَ الشَّيخُ أحمد ظهرًا كعادتِه كُلَّ يوم، وأشعَلَ سيجارةَ الصَّباح قبلَ أي طَعَام

ثُمَّ فَتَح المذيَاع وضبطه علىٰ محطةِ الأغاني، وأَخَذَ يهتزُّ طَرَبًا لصوتِ الأُغنيَّة التي يسمعُهَا، وأثناء طَربِهِ بالأغنيَّة إذا بطَرَقَات قويَّة علىٰ بابِ بيته!

قامَ أحمدُ فَزِعًا من طَرَقَات الباب، وأطفأ السِّيجارة بسرعة، حاولَ أن يرشَّ مبيدًا حشريًا كي يُخفيَ رائحةَ الدُّخان، ثُمَّ ذَهَبَ إلىٰ البابِ ليفتَحَه، وفُوجِئ بضابطٍ وعسكريين في وجهه..

- أنتَ الشَّيخُ أحمد؟

- نَظَرَ إليهم مُرتعبًا، وقال:

- نَعَم أنا الشَّيخُ أحمد، ماذَا حَدَثَ؟

- تمَّ القبضُ علىٰ صدِيقِك حمدي بتُهمَةِ الإتجارِ في المخدِّرات، واعترفَ بوجُودِ كميَّة من الحشيش في منزِلِك!

- حشيشٌ في منزلِي أنا؟ عملتَها يا حمدي؟ وضعتَ الحشيشَ في منزلي؟

تحوَّل الشَّيخ أحمد إلىٰ حمدية وأخَذَ يلطُمُ خدَّيه ويولول: يا نهارك أسود يا شيخ أحمد، يا نهارك أسود يا شيخ أحمد!

والله يا بيه لا أعلم بحشيش ولا ياميش، أنا أُحفِّظُ القرآنَ، وأسعىٰ من أجلِ لقمةِ العيش!

نَظَرَ الضَّابطُ إلىٰ عُقْبِ السِّيجارة المُلقَىٰ علىٰ الأرض، وأخرَجَ زُجَاجَةَ (بيرة) من وراء التِّلفاز، ثُمَّ التفتَ إليه ساخرًا:

- تُحَفِّظُ القرآن، وتُدخِّن السجائر وتشربُ البيرة؟ ما شاء الله، ما شاء الله!

هيَّا يا عسكري فتحي، كلبشه وخُذْه إلىٰ السيَّارة!

وسَارَ الشَّيخُ أحمد مع العسكري فتحي في انهيارٍ تام!

خَرَجَ الشَّيخُ أحمد من القسمِ في ذهولٍ بعد رُؤيتِهِ الشَّمس مرةً أُخرىٰ، كانَت الشُّرطةُ قَدْ حبسته أربعةَ أيَّام علىٰ ذمَّةِ التَّحقيق كَيْ تَعْلَمَ علاقَتَه بحمدي، ولمَّا لَمْ تَجِدْ في بيتِه شيئًا، ولم يَثْبُتْ تورُّطُهُ في أنشطةِ صديقِه المُخالِفة، تَمَّ الإفراجُ عنه!

جالَ الشَّيخُ أحمد في شوارعِ وسط البلد علىٰ غيرِ هُدىٰ، وعيناه في الأرض من هوان الفضيحة وألم المُفاجأة، **نَعَم هو يعصِي الله وتُحيطُ به شهواتُهُ، ولكنَّه لَمْ يظُن أن يَصِلَ العقابُ إلىٰ هذهِ الفضيحةِ المُدويَّة في بيتِه!**

نعم تَمَادَىٰ في البُعدِ عن الله، ولكنَّه ظنَّ أنَّ الأمورَ قد تسيرُ طوال الوقت علىٰ ما يُرام.

تَذَكَّرَ تِلْكَ الآيات الَّتي يُحفِّظُهَا للأولادِ من سورة البقرة:

﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۝٧٧ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ۝٧٩ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨٠ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: ٧٧-٨١].

وأثناء تَذَكُّرِهِ لِوحْلِ المَعَاصِي الَّتي كَانَ يتمرَّغُ فيه، ضَرَبَ أُذُنَيْهِ صوتٌ رهيب، وكان آخر صوت يسمعه في حياته!

كان الشَّيْخُ أحمد غارِقًا في بحرِ أفكارهِ، وهو يَسيرُ في مُنتصفِ الطَّريق!

ومَاتَ الشَّيخُ أحمد، وخَطِيئتُهُ تُحيطُ به!



﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٧ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [البقرة: ٧٧-٨٣].

راسخٌ تُحيطُ به حسناتهُ

أنتَ وأنَا والجميع في حرب ..

نَعَم نحنُ في حرب، وأعدَىٰ الأعداء في تلك الحربِ نفسُنا التي بينَ جَنْبَيْنَا!

📖 ما هذه الجُمل التي استفتحتَ بها المقال؟

هل مثل تلك العبارات وطريقة صياغتها ومُفاجئتها في بداية الصفحات ستكون سبيلًا إلىٰ التَّغيير؟ هل هذا هو الرِّفق الذي أوصىٰ به النبي ﷺ؟

وأُجيبك عزيزي بأنَّ العدوَّ الأوَّل الآن هو من يُحدِّثك بداخلك!

فلا يضرُّ من يُريد التَّقدم إلىٰ الأمام من يدعوه ومتىٰ يدعوه!، الرِّفقُ محمودٌ وزينةُ الكلام، ولكن هُناك مقامات وسيَاقَات تحتاجُ إلىٰ تنبيهٍ قوي، ويَقَظَةٍ سريعة!

من يُخْلِصُ ويُريدُ الخَلَاص، يستعدُّ للحربِ الضَّروس ويُدرك أعدائَه ولا يستخف بهم

النَّفس .. الشَّيطان .. شياطين الإنس.

النَّفس التي قال اللهُ عنها: قد أفلحَ من زكَّاها، إذًا فهي ليست زكيَّة .. أصلُها الميل والعِوَج وتحتاج إلىٰ من يُقوِّمها بل ويُعاندها العناد الإيجابي، عناد المتوكِّل المُستعلي علىٰ الشَّهوات بالمُجاهدة، عناد المُستعين المُدرِك لضَعْفِه، المُفْتَقِر إلىٰ القوي، عِنادٌ يَلْهَجُ صَاحِبُهُ دائمًا بدعاء (**اللهم آتِ نفسي تقواها وزكِّها أنتَ خيرُ من زكَّاها**).

الشَّيطان .. ذلك المخلوق النَّاري الذي حذَّرنا اللهُ منه في كِتَابِه وأَمَرَنَا باتِّخاذه عدوا

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾.

تأكيدٌ للعَداوة وأمرٌ بها، أمر بِعَدَاوتِهِ والاستعداد للحربِ الشَّرسة التي تبدأ من نُزُول الجَنين، يقولُ سيِّدُ الخلق: «**ما من مولودٍ يُولد إلَّا نخسه الشَّيطان فيستهلُّ صارخًا من نخسةِ الشَّيطان إلَّا ابن مريم وأمّه**». **رواه مسلم**

وكان نبيُّنا يدعو: «وأعوذُ بكَ أن يتخبَّطَني الشَّيطانُ عند الموت» [**صحَّحه الألباني**]

📖 رحلةُ إغواءٍ من المهدِ إلىٰ اللَّحد!

أضعفُ مرحلتين في حياةِ الإنسان، يستقبله فيهما الشَّيطان، وبينهما حياة يسعىٰ بطولِها لإضلاله، والنَّاجي من اعتصمَ بالله **وأحاطَت بِهِ حسناتُهُ لا خطاياه!**

شياطينُ الإنسِ يحومُون بالشَّهوات والشُّبُهات، يبذلون الغالي والنَّفيس كي يُدمِّروا القلوبَ ويُضلُّوا النُّفُوس!

فاقُوا شياطينَ الجنِّ في التَّدليس والتَّلبيس!

نَعَم شيطانُ الجن عدوٌ لدود، ولكن كيده ضعيف ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

اعتصامٌ بالله ومُواظبة علىٰ الذِّكر ثُمَّ عِلمٌ بِمَدَاخِلِهِ ثُمَّ استعاذة من شرِّه؛ يَذهبُ كيْدُه -بإذن الله-.

أمَّا هؤلاء فيأتونك من اليمينِ والشِّمال، إغواءٌ مُركَّز ومُمَنْهَجٌ وعِشْقٌ للإضلال، ولسان حالهم: لن نُغمسَ في الوَحْلِ وَحدَنَا!

أولئك أعداؤك، فأين سلاحُك؟

حربُنا التي صرَّحنا بها في البداية حربٌ طويلةٌ يفوزُ فيها من أعدَّ لها، وكَمَا أمرَ اللهُ بإعدادِ القوَّة لأعداءِ الدِّين ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، ينبغي أن نُعِدَّ لقاطِعِي الطَّريق إلىٰ الجنة.

«حُفَّت النَّار بالشَهَوَات وَحُفَّتْ الجنَّة بالمَكَارِه»

ومَنْ أقرب الأعداء إلينا وأخطرها؟

إنَّها النَّفس الأمَّارة بالسُّوء

النَّفسُ وَمَا تَكْرَهُهُ مِنْ مُجَاهدةٍ وَتَحَمُّل مشاق العبادات..

النَّفسُ وَمَا تَمِيلُ إليه من شهوات..

النَّفسُ وَمَا تَأْلَفهُ من كسلٍ وخُمُول..

تلك العدوُّ الأوَّل الذي يَجِبُ أن يُحاطَ بالحسنات.

الرَّاسخُ الَّذي يَسِيرُ في دَرْبِ الثَّبَاتِ يلزمه الحسنات الماحيَّة، والحسنات المُثبِّتة، والحسنات المصبِّرة.

حسنات تلي السيِّئَات فتمحو دَرَنَها، وتُنقذُ النَّفسَ من التَّقهقر في طريقِ التَّزكيَّة.

حسنات مُثبتة، تُثبِّت العبدَ في رحلةِ جهاده لنفسه!

حسنات مُصبِّرة، تُصبِّر المَرْءَ علىٰ صُعُوبَةِ الطَّريق.

ولعلّك تسأل، من أين لك بهذا التَّقسيم؟

والإجابة: كُلُّها حسنات، وكُلُّها تمحو السيِّئات -بفضل

الله-، ولكن التَّعامل معها بهذا التَّصور (الذِّهني)؛ يغرسُ معاني عظيمة في القلب..

يَغْرِسُ التَّقرب إلىٰ الله والتَصَبُّر بِهِ والتَّثَبُّت مِنْ أَجْلِه.

المُصبِّرة والماحيَّة والمُثبتة كُلُّها حسنات، وذلك التَّقسيم لنعلم أنَّ الحربَ تحتاج أن نُحيطَ أنْفُسَنا بالحسناتِ من الاستيقاظِ إلىٰ النَّوم!

كُلُّنَا نَسْعَىٰ في طريقِ الرُّسُوخِ، مُسْتَعِينين بالقوي، آخذين بالأسباب ونُحيط أنْفُسَنا بالحسناتِ فنُزكِّيها.

١- عند الاستيقاظِ يقولُ العبدُ اليَقِظ: **الحمدُ لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النُّشور**، يبدأُ يَوْمَهُ بالذِّكْرِ والدُّعَاءِ، ويتبرَّأ من حَوْلِهِ وقُوَّتِهِ، ويستعدُّ لمعركة النَّفس!

٢- يتوضَّأ ويُصلِّي الضُّحىٰ ويذهبُ إلىٰ عملهِ مُحتسبًا أجرَ طلب الرِّزق، كُلُّ حياته يبتغي وجهَ الله ويطلبُ الأجرَ مُستعينًا بالقوي!

٣- تَدْعُوهُ نَفْسُهُ إلىٰ تَجَاهُلِ المَعْرْكَةِ والرُّكون إلىٰ الكَسَلِ، ولكنّ **الحَسَنَاتِ الَّتي يُحيط بها نفسه، تصفعُ الكسلَ وتُوقِظُ الهمَّة وتُجدِّد العزم، صلاةٌ وذكرٌ وعَمَل، تأمُّلٌ وتَفَكُّر، صومٌ وصَدَقةٌ وترويحٌ عن النّفس بنيَّة تجديدِ الحَمَاس وإشعال العزيمة، لعب رياضة وتَعَلُّم لُغات وزيارة للأقارب والأصدقاء، تَنَاصُحٌ ودعوةٌ وتذكيرٌ للآخر بمُتعةِ العيشِ مع الحَسَنات، حسناتٌ وراءَ حسنات؛**

فتميلُ النَّفسُ عن الشَّهَوَاتِ إلىٰ ملكوتِ السَّماء، وَيَتَعَلَّقُ القلبُ بِرَبِّ الأرضِ والسَّماواتِ.

إنَّ مِنْ أهَمِّ الأسلحةِ في معركةِ النَّفس الإكثارُ من الحَسَنَاتِ وإحاطةُ وملء الحياة اليوميَّة بها، ولكن ثمَّة تَطَفُّل من العَدُوِّ الآخر كَيْ يُفسدَ المعركةَ ويستدرجَ المُحاربَ، فقد يَأتي الشَّيطانُ ليعبَث بترتيبِ الحَسَنَات، فيُغرِي بالمفضول كي نتركَ الفاضل، وهُنا يأتي دورُالعلم والعزم!

٤- العلمُ بالأولويَّات والعزمِ علىٰ إنجازِ الأولىٰ..

نعم السُّنَن الرَّواتب لنا بِهَا بَيْتٌ فِي الجنَّة، عن أمِّ حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّىٰ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ**» [رواه **مسلم**]، ولكن الفرائض أحبُّ ما يُتقرَب به إلىٰ الله.

نعم مُساعدة الآخرين طاعة عظيمة ومُثبِّتة وجالبة للبركة، ولكن بر الوالدين مُقدَّم علىٰ مُساعدة أي أحد!

إنَّ العبدَ اليقظَ هو الَّذي يُدرك مداخلَ الشَّيطان ويعلم الحسنات الواجبة ذات الأولوية، ويُحيطُ نَفْسَهُ بها؛ فيسلك طريقَ الرُّسوخ بحكمة!

٥- الصُّحبة الصُّالحة ومجالس العلم في المساجد أو علىٰ الشبكة العنكبوتيَّة (أصبحَ العلمُ مُتاحًا بغزارة وفي كُلِّ وقتٍ علىٰ الإنترنت).

الدُّعاء، والمُجاهدة للقيامِ بالأولويَّات مُبكرًا، فتنظيم الوقت والإنجاز المُبكِّر؛ يجعلُ الرَّاسخَ يُكمِلُ يومَه مُطمئنًا سعيدا.

٦- **السُّقوط ولو آلاف المرَّات لا ينبغي أن يجعلنا نيأس، فلا نكون مثاليين، سنسقطُ ونقوم**، ولكن من الضروري أن نتمسَّكَ بالحدِّ الأدنىٰ من عباداتنا (الفروض) والقرآن والذكر -ولو أقل القليل-؛ فَكي نستمرَ في طريق الرُّسوخ يلزمنا سياسةُ النَّفس، فلا نتمادىٰ في الرُّكون إلىٰ السُّقوط، ولا نتنازلُ عن الفرضِ أو حديث النَّفس بالتَّوبة، **وجلسة المُحاسبة الأسبوعيَّة** سببٌ مُهمٌ جدًا لتداركِ السُّقوط ثُمَّ القيام من جديد بنشاطٍ وقوَّة.

ونهايةً، فحُسنُ الظنِّ بالله الكريم يجعلنا نُوقن في أنَّ **مَنْ خَضَعَ وذَهَبَ إلىٰ اللهِ بقَلْبِه؛ تُفُضِّلَ عليه، ومن تقرَّب إلىٰ الله شبرًا تقرَّب إليه ذراعًا، واللهُ ذو الفضلِ العظيم.**

نسألُ اللهَ أن يملأَ حياتنا بالحَسَنَات، وأن يجعلنَا من الرَّاسخين!




من أقوال الراسخين

«الشَّيطان جاثمٌ علىٰ قلب ابن آدم، فإذا سَهَا وغَفَل وسْوَس، فإذا ذكر الله تعالىٰ خَنَس»

ابن عباس رضي الله عنهما

«محبَّة الله تعالىٰ ومعرفته ودوام ذكره والسُّكون إليه والطَّمأنينة إليه وإفراده بالحبِّ والخوف والرَّجاء والتَّوكُّل والمُعاملة بحيث يكون هو وحده المُستولي علىٰ هُمومِ العبد وعَزَمَاتِه وإرادته، هو جنَّة الدُّنيا والنَّعيم الَّذي لا يُشبهُهُ نعيم، وهو قُرَّة عين المُحبِّين وحياة العارفين»

ابن القيم

«أعداءُ الإنسانِ ثلاثة: دُنياه، وشيطانُه، ونفسُه، فاحترسْ من الدُّنيا بالزُّهد فيها، ومن الشَّيطان بمُخَالَفَتِه، ومن النَّفس بتركِ الشَّهوات»

يحيىٰ بن مُعاذ الرازي

ولننهل من نعيم معاني القرآن

﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾.

يُسرُّون فيما بينهم، أفلا يعلمون أنَّ الله يعلمُ ما يُسرُّون من الكُفرِ بمحمَّد وما يُعلنون من الإيمان به؟!

فليُراقب العبدُ خواطرَه وليُراجِع نيَّاته، وليُوقِن باطِّلاعِ اللهِ

علىٰ ما يدورُ بخلده؛ فيُعظِّم ربَّه ويُجاهد كي يَقْصدَ جميعَ الخيرات!

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

ومنهم جُهلاء مُقلِّدون لعلماءِ الضَّلال .. فقط يَقرأون ولا يتأمَّلون، لا حظَّ لَهُم إلَّا الحرُوف وما ينقله لهم كِبارُهم من عُلماءِ التَّدليس، لا يتأمَّلون في آيات الله، بل يتلقون الأكاذيب والتَّأويلات المحرَّفة من كِبارهم فحسب!

قَوْلُهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: «لَيْسُوا عَلىٰ يَقِينٍ، فَإِنْ كَذَبَ الرُّؤَساءُ أَوْ صَدَّقُوا، تابَعُوهم».

فتأمَّل في جحدِ النُّبوة لمُجرَّد اتِّباع الرؤساء، ولا تقع في فخِّ الفتنةِ بالأشخاص، بل اعرفْ الحقَّ تعرف أهله..

نسأل اللهَ العلم والبصيرة واتباع الحق وأهله.

(أماني: أكاذيب تلقَّوها عن أحبارهم)

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

فويلٌ لِمَنْ حرَّف كلامَ اللهِ ليشتري به دُنيا فانيَّة .. يبيعُ الآخرةَ بمصالح دُنيويَّة زائلة، يُحرِّف آياتِ الله كَي يُرضِي أصحابَ المالِ والجاه؛ فيتجرَّع دُنياهم ويخسرُ كلَّ شيء .. نسألُ اللهَ العافية.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ويُزكُّون أنفُسَهُم ويُحرِّمون النَّار عليها!، فهل لَهُم عند الله عهد بالإيمان ثُمَّ دخول الجنة؟ أم يقُولُون علىٰ اللهِ ما لا يعلمُون .. يَفْتَرُون الكذبَ ويدَّعون النَّجاة، وهُم الهَلْكَىٰ لكُفْرِهِم وتكذيبِهِم!

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

ليسَ الأمرُ كَمَا ذَكَرتُم، وذلك تحذيرٌ لكُلِّ النَّاس: من تلبَّس بالكُفرِ وأحاطَت به خطيئتُهُ فكان سببًا في خُبْثِ نفسِهِ؛ لكثرةِ خَطَايَاه وإحاطتِهَا به، فحُرِمَ الهُدَىٰ، وتلك الخسارة الحقيقيَّة، ولصاحِبِهَا العذابُ الأليم!

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

أمَّا مَنْ آمنَ وعَمِلَ الصَّالحات وزكَّىٰ نفسَه وأخلصَ لربِّه واتَّبع نبيَّه فحقَّقَ شَرْطَي قبول العملِ (الإخلاص والاتباع)؛ فلَهُ الجزاء العظيم .. خلودٌ في الجنَّة، ويا لَهُ من فضلٍ عظيمٍ من الربِّ الكريم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾.

أخَذَ اللهُ العهدَ عليهم في التَّوراة بالتَّوحيدِ وإقامةِ الصَّلاة وإيتاءِ الزكاة .. قَوْلِ الحُسنِ من الكلام للنَّاس .. فِعلِ الخيرِ وبذلِ الودِّ، وإكرام اليَتَامىٰ والمساكين. .كلُّ مَا فات عبادات تُقَوِّي القَلْبَ وتُزَكِّي النَّفسَ، ولكنَّهم لم يتقبَّلُوها وعانَدُوا وتولوا إلَّا بعضا مِنْهُم قَد امتثل وآمن .. نسألُ اللهَ الانقيادَ لشرعِه ثُمَّ حُسن الخاتمة.

ومضات تنير الطريق

• يُمكِنُنَا أن نطبِّقَ الامتثالَ إلىٰ أمْرٍ إلهي يوميًا (وقولوا للنَّاس حُسنا)؛ فلنَقُلْ كلامًا طيبًا لأقرب من يَجْلِسُ بِجَانِبِنَا الآن!

• لا يُزَكِّي أحدٌ إلَّا من الله، فلا يَغْتَرُّ عبدٌ بعملِه، وليخش تبدُّلَ الحال!

• الكثرةُ لَيْسَت دليلًا علىٰ الصَّواب، فتأمَّل!



بيعٌ خاسر

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾.

هذه لائحةُ المدرسةِ يا أستاذ عبد الفتاح.

قالها الأستاذُ عليٌّ مدير مدرسة النُّور في غضبٍ شديد، ثُمَّ دَارَ حولَ مكتبهِ وَجَلَسَ أمامَ الأستاذَ عبد الفتاح، أكملَ في تَهكُّم:

- الحضور السَّابعة صباحًا، وتصحيح جميع الواجبات قبلَ الانصراف، والإشرافُ علىٰ الطُّلاب وقتَ الانصراف، هل هذا كثير؟

نَظَرَ إليه عبد الفتاح في حنق، قال:

- تَصحيحُ الواجبات يأخذُ وقتًا طويلًا.

قَامَ المديرُ في غضبٍ، تبعه عبد الفتَّاح بعينيه، ثُمَّ وقفَ بجسدٍ يهتَّزُّ اضطرابًا ليستمعَ إلىٰ صياحه:

- وأنت تأخذُ راتبًا كبيرًا، وتعمل في مدرسةٍ دوليَّةٍ راقيَّة، نُوفِّر لك ساعتين يوميًا لتصحيح الواجبات؛ **فتختار ما يُعجبُكَ وهو الإشراف حيثُ السمر والمُحادثات وترك الطُّلاب يلعبون بلا رقابة، وتترك واجبَك الأكاديمي في السَّاعتين وتُضيِّعهما في القيلِ والقال ومحادثات الشَّبكة العنكبوتية (الإنترنت)!**

انـهَالـت الـعـبـاراتُ الـغـاضـبـةُ كـالـسَّـيـل عـلـىٰ الأسـتـاذِ عبد الفتَّاح، وأخذ يسبُّ الأستاذَ علي في نفسه، وينظرُ إليه في برودٍ عجيب!

- تفضَّل يا أستاذ .. اذهبْ إلىٰ مَكْتَبِكَ، وهذا ثالثُ تنبيه، وبعده سأبدأُ في الخصمِ من الرَّاتب!

قالَ المُديرُ بغضبٍ شديد، فنَظَرَ إليه عبد الفتَّاح نظرةً غريبة، وغادرَ الغُرْفَةَ عائدًا إلىٰ مكتبه ..

. . . .

- ما الذي جَرَىٰ يا عبد الفتَّاح؟

سأل ماجدُ زميلَهُ في قلقٍ، فأجَابَه الأخير:

- أستاذ علي بدأَ في الفرعنة، دعنا من الحديثِ الآن، وأريدُ أن ألقاكَ بعد نهايةِ اليوم الدِّراسي في أمرٍ هام.

تأمَّله ماجد متعجبًا، قال:

- ولماذا لا نتكلَّم الآن؟

مزَّق عبد الفتَّاح ورقةً أمامه وهو يرغي بثرثرةٍ غير مفهومة ثُمَّ قال:

الفرعونُ سيبدأ في التَّركيز علىٰ كاميرات المُراقبة، وسيبدأ في الخصمِ من الرَّاتب، ولكنَّه سيرىٰ من هو عبد الفتَّاح، ركِّز في العبثِ الذي بين يديك ونلتقي بعد العمل!

. . . .

جَلَسَ عبدُ الفتَّاح بعدَ انتهاءِ اليومِ الدِّراسي مع صديقه ماجد في المقهىٰ القريبة من المدرسة، كان ماجد شابًا صغيرًا يرتدي عوينات ذات عدسات سميكة، قصير القامة هادئ الملامح، ملابسه عُنوان علىٰ نظافتِهِ والتزامِه، علىٰ عكس عبد الفتاح، كان بدينًا ذا وجنتين مُتوردتين، وأغلب نظراتِه تدفعك إلىٰ التَّوجس والقلق وكأنَّه يعيشُ هاربًا من شيء!

- ما الذي حَدَثَ يا عبد الفتَّاح؟

- الأستاذُ علي يُركِّز معي ويُريدُ تنفيذَ جميعَ الأوامِر، وإلَّا الخصم!

- وماذَا في ذلك يا صديقي؟ هذا عَمَلُنا، وينبغي أن نقومَ بِهِ كَمَا أرادَ المُدير!

- أنت مَعَهُ يا ماجد؟

- أنا مع الحقِّ يا عبدَ الفتَّاح، أم أنَّك تُريدُني أنْ أوافقَ هواكَ فحسب؟

يا صديقي، المدرسةُ جيِّدة وراتبها معقول، نَعَم معك أنَّه لا تُوجد درُوس خصوصيَّة، ولكن الرَّاتب معقول، والخبرة التي نُحصِّلها جيِّدة!

- هل هذا راتبٌ يكفي من وجهةِ نَظَرِك؟

- اقنعْ برزِقِكَ يا عبدَ الفتَّاح.

- كلامُك غريب.

- لئن شَكَرتم لأزيدنَّكُم، واللهُ يحُبُّ إذا عَمِلَ أحدُكُم عملًا أن يُتقنَه!

- الدُّنيا تُصارعُنا والحياة عصِيبة، **كلامُك لا أفهُمُه، قلبي وعقلي في وادٍ آخر!**

- طالمَا وافقتَ علىٰ العقد، فالتزمْ بجميعِ المَهَام يا عبدَ الفتَّاح.

- يبدُو أنَّك معهم، سأفعل ما أراه خيرًا لي، ولَنْ يستطيعَ أحدٌ أن يمنعني!

- ماذا تَنْوي؟

- ستسمعُ وترىٰ.

وقامَ عبد الفتَّاح، وتَرَكَ زميلَه ماجد يُعالج قلقه.

. . . .

- ماذا ستفعلُ يا عبد الفتَّاح؟

سألَت مايسة زوجَهَا عبد الفتَّاح عمَّا سيفعُلُه مع مُديرِه علي، كان زوجُها غاضبًا يدورُ في رَدهة المنزل، وبعد الكثيرِ من الحَرَكات الانفِعَاليَّة وَقَفَ فجأة في مُنتصفِ الرَّدهة، وصوَّب نظره نحوها قائلًا:

- تركيبُ الأصواتِ سهلٌ.

- ماذا تَعْنِي بتركيبِ الأصوات؟

- مُكالمة صوتيَّة بينَ علي وإحدىٰ المُعلِّمات، مُكالمة

ساخنة، وسأرسِلُها إلىٰ رئيسِ مجلسِ الإدارة، وإلىٰ اللقاءِ في الجَحِيم يا حاج علي!

اتَّسَعَت عيناها في ذُهُول وقالت:

- ما هذا يا عبدَ الفتَّاح؟ هَل وَصَلَ بكَ الأمر إلىٰ اتِّهام النَّاس في أعراضِهِم؟

لَمْ تَكُن هكذا في أوَّل زواجنا، لم تَكُنْ تنطوي علىٰ كُلِّ هذا الشَّر، **لم تكن الدُّنيا في قلبِك بهذِهِ الصُّورة المَقِيتة!**

قالَ وكأنَّه لم يسْمَعْ كلامَهَا:

- أنَا أجدرُ مِنهُ بإدارةِ المدرسة، سيأخذُ أحلَىٰ (صابونة).

قامَت من مكانِها، وصَاحَت في غَضَب:

- ماذا ستجني من وراء كُلِّ هذا؟

تتِّهم النَّاسَ في أعراضِها **وتخسر آخرتَك من أجلِ منصبٍ زائل ومِئَات الجُنيهَات؟ بئسَ بيع الآخرة بالدُّنيا يا عبد الفتاح!**

لماذا لا تلتزِمْ بعملِك، وتفعل المَهَام الخاصَّة بك؟

لماذا لا تستمع بقلبِك إلىٰ كُلِّ مَنْ حولك؟

هل أُغلق قلبك؛ فلا تفهم ما نقول؟

هل تسمع بأذنيك فقط؟

لا والله يا عبدَ الفتّاح، إذا فعلتَ ما تُخطِّطُ لَه؛ فستكون النهاية!

نَظَرَ إليها في غضبٍ شديد، وصاح:

- تُهدِّدينَنِي يا مايسة؟

صَرَخَت في وجْهِه:

- هذا ليسَ تهديدًا يا عبدَ الفتَّاح، هذا ما سيحدُث.

تَركَتْهُ وذَهَبَت إلىٰ حُجْرَتِهَا، ولاحَقْهَا بصوت عالٍ:

- سأفعل ما أُخطِّطُ له يا مايسة، **لا يعنيني كلُّ مَا تقولُون، لا أفقهُ إلَّا أنَّ مَكَاني مكان علي.**

وغادَرَ المنزلَ تاركًا نارًا مُتأجِّجَة من الغضب.

. . . .

- أَرْسِل إلى الأستاذ عبد الفتّاح يا مُحمَّد.

قَاَل الأستاذُ علي وأخَذَ يُرتِّب بعضَ الأوراق علىٰ مكتبِه، وبعد دقائق قاطَعَه صوتُ طَرَقات الباب؛ قال:

- تفضَّل يا أستاذ عبد الفتَّاح.

دَلَفَ عبدُ الفتَّاح إلىٰ الغُرفة، وإذا بالمُفاجأة..

كانَتَ زَوْجتُهُ مايسة تجلس أمامَ المدير!

بَادَرَ الأستاذُ علي بالحَديثِ:

تفضَّل يا أستاذ عبد الفتَّاح، السيِّدة مايسة قالت لي كلَّ شيء.

نَظَر إليها في ذُهُول؛ فوضَعَت عينيهَا في الأرض!

حَمْلَقَ عبدُ الفتَّاح في وجْهِه، قال:

- ماذا قَالَت لك؟

ابتسمَ علي في وُد، قال:

- اهدأ يا عبد الفتّاح، السَّيِّدة مايسة زوجة عظيمة وصرَّحَت لي بظرُوفِك النَّفسية وبعض الصُّعوبَات التي تُواجهُهَا، وسنُحاولُ تعديلَ الأُمور أنا وأنت.

هدَأَتْ أنفاسُ عبد الفتَّاح، وذهبَ احمرارُ وجهِهِ الشَّديد شيئًا فشيئًا، قال:

- ظُرُوفي النَّفسية والصُّعوبات.. الحمدُ لله علىٰ كُلِّ حال، تفضَّلْ يا أستاذ علي، هات ما لديك!

نظر إلىٰ زوجته مُفكرًا فيما فعلته، فَهِمَ أنَّها حاولت إنقاذه من نفسه، هو ما زال حانقًا ولكنَّ شعورين كانا يستبدَّان به أكثر من الحنق: الخجلُ من زوجته والحيرةُ فيما عليه أن يفعله ليرضىٰ بحاله، وبدأَ الأستاذُ علي في الحديث!




﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨٤-٨٨].

راسخٌ يشتري الآخرة

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

قالَ رسولُ الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدينار، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرهم، تَعِسَ عَبْدُ الخَميصَة، تَعِسَ عَبْدُ الخَميلَة، إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وإن لم

يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانْتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتَقَشَ، طُوبَىٰ لعبدٍ آخذ بعِنَانِ فرسه في سبيلِ الله، أشعث رأسه، مُغْبَرَّةً قدماه، إن كان في الحِرَاسَةِ كان في الحِرَاسَةِ، وإن كان في السَّاقَةِ كان في السَّاقَةِ، إن استأذن لم يُؤْذَنْ له، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ»[1] رواه البخاري.

آية وحديث

الآية تدعو إلىٰ ابتغاءِ الآخرة بإنفاقِ المالِ والعمل لله، ولا ينسَىٰ الإنسانُ نَصيبَهُ من الدُّنيا، فليتمتَّعْ بما سخَّرَه اللهُ له، مع العملِ الصَّالحِ الخالصِ لربِّه.

والحديثُ يدعونا إلىٰ التَّعلق بالآخرةِ، وعُبُوديَّة الله لا عُبُوديَّة المال أو الرداء!

أنْ نَرضَىٰ بِمَا قَسَم اللهُ لنا، ولا نَسْخَطُ إذا حُرمنا ما نُريد..

أنْ نَرضَىٰ بمكانِنَا الذي قدَّره اللهُ لَنَا ولا نطلبَ الشُّهرةَ أو المناصب لذاتِها، بل نَسعَىٰ بِكُلِّ الأسبابِ إلىٰ التَّفوقِ دنيويًا والفوز بالآخرة، ونَرْضَىٰ بقضاءِ الله.

---

(١) (الخميصة والخميلة: نوعان من القماش والثياب، فالخميصة: كساءٌ جميل، والخميلة: فرشٌ وثير.
(وإذا شيك فلا انتقش) إذا أصابته شوكة (شيك): أصابته شوكة، يدعو عليه ألَّا يجد أحدًا يخرجها له بالمنقاش، ولا يستطيع أن يخرجها هو..

إنَّ فتنةَ الوُقوعِ في التَّعلقِ بالدُّنيا وبيعِ الآخِرة بِهَا، تعودُ إلىٰ **غِيابِ التَّقييم والغَفْلَةِ عن التَّقدير!**

هل عَلَمنَا مَنْ نعبدُ وتعرَّفنا علىٰ أسمائِه وصفاتِه؟

هل قدَّرنا وجُودَنَا في الدُّنيا، وشكَرْنَا نعمةَ الوُجُود؟

هل قدَّرنَا الآخرةَ واستَحْضَرنَا اللقاءَ الأخروي ثُمَّ الخلُود في الجنَّة؟

إجابةُ تلك الأسئلة بشكلٍ خاطئ هي التي تجعَلُنَا نبيعُ الآخرةَ ونُفتن بالفانيَّة!

عبدٌ عظَّم ربَّه وتقرَّب إليهِ بأسمائِه وصفاتِه..

أدركَ نعمةَ الإسلام والدَّور العظيم الذي خلَقَه اللهُ من أجله.

أيقن في اللقاء الأُخرَوي وعَلَمَ بالتَّأمل في القرآن والسنة ما سيحدُثُ في ذلك اليومِ العظيم.

اسْتَحْضَرَ فكرةَ الخُلُود وقَرَأ عَنْ مَكَانِه المُعَد لَهُ في الآخرة.

فَهَل مَعَ الدُّعاءِ والأخْذِ بأسْبَابِ تَعَلقِ القلبِ بالآخرةِ؛ يقعُ هذا العبدُ في بَيْعِ الآخرة بالدُّنيا؟

حاشا لله الكريم أن يرُدَّ عبدًا أرادَ القُربَ مِنْهُ وأخَذَ بأسبابِ النَّجاة!

إنَّ طالبَ الرُّسُوخ الَّذي يدعو اللهَ أنْ يُعلِّقَ قَلْبَهُ بالآخِرة.

يعمل لآخرتِهِ كأنَّه يموتُ غدا.

يأخذ بأسبابِ التَّفوق ويَرْضَىٰ بِمَا قَسَمَه اللهُ لَه.

يَبتَعِد عَن مُحبِّي الدُّنيا ومُستَشْرِفِي الفِتَن (الجلسات التي لا يُذْكَرُ فيها إلَّا الدُّنيا وفتنها).

يقرأُ كتابَ ربِّه وسُنَّة نبيِّه ويتدبَّر النُّصوص الَّتي ذمَّت الدُّنيا وحثَّت علىٰ الآخرة..

يقرأُ في سِيَرِ الزَّاهدين الذين باعُوا الدُّنيا واشتروا الآخرة..

يتعرَّفُ إلىٰ الله بأسمائِه وصِفَاتِه، ويتضرَّع إليه سائلًا الثَّبات علىٰ الدِّين وتعلق القلبِ بكلِّ ما يُحب[1]..

يستحضرُ نومَه في القبر بمُفْرَدِه، وأنَّه لَن ينفعَهُ شيءٌ من الدُّنيا، مال أو جاه أو ذريَّة، إلَّا إذا كانَ مُخلصًا لله مُحتسبًا الأجرَ عندهُ.

يستحضرُ فكرةَ الخُلُود ونعيم الجنَّة ثُمَّ يُذكِّر نفسَهُ بعقابِ الآخرة.

كُلُّ تلك الأسباب التي يُوفَّقُ إليها من تَبَرَّأَ من حولِه وقوَّتِه وذَهَبَ إلىٰ ربِّه بقلبِه، فهل يَخْذُلُهُ الكريم؟

حاشا لله أن يخذلَ عبدًا أقبلَ عليه وأخذَ بأسبابِ النَّجاة!

ولا يَجْدُرُ بمن ابتغَىٰ الرُّسوخ أن يَقَعَ في فخِّ الغُلُوِّ ويترك الدُّنيا برمتها، بل يُخالط النَّاس ويعمل ويَجِدُّ ويسْعَد بنِعَمِ الله،

(١) يُنصح بكتاب لأنَّك الله، وفي طريقِ الرُّسوخ سوف نستمتعُ بالتَّعرف علىٰ أسماءِ ربِّنا وصفاته العلا -بإذن الله-.

وفِي كُلِّ خُطوةٍ من خُطُوَاتِه يَخْضَع ويتذلَّل لربِّه ويدعوه ليلَ نهار أن يُجنبَّهُ الفتنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وما بَطَن.

أَلَا نتأمَّل في دُعَاء (**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِن فتنةِ المَحيَا وفتنةِ المَمَات الَّذي نقولُه بعدَ كُلِّ تَشَهُّد)؟**

نعمةٌ مِنَ اللهِ وسنَّةٌ عظيمة تُذكِّرنا بالآخرة، وتستجلبُ الاطمئنانَ بمعيَّةِ اللهِ وتثبيتِه كُل يوم وبعدَ كُلِّ صلاة!

ولعلَّ خيرَ ختامِ الكلام، أنْ نتأمَّلَ هذا الحديث العظيم، فيتَّقِد في قُلُوبِنَا نورُ الهُدىٰ، وتَعْقِل عُقُولُنَا حقيقةَ الدُّنيا!

قالَ رسولُ الله ﷺ: «من كَانَت الدُّنيا همَّه فرَّق اللهُ عليه أمرَه وجعل فقرَه بين عينَيه ولم يأتِه من الدُّنيا إلا ما كُتِبَ لَه، ومن كَانَت الآخرةُ نيَّتَه جَمَع اللهُ لَهُ أمرَه وجَعَلَ غِنَاه فِي قَلْبِه وأَتَتْه الدُّنيا وهي راغِمةٌ».

[صحَّحه الألباني]

اللهم لا تجعَلْ الدُّنيا أكبرَ هَمِّنا، وعلِّق قلوبَنَا بالآخرةِ يا كريم!



من أقوال الراسخين

«ارتَحَلَت الدُّنيا مُدبِرَة، وارتحلت الآخرةُ مُقبلة، ولِكُلِّ واحدة مِنْهُمَا بنُون، فكُونوا من أبناءِ الآخرة، ولا تكونُوا من أبناءِ الدُّنيا؛ فإنّ اليومَ عملٌ ولا حساب، وغدًا حِسَاب ولا عَمَل».

علي بن أبي طالب

قالَ سلمانُ الفارسيّ ﷺ: «ثلاث أعجبتني حتّىٰ أضحكتني: مُؤمِّل الدُّنيا والموت يطلبه، وغافلٌ وليس يُغْفَل عنه، وضاحكٌ ملءُ فيه ولا يَدْرِي أساخطٌ ربُّ العالمين عليه أم راض؟».

قال ابن حجر ﷺ: قال ابنُ الأثير: «مَنْ تَرَكَ الدُّنيا وأبغَضَها أحبَّ لقاءَ الله، ومَنْ آثرَهَا ورَكَنَ إليهَا كَرِهَ لقاءَ الله، لأنَّه إنَّما يصل إليه بالموت».

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

أخَذَ اللهُ الميثاقَ علىٰ اليهود ألّا يقتلوا بَعْضَهُم بعضا، وألّا يُخرجُوا بعضَهم مِنْ دِيَارِهِم، وقَدْ أقرَّ المُعاصِرُون للنبي (من اليهود) علىٰ أخذ أسلافهِم بذاك الميثاق!

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

هذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج -وهم الأنصار- كانوا قبل مبعث النبي ﷺ مشركين، وكانوا يقتتلون علىٰ عادة الجاهلية، فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة.

فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه علىٰ مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرىٰ من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها، وكان قد حصل أسارىٰ بين الطائفتين فَدَىٰ بعضهم بعضا. والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم بعضا، وإذا وجدوا أسيرا منهم، وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: وهو فداء الأسير ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾ وهو القتل والإخراج. وفيها أكبر دليل علىٰ أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان. [تفسير السَّعدي]

اتَّبعوا الهَوَىٰ واختاروا مِنْ أوامر الله بهَواهُم ولَمْ يَنْقَادُوا لجميعِ ما أمَرَهُم اللهُ به؛ فنصيبهم في الدُّنيا خزي، وفي الآخرةِ عذابٌ عظيم.

(تَظاهَرُون عليهم: تتعاونون عليهم، تُفادوهم: تُخرجوهم من الأسر بإعطاء الفديَّة)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

فضَّلوا الدُّنيا علىٰ الآخرة، واعتقدوا أنَّ العارَ سيُصيبُهُم لعدم نُصرتهم لِمَن حالفوهم، فاختاروا النَّار علىٰ العار، وسيُصيبُهُم الاثنان .. دُنيا وآخرَّة، باعُوا الآخرة واشتروا الدُّنيا!

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

أرسلَ اللهُ موسَىٰ بالتَّوراة، فجاء موسىٰ وعيسىٰ بالكُتُبِ الهاديَّة إلىٰ الصِّراط المُستقيم، وأيّدَ رُسُلَهُ بجبريل عليه السلام؛ فاستكبرَ المُعانِدُون وقدَّموا الدُّنيا علىٰ الآخرة .. كُلَّما جاءَهُم رسولٌ يدعُوهم إلىٰ الاستقامةِ وما يُخالف هَوَاهُم؛ استكبَرُوا فكذَّبوا بعضَ الرُّسل وقَتَلُوا البعضَ الآخَر، ويا لَهَا من جُرأة كبيرة علىٰ ربِّ العَالَمِين، يُرسلُ إليهِم مَا فِيهِ نَجاتِهِم فيردُّون النَّجاة بالتَّكذيبِ والقتل، نسألُ الله العافية!

(وقفَّينا من بَعْدِه الرُّسل: أتْبَعْنَا علىٰ أثَرِهِ الرُّسل علىٰ مِنهاجِه يحكُمُون بشَرِيعَتِه)

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

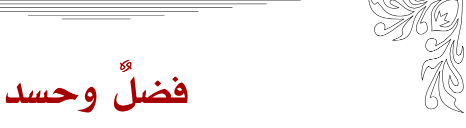
احتجُّوا وقالوا: قُلُوبُنا عليها أغطيَّة وأغلفة؛ فلا نعرف الحقَّ وكَذَبُوا، بل هُو الكُفر الذي اتَّخذُوه والنِّعم التي أنكرُوها؛ فطُبع علىٰ قُلُوبِهِم!

مَنْ شَكَر وامْتَثَل واسْتَسْلَمَ؛ طَهُرَ قَلبُه وثبَّتَه اللهُ علىٰ فِطْرَتِه التي فُطِر عليها.

وقِيلَ في تفسيرِ ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ﴾ أقوال أخرىٰ، ومنها: أوعيَّة للعلمِ لا يحتاجُ إلىٰ علمٍ آخر، فتأمَّل في كِبْرِهِم وحُكْمِهِم عَلَىٰ أنْفُسِهِم بالعِلْم ..

ومضات تنير الطريق

- الانقيادُ سبيلُ النَّجاة، والجدلُ بالباطلِ طريقُ النِّفاق.
- التَّأمُّل في سِيَرِ اليهود والاتِّعاظ بِهَا؛ يغرس في القلبِ التَّواضع للرَّب.
- الدُّنيا رحلةٌ قَصِيرة، والعاقلُ يُعاملها حسب قدرها، ولا يتِّخذُهَا مُستقرًا ومُقاما، وكأنَّه لن يُفارقَهَا!



فضلٌ وحسد

﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾.

ثلاثة مهندسين، محمَّد ومُهاب وأحمد . .

مُحمَّدٌ نموذج للمُهندسِ المثالي الذي يتطلَّع دائمًا إلىٰ الأمام، يُنفِّذُ أوامرَ الشَّركة ومتطلبَات العمل، همَّةٌ عالية وطموحٌ عريض ونَشَاطٌ يُغبطُ عليه.

وأحمدُ المتمرِّد الذي يَعْتَرِضُ علىٰ كُلِّ شَيء لمجرَّد الاعتراض!

ومُهاب نموذج للمُوَّظف العادي غير كبير الطموح، يأتي إلىٰ العمل كل يوم ويُؤدي ما عليه بروتينية دون أن يُفكر في أي شيء آخر، لا تشغله المعارك الجانبية بين زملاء العمل والتَّنافس علىٰ التَّرقيات.

- اجتماع مع رئيس مجلس الإدارة.

دَخَل مُدِيرُهم الغُرفةَ في لهفةٍ غريبة وأبْلَغَهُم بموعدِ الاجتماع، نَظَرَ بعضُهم إلىٰ بعضٍ وتبايَنَت ردودُ الأفعال، التَمَعَت عينا مُحمَّد وأحمد وكل منهما يتخيَّل أنَّه يسمع قرارَ ترقيته، أمَّا مُهاب فلم يَكتَرِثْ كثيرًا، الاجتماعات في تصوره مُجرَّد جلسات روتينيَّة!

تَتَابَعَت خُطُوات الثَّلاثة واتَّجهوا إلىٰ مكتبِ رئيسِ مجلسِ الإدارة، دَخَل مُحمَّدٌ أولًا بحماس وجلسَ بجانبِ رئيسِ مجلسِ الإدارة، اهتزَّ كُرسيُّ أحمد وهو يجلس مُتبرِّم الوجه، أمَّا مُهاب فَقَد وَقَفَ قليلًا قَبْلَ جُلُوسِه ثُمَّ استأذنَ بعد دقيقة لدُخُول المِرحاض!

- أهلًا بِكم في هذا الاجتماعِ الطَّارئ..

بَادَر رئيسُ مجلس الإدارة بالتَّرحيب بِهِم في الاجتماع، وأكمَلَ حديثَه:

- دعونا نبدأُ مباشرة ودون مُقدِّمات، هُناك مشروعٌ ضخمٌ ستدخلُ فيه الشَّركة، وقد تمَّ ترشيحُ المُهندس مُحمَّد لتولِّي لجنة دراسة المشروع والإشراف عليه، والمُهندس مُهاب والمُهندس أحمد معه في اللجنة!

اتَّسعت عينا محمَّد في سعادةٍ بالغة، وتضرَّجَتْ وجنتاه بدمِ الفرَح، أمَّا مُهَاب فبعد أن عادَ من قضاءِ حاجته لم يكفَّ عن الكتابةِ والعبثِ بالأوراقِ التي أمامَه، ولحُسنِ حظِّه أنَّ رئيسَ مجلسَ الإدارة كان بعيدًا عنه!

- وهل الانضمامُ إلىٰ اللَّجنة إجباري؟

قاطَعَ سُؤالُ أحمد فرحةَ محمَّد بسؤالِه، أجابَهُ الرَّئيس:

- لا يُوجَد أفضل من المُختارين للانضمام إلىٰ اللَّجنة، هل هُناك مانع يا مُهَندِس أحمد؟

بدا التَّأَفُّفُ علىٰ وجهِ أحمد، وأجاب:

- لا، ليس هُناك مانع.

نَظَر إليه الرَّئيسُ في إمعان ثُمَّ التفتَ إلىٰ الجميع، قال:

- دَعُونَا ندخل في تفاصيل المشروع.

. . . .

جَلسَ الزُّملاء الثَّلاثة في مكتَبِهِم، وبادرَ محمَّد بالحديث قائلًا بابتسامة ظافرة:

- طبعًا يا رجال نحنُ زملاء، لن يُغيِّرَ التَّكليف الجديد في علاقتنا شيئًا، ولكنَّ العمل عمل، وهذا مشروعٌ ضخم نُريدُ أنْ يعودَ علينا وعلىٰ الشَّركة بِكُلِّ خير!

نَظَرَ إليه أحمد وعلىٰ شفتيه ابتسامةٍ ساخرَّة، قال:

- أهَمُّ شيء يعودُ علينا بِكُلِّ خير!

لَمْ يَلتَفِت مُحمَّدٌ إلىٰ تلميحَاتِه، قال:

- سأذهبُ الآنَ كَي أُجهِّزَ الاجتماع، وأرجو أن تستعدَّا له.

لم يَرفَعْ مُهاب عينيه عن حاسِبِه الآلي طوال حديث محمَّد، وخَرَجَ الأخير، فقال أحمد بلهجةٍ غريبة:

- وَصَل أخيرًا إلىٰ الهدفِ الذي يسعىٰ إليه، هل هو جديرٌ بإدارةِ هذا المشروع؟

لا والله، ليس جديرًا بالمنصب، وهُناك مَنْ هُم أحق منه.

لَم ترتفعْ عينا مُهاب عن حاسِبِه الآلي، وتغيَّرت ملامحُ وجهه وهو يُطالع شاشته قال:

إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، علي بنات المليونير الأسترالي، توفَّاه الله يا أحمد، أنفق ثروته كلَّها علىٰ الفقراء والمرضىٰ، اشترىٰ الآخرة بكُلِّ ما يملك . . رَحِمَهُ ٱللَّهُ!

- يا أخي بنات مين وأولاد مين! أقولُ لك مُحمَّد أخذَ حقِّي وتقول لي بنات!

التفتَ إليه مُهاب في غضبٍ شديد، قال:

- هل تحسده علىٰ منصبِهِ الجديد؟! الرَّجلُ مُجتهدٌ يا أخي، وأنتَ تعيش فقط لتعترض، هذا قدرُ الله واختياره، فضلُ اللهِ يُؤتيه مَنْ يشاء، هل ستعترضُ علىٰ مَحَلِّ فضلِ الله؟ الله يختَّصُّ من يشاء بفضلِه يا أخي!

قَامَ أحمدُ مِنْ مَكَانِهِ حانقًا وصَاح:

- أنتَ تَعيشُ في الهَذَيَان ولا تُدرك ما حولَك، أنَا فِي هذه الشَّركة قَبلَ مَجِيئِه، وخبرتي أكبر مِنْه؛ فكيفَ يَرأسني؟

وَاصَلَ مُهاب عبَثَه بالحاسبِ الآلي وردَّ قائلًا:

- اسمعْ وأطعْ واعملْ بِجِد، ولا تشغلْ ذِهْنَك بِمَنْ يرأَس ومن يُفلس!

جَلَسَ أحمدُ وهو يرمقه بنظرةٍ ناريَّة، قال بسخط:

- يبدو أنَّك ستعيش وتموت في هذه اللامبالاة، لن

أسترسلَ مَعَك وسأفعلُ ما أراه صحيحًا!

ولم يَجِدْ ردًا إلَّا وجه زميلٍ يكادُ يخترقُ شاشةَ حاسوبه!

. . . .

- أُريدُك يا مُهندس أحمد أن تجمعَ بيانات المُنَافِسين في مشروعِنَا القادم، وأنتَ مُهندس مُهاب، تجمع بيانات المصانع التي ستُورِّد لَنَا المواد الخام، شكرًا مقدَّمًا لجُهُودِكم.

قالها مُحمَّد في اجتماع اليوم التَّالي، ومُهاب كعادته يعبثُ بالقلمِ في الأوراق التي أمَامَه، وأحمد يجلسُ بجَانِبِه ويستعدَّ للاعتراض!

- أُريدُ أن أعتذرَ عن هذهِ اللَّجنة يا مُهندس محمَّد.

تأمَّله مُحمَّد في برود، قال:

- ولكنَّك تعلم أنَّ الرئيسَ لَن يسمحَ بذلك.

- ظننتُك ستسألني عن الأسباب، وستُحاول أن تُثنيَني عن رأيي!

- نحنُ هُنا في شركةٍ كُبرىٰ ولَهَا نظام، لا مجال للعواطف يا مُهندس أحمد، هُناك أوامر بالتَّحضير لمشروعٍ جديدٍ وكبير، ولا يُوجد مُبرر للتَّقاعس، نحن هُنا نسمعُ ونُطيع!

نَظَر أحمد إليه في غضب، وصاح:

- تتهمني بالتَّقَاعُس؟

- لا أتِّهم أحدًا يا مُهندس أحمد، ولكن التَّهاون في مشروعٍ ضخمٍ كهذا تَقَاعُس، إذا عملنا مع بعضنا البعضِ كفريق فهذا شيء رائع، وإذا اعتَذَرْتَ عن العملِ بدون سببٍ وجيه فهذا تَقَاعُس!

نَظَرَ إليه أحمد في تحدٍ واضح، ولكن الأخير أكملَ ولَمْ يَعْبَأ بنَظَرَاتِه:

- أُريدُ أن أخبرَك بشيء يا أحمد..

نحنُ لا نختار المشاريع في هذه الشَّركة، نحنُ نُنفِّذُ جميعَ المشاريع، هذه شركتنا وهذا عملُنا، وأنت عملت بجِدٍ في كُلِّ المَشَاريع السَّابقة، ولا أدري لماذَا لا تعمل بنفسِ الرُّوح في هذا المشروع الضَّخم، أرجو أن تُراجعَ نَفْسَك!

نَظَرَ أحمدُ إليه في سخط، وقال:

- أُصَارِحُك؟

- بالطَّبع، الوضوحُ مُريح.

- أنا لا أُريدُ العملَ تحتَ قيادتِك في هذا المشروع.

تأمَّله محمدٌ بوجهٍ جامد، قال:

- لَيْسَ لَكَ خيارٌ، أنتَ هُنا في شركةٍ كبيرة، في نِظَام، نَحنُ لا نختارُ شيئًا هُنا إلَّا المشروبات السَّاخنة، حتَّىٰ ملابسنا نرتديها تنفيذًا للنِّظام!

- وأنَا لا أسيرُ مع النِّظام!

- هذا شأنُك، ربَّما يكون لك خيار آخر غير خيار المَشْرُوبات، ولكنَّه خيارٌ سيُخرِجُك خارج هذا المبنىٰ!

قاطَعَ مُهاب الحوار قبل أن يخرج عن السَّيطرة، قائلًا:

- الرئيسُ اختارَ المُهندس محمَّد يا أحمد، وهذه شركة ذات نظام، ونحنُ هنا نسمعُ ونطيعُ في سبيلِ نجاحِ الشَّركة!

ضَحِكَ أحمدُ ضحكةً ساخرة، والتفتَ إليه قائلًا:

- مَتَىٰ استيقظتَ يا مُهاب، يبدو أنَّ حاسبَك بِهِ عُطب!

تَجَاهلَ مُهاب سُخريَّتَه الَّلاذعة، وأكملَ العبثَ في الأوراقِ التي أمَامَه، قاطَعَ محمَّد الصَّمتَ الغاضبَ قائلًا:

- فكِّرْ فيمَا قُلتُه لك يا أحمد.

قالها وصوَّب إليه نظرةً غريبة ثُمَّ قال:

- أريدُ أنْ أخبرَكُم بخبرٍ سعيد.

تَرَكَ مُهاب الورقَ لبرهة، وسأله في لهفة:

- ما الجديدُ يا محمَّد؟

نَظَرَ مُحمَّد إلىٰ أحمد في برودٍ ثُمَّ التفتَ إلىٰ مُهاب، قال:

- مُنىٰ ابنة الرَّئيس هاتفتني منذُ قليل وهي تضحك بشدَّة!

نَظَرا إليه في دهشة، فأكمل دون أن ينتظر سؤالهما:

- أرسلَ إليها أحدُهُم رسالةً مُنتحلًا شخصيَّتي وصرَّح بحبِّي لها علىٰ لسانه!

تأمَّل مُحمَّد أحمد بابتسامة غريبة، وأكمل:

- المسكين لا يعلم أنَّ خطبتَنَا الخميس القادم!

قالها، وانتفضَ أحمد في قوَّة بعد العبارةِ الأخيرة، ولكن محمدًا لَمْ يلتَفِت إليه وقال:

- هيَّا .. استعدَّا جيدًا للحفل، سوف أذهبُ الآن لحجزِ القاعة .. وأرَاكُمَا علىٰ خير.

قامَ محمَّدٌ مُغادرًا الغُرفةَ، وتابعه أحمدُ بعينين ناريَّتين وقلب يحترقُ بالحسد!، واتَّسعت عينا مهاب ثُمَّ قال:

- سُبحان الله، ذلك فضلُ الله يُؤتيه من يشاء، واللهُ ذو الفضلِ العظيم!




﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ٨٩-٩٣].

راسخٌ يَرْضَى ويسمعُ ويُطيع

جسرٌ يُضربُ يوم القيامة علىٰ متنِ جهنَّم .. يمرُّ النَّاس عليه علىٰ قدرِ أعمالهم وقدرِ استقامتهم وثباتهم . . .

كُلَّما ثبتَ العبدُ والتزمَ بأمرِ اللهِ في الدُّنيا؛ كانَ مُرُورُه سريعًا علىٰ ذلك الصِّراط

سألَ الصَّحابة رسولَ الله ﷺ ما الجسر؟ فقال: مَدحَضَةٌ مَزلَّة.

زاد مسلم في روايته: قال أبو سعيد: (بلغني أنَّ الجسرَ أدَقُّ من الشعرة، وأحدُّ من السيف).

ومعنىٰ مَدْحَضَةٌ: يعني تزلقُ فيه الأقدامُ، ومَزلَّة يعني: تَسْقُطُ فيه الأجسادُ والأرجل

حسنًا، تأمَّل في يومِ القيامةِ وأهوالهِ العظيمة، فلماذا ذُكر الصِّراط وما يَحدثُ عليه؟

هل ترَىٰ أنَّ ذكرَ الصِّراط ومرور النَّاس عليه له عَلَاقة بالسَّمع والطَّاعة في الدُّنيا؟

فَلنُؤخِّر الإجابةَ عَن هذَين السُّؤالَيْن بضعة أَسْطُر!

عندما أُمرَ اليهودُ بالوفاءِ بالعهدِ وأخذ أوامر الله بقوَّة، وتعظيم أوامر الله بالطَّاعة والاستجابة كان قولُهُم: سَمِعنَا وعَصَينَا!

سَمعْنَا (سَمِعْنَا أمرَكَ وعَصَيْنَا أمرَك) . .

كُلُّنا نسمعُ نصائحَ وتوجيهات كثيرة خلال حياتِنا، ويتعدَّد النَّاصِحُون وتختلف الأساليب، ولكنَّ القلب واحد، ومصدر النَّصائح الدِّينيَّة معروف، والأذن لا تسمع والقلب لا يتأثَّر!

كثيرٌ ممَّن هُديَ إلىٰ الصِّراط المُستقيم وتحوَّل من أقصىٰ الشمال إلىٰ اليمين، سمع صرخةً من ناصحٍ مُخلصٍ أمين، فأرادَ اللهُ تعالىٰ أن يسمعَهَا بقلبِه رحمةً منه وفضلا، ولكن هذا علم الله وفضله ونعمته فلا يستطيعُ أحدٌ أن يجزم ويقول: كُلُّ

نصيحةٍ ستخرجُ مِنْ نَاصِحٍ مُخلصٍ أمين ستُصيب القلبَ وسيهتدي من يسمعها.

دعونا نُراجع هذا المعنىٰ ونتدبره بصدق..

القلبُ أمانةٌ عظيمة لا يُقدِّرهَا أغلَبُنَا ولا نَسْعَىٰ إلىٰ صيانَتِها وحِفْظِها حتَّىٰ يأتي موعدُ تسليمها إلىٰ خالقها ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

كي نَصِلَ إلىٰ اللهِ بقلبٍ سليم ونُسلِّم الأمانةَ كما ينبغي أن يكون

يَجبُ أن نُسمِعَ قلوبَنَا كُلَّ ما يُحبُّه الله ..

نُجاهد كَيْ نُشاهدَ بأعيُنِنَا كُلَّ ما يَرْضاه الله ..

نجتهد في طهارةِ ألسنتنا وآذاننا؛ فلا نسمع من أنفسنا أو نُسْمِع الآخرين إلَّا ما يُرضي الله!

يَجِبُ أن نَسْمَعَ ونُطيعَ ونستسلمَ حتَّىٰ نمرَّ علىٰ الصِّراط كلمحِ البصر، وتلك إجابة السُّؤالين الماضيين..

هل تَتَذَكَّرهما؟

السُّؤالان هما: لماذا ذَكَرْنَا الصِّراطَ ومَا يحدُث عليه؟ وهل هُناك علاقة بينَهُ وبَيْنَ السَّمع والطَّاعة؟

والإجابة: لأنَّه بقدرِ السَّمع والطَّاعة والانقياد لأمرِ الله؛ تكون سرعتنا في المرورِ علىٰ الصِّراط!

منَّا مَن سيمرُّ كلمحِ البصر (نسألُ اللهَ أنْ يَجْعَلنَا منهم).

ومنّا مَن سيمرُّ كالبرق.

ومنَّا مَن سيمرُّ كالرِّيح.

ومنّا مَن سيمرُّ كأجاويد الخيل والرِّكاب.

ومنَّا مَنْ سيسعىٰ سعيًا، وآخر سوفَ يَمشي مشيًا، وهُناك مَن سيزحفُ زحفًا، وأخيرًا، ونعوذُ بالله من ذلك المصير، هُناك من يُخطف فيُلقىٰ في النَّارِ!

والسَّبيل إلىٰ المرورِ كلمحِ البصرِ يُدْرَكُ بتهيئةِ القلبِ في الدُّنيا كَي يُدْرِكَ الآخرةَ وهو سليم!

ولن تأتي السَّلامة بغيرِ تعظيمٍ للرَّب؛ ومن ثمَّ تعظيم كل أمرٍ يصلُنا منه، ثُمَّ المُجاهدة في تنفيذِ الأوامر وتحرِّيٰ الطَّاعة، والمُجاهدة كي نُحافظَ عليها!

حسنًا، كيف نُؤسِّس للسَّماع ودوامه؟

إنَّ أوَّلَ خُطوة لتعظيم السَّماع، تعظيم المصدر..

أن يُجدِّدَ كُلٌ منَّا إيمانَه بالخالقِ العظيمِ الكامل في كُلِّ صفاته، واليقينُ في كَمَالِ الإله مسألةٌ جوهريَّة في رحلتِنَا نحوَ الرُّسوخ، فكون القلب يُوقِنُ في كمالِ خالقهِ يجعله واثقًا في تَقْدِيرِه، مُطمئنًا لحِكْمَتِهِ، مُوقِنًا في رَحْمَتِه، وكُلُّ ذلكَ يُؤسِّس للسَّماع ثُمَّ المُداومة عليه.

الخُطوة الثَّانية وتُوازي خُطوة التَّأسيس لتعظيمِ المصدر، خُطوة التَّخلية!

تخليةُ القلب من الجَدَلِ والكِبْروالاعتراض، وتدريب القلب علىٰ التَّسليم طالما أنَّ النصَّ ثابتٌ صحيح وقطعي الثُّبوت والدَّلالة (أقيمُوا الصَّلاة) فلنسمع ونُطعْ ونُجاهد في إقامةِ الصَّلاة!

حُرِّمَت علينَا الخمر، نسمعُ ونُطيع ونتركُ الخمر، ولا نتِّبع هوَانَا ونُسمِّيها

مشروبات روحيَّة!

أو ننزع بعضَ أنواعها من ظُلمة السُكر (كمن يقول: الحشيش ليس خمرًا، وهكذا).

آيةُ الحجاب، نسمع ونُطيع ولا نؤوِّل الآيات علىٰ هَوَانَا، وإن غَلَبَنَا هوانا ولم نستطِع القيام بالطَّاعة، فعلينا بالتَّسليم والاعتراف بفرضيَّةِ الحجاب، لا نتلوَّن ونلتف بأهوائنا علىٰ آياتِ رب العالمين!

الخُطوة الثالثة، ونحنُ في طريقِ التَّعرفِ علىٰ النُّصوص وتلقيها بِقُلُوبِنَا والمُجاهدة في تَنْفِيذِهَا والاستمتاع بحَسنَاتِهَا سنجدُ الكثيرَ من المُشاغبات والمُعارَضَات، وحَالُنَا تجاه ذلك التَّجاهل والإعراض، وإلَّا فليرد المُؤهلون للرد!

أمَّا النوع الآخر من اللغوِ والذي يَكْثرُ في الشوارع ووسائل التَّواصل والحياة عامة، فيَحسنُ الإعراضُ عنه! فالأذنُ تتلقَّي

المسموع ثُمَّ يتلقفها القلب، فإن أُشرب لغوًا؛ تأثَّر ورين عليه ﴿كَلَّا بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ وإن لَفَظَهَا وردَّها قَوِيَ واستمرَّ في رحلةِ التَّزكيَّة حتَّىٰ يصلَ إلىٰ السَّلامة!

كُلُّ ما تَرَاه وتَسْمَعُهُ يُؤثِّر فِي رحلةِ قَلْبِك إلىٰ الله؛ فتأمَّل!

تلك خُطُوات ثلاث أساسيَّة نحوَ تأسيس السَّماع النَّافع والدُربة علىٰ التَّنفيذِ والاستمتاع بالحَسَنَات، ولكن هل المُستمع فقط من نُوجِّه إليه النَّصيحة؟

هُناك طرفٌ آخر وهو المُسمِع (الداعيَّة أو المُعالج أو النَّاصح)، وله طُرُقٌ أخرىٰ.

الطَّريق الأول: تعظيم النَّص وإحاطته بتقوىٰ النَّفس، فذلك قول ثقيل ومسئولية عظيمة ينبغي أن نُزيِّنَ توصيلها بالتَّقوىٰ ونُؤسس لها بالاتِّباع والإخلاص!

الدَّربُ الثَّاني: معرفة النُّفوس وسبر أغوراها، وبالطبع لن يستطيعَ أحدٌ الوصول إلىٰ أسرارِ النَّفس البشريَّة والإحاطة بها، ولكن الاجتهاد قدر الاستطاعة أمرٌ حتمي كَي نستطيعَ إرشادَ الآخر إلىٰ ما يُناسبه ويُصلِحُ حالَه!

الدَّربُ الثَّالث: والمُستمع علىٰ سبيلِ سبرِ أغوارِ النُّفوس، ينبغي أن يتعرَّف علىٰ تبايُنِهَا ويُدرك اختلافَهَا، بل ينبغي أن يُوقنَ بتقلب حال النَّفس الواحدة، ثُمَّ يعلم أنَّ لكُلِّ مقامٍ مقالًا وأنَّ هُناك أشخاصًا يحسُنُ معهم الزَّجر في وقتٍ مُعيَّن، وآخرون يحسنُ

معهم اللين في موقفٍ آخر، وهناك مواقف ينبغي أن تتوَّقف فيها تمامًا عند الاستماع.

ونهايةً، اجلسْ جلستك الأسبوعية وتأمَّل في انصياعك وسماعِكَ أو إسماعِك (سواء كنت مدعوا أو داعيا)..

هل تسيرُ علىٰ دربِ التَّعظيمِ والحكمةِ والانصياعِ لأوامرِ الله؟

هل ترضَىٰ بقضاءِ الله ولا تحسد أحدًا علىٰ ما آتاه الله من فضله؟

إن قضاءَ الله وقدره يقتضي الاستماع بأدبٍ والتَّسليم بصبر، والرَّاسخ الذي يسمعُ ويُطيع يَرْضَىٰ ويسلم بقضاءِ الله، ولا يحسدُ أحدًا علىٰ فضلٍ تفضَّل اللهُ به عليه!

وليسَ كُلُّ أحدٍ مثل الآخر ولن تتساوَىٰ درجاتُ العبادُ في الجنَّة.

لن تتساوىٰ الصُّدُور تجاه النِّعم أو النِّقم.

فالنِّعم ابتلاء، فهل تُشكر؟

والبلايا اختبار، فهل نَصبِر؟

المَنْعُ أو العطاءُ ابتلاءٌ من الله والذي يبتغي الرُّسوخ يُطهِّرُ قَلْبَهُ مِنَ الحسدِ، ويعلمُ أنَّ اللهَ حَكَمٌ عدلٌ وفضلهُ عظيم، فليتأمَّل في حالِه وليرض بِمَا قُسِمَ له، وليسأل ربَّه الفضلَ العظيم.

من أقوال الراسخين

«أمَّا بعد، فإنَّ الخيرَ كلُّه في الرِّضىٰ، فإن استطعتَ أنْ تَرْضَىٰ وإلَّا فاصبر».

عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه

(قال ابنُ سيرين رحمه الله: ما حسدت أحدًا علىٰ شيء من أمر الدُّنيا؛ لأنَّه إن كان من أهل الجنَّة فكيف أحسده وهي حفيرة في الجنَّة؟ وإن كان من أهلِ النَّار فكيف أحسده علىٰ أمر الدُّنيا وهو يصير إلىٰ النار؟).

عن الزُّهريِّ رحمه الله قال: إنَّ عمر ابن الخطَّاب رضي الله عنه تلا هذه الآية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، قال: استقاموا والله لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثّعالب.

(الزهد) لابن المُبارك

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

في حربِ اليهود والمُشركين كان اليهودُ يتوعَّدُون المُشركين بخروجِ النَّبي الذي ذُكر عندَهُم في التَّوراة وأنَّهم سيُحاربون

المُشركين معه، ولكن لمَّا بُعثَ النَّبي؛ كَفَرُوا به حسدًا وبغيا، فتأمَّل في اتِّباع الهوىٰ وتغيير الآراءِ حسب الأهواء والمصالح الدُنيويَّة، فلنربِ أنفسَنَا علىٰ قبولِ الحقِّ من أي شخصٍ وأن نفخرَ بخدمةِ الدِّين في أي مكان، ولنُجاهد حظوظَ أنفسِنَا، ولِمَن كَفَرَ بربِّه وحرَّف كلامَهُ عذابٌ أليم!

(يستفتحون: يستنصرون ببعثةِ النَّبي)

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

باعُوا أنفُسَهُم واشتروا الباطلَ وكفرُوا بالنَّبي ظلمًا وحسدًا؛ فرجعوا بغضبٍ من اللهِ علىٰ غضب؛ لكُفرهم بعيسَىٰ ثُمَّ مُحمَّد، والله يختارُ مَنْ يشاءُ مِن عِبَادِه ويتفضَّل علىٰ مَنْ يشاء، ولا حقَّ لعبدٍ في الاعتراضِ علَىٰ أمرِ ربِّه ولا أقْدَاره؛ فالعقْلُ قاصرٌ عن معرفةِ الحكمة، والعبدُ الصَّادقُ يُسلِّم للهِ فِي كُلِّ شَيء.

(فباءوا بغضب: رجعوا به مُستحقِّين له)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

ويَختَارُون مَا يَشْتَهُون ويُوافقُ هَوَاهُم: سنُؤمنُ بكُتبِنَا ونَكفُر بالقرآن، والقرآنُ مُوافقٌ لكُتُبِهِم، فتكذيبهم لِمَا فيه تكذيبٌ لكُتُبِهِم،

كُتُبُ اللهِ تُصدِّقُ بَعْضَهَا بعضا، فتأمَّل في ذهابِ العُقُولِ وضَلَال القُلُوب!

وكيف لمُؤمنٍ مُعظِّمٍ أنْ يجرؤ علىٰ قَتْلِ أنبياءِ الله؟

جُرمٌ كبيرٌ وعاقبتُه خِزيُ الدُّنيا وعذابُ الآخرة .. نسألُ اللهَ العافيَّة من الضَّلال.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

جَاءَ مُوسىٰ بالدَّلائلِ الواضحةِ البيِّنة، يَدُهُ تخرجُ بيضاء للنَّاظرين، العَصَا التي تحوَّلت ثُعبانًا مُبينا، فَلْقُ البحر .. إلىٰ آخرِ الآياتِ الواضحاتِ التي لا يستطيعُها أحدٌ إلَّا بتَسخِيرٍ من الله، فَهَل امتثلُوا وآمنوا وشَكَرُوا النِّعم؟

كَفرُوا وعَبَدُوا العجل، وضلّوا ضلالًا مُبينَا.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أخَذَ اللهُ عليهم العهدَ وَرَفَع فَوْقَهُم جبلَ الطُّور تخويفًا، أمَرَهُم بأخذِ الأوامرِ بِجِّدٍ واجتهاد، تأمَّلْ في هذه الصورة..

تذهب حياتُك، أو تُطيع وتخضع وتمتثل .. العاقلُ يختارُ الخضوعَ لله ربِّ العالمين.

لم ينفعْ مَعَهُم ترغيبٌ ولا ترهيب، لَمْ تَسْتَمِلهُم نِعَمٌ كثيرة، ولم يَرْدَعهُم خَوْفٌ مُعايَن (خوفٌ رأوه بالعين)، أمَرَهُم خالِقُهم بسماعِ الحقِّ فكانَ حالُهُم: سَمِعْنَا وعَصَيْنَا، نَعَم سَمِعنَا ولكنَّا سنَعْصِي، عَبَدُوا العجلَ في غيابِ مُوسَىٰ، دينٌ بالهَوَىٰ والمزاج وادِّعاءٌ للإيمان، فبئسَ الَّذي يدعو العبدَ إلىٰ تلكَ الأفعال . . نسألُ اللهَ النَّجاة.

وَمَضَات تُنِيرُ الطَّريق

- الدُّخول في الإسلامِ يُوجب الالتزام بكُلِّ تشريعاتِهِ الواجبة، وليس حسب أهواء العَبد!
- الهدايات الرَّبَّانية تتوالَىٰ علىٰ العبد، والعاقلُ مَنْ استقبلَ هدايةَ ربِّه بخضوعٍ وشُكر!
- لا نشغل أنفسَنَا بفضلِ اللهِ علىٰ بَعْضِ العباد، ولنشْغَلْهَا بالتَّضرعِ إلىٰ الله كَي يرزقَنَا فَضْلَه!



حرصٌ أعمى

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾.

- يا حسين، ألن تعودَ إلىٰ بلدِك لزيارةِ أولادِك؟

قالَهَا محمَّد لصديقِهِ حسين مُعاتبًا وهما يجلسان في المقهىٰ المُجاور لمنزلهما في إحدَىٰ الدُّول الخليجية، كان حُسين قد سافرَ إليها مُنذُ عشرين عامًا ولم يَعُدْ إلىٰ بلدِه في الصَّعيد منذُ ذلك الوقت، عِقْدَان من الغُربةِ يعيشُ بعيدًا عن أهله ولم يرهُم لحظةً واحدة.

كان حسين كهلًا بدينًا ضيِّق العينين أصلع الرأس لا يتركُ عباءته المهترئة في غير أوقاتِ العمل، يعيشُ في غرفةٍ ضيَّقةٍ قريبةٍ من محَلِّ عمله اختارَها بعنايَّة كي لا يُنفقُ أيَّ مالٍ في المواصلات!

التفتَ حُسين إلىٰ صديقهِ محمَّد، وهو يحتسي كوبَ الشَّاي في نَهَم، قال:

- أهلي يصلُهم ما يكفي قوتَ يومهم يا محمَّد، ماذا يُريدون منِّي غير المال؟

لو ذَهَبتَ إليهم ولَمْ أستطِع أن أُنفِقَ عليهم، هل سيفرحُون بجُلُوسِي بجَانِبِهم وهُم جَوْعَىٰ؟

نَظَرَ إليه محمدٌ متعجبًا ممَّا يسمع، وقال في نبرةٍ غاضبة:

- وهَل هَذِهِ حياة يا حُسين؟ عشرون عامًا لم يرك أولادُك، ولم ينعَمُوا بِقُربِك ورعايتِك، وتقول أهم شيء القُوت؟

أولادُك يحتاجُونك ويشتاقُون إليك، وأنتَ هُنا ليسَ لَكَ هَمٌ إلَّا جمع المال، صلاتُك لا تحرصُ عليها، حتَّىٰ صلاة الجمعة لا تُصلِّيها!، وفريضة الحجِّ لَمْ يَطُف ذِكْرُهَا ببَالِك مرةً واحدة؛ فتذهب إلىٰ مكَّة لعلَّ اللهَ يهديك ويُصلح حالك!

ماذا ستأخذُ مَعَك يا حُسين؟ وكيف ستُقابلُ ربَّك؟ لا تسعَدُ ولا تُسْعِدُ مَنْ حَولَك، فكِّر يا حُسين فيما أقولُه لك، فكِّر لعلَّك تتغيَّر!

نَظَرَ إليه نظرةً واجمة، قال:

- انتهيتَ مِن مُحَاضَرَتِك؟

نَظَر إليه مُحمَّد مُتعجبًا، قال:

- وهل عَدَدتَها مُحاضرة؟ هل من يَنْصَحُك ويُحبُّ لكَ الخير مُحاضر؟

قال بشيء من الاهتمام في نبرة صوته هذه المرة:

- أتدري يا مُحمَّد، أنا أحبُّ مصرَ جدًا، ولا أفضِّلُ العيشَ هُنا وأحبُّ أولادي كثيرًا وهم يُحبُّونني أكثر، ولكنِّي أجاهد نَفسِي

كَي أؤمِّنَ لَهُم مستقبَلَهُم، أقولُ دائمًا لنفسي وماذا لو ذهبت وفَقَدت فرصةَ عَمَلِي هُنا؟ ماذا سيستَفِيدُون مِنْ رُجُوعِي؟ هل فَهِمْت؟

أجابه صديقه ساخرًا:

- تُحبُّهم كثيرًا ويُحبُّونك أكثر ممَّا تُحبُّهم؟ هذه جنَّة تدَّعي أنَّك تعيشُها وهي ليست إلَّا في خيالِك يا حُسين، الحبُّ له دلَائل وعَلَامَات، لو أحبَبْتَهُم حقًا لتمنَّيت أن تذهبَ إليهم مُنذُ عشرين عامًا، أنت تَحيك أوهامًا في خيالِك وتُصدِّقُها.

قَامَ حُسينُ وقال مُتبرمًا:

- نَكْتَفِي بمُحَاضَرةِ اليوم، أراكَ غدًا في العمل.

وولَّىٰ ذاهبًا تَتْبَعُهُ نظرات صديقه المُتحسِّرة.

. . . .

جَلسَ حسين علىٰ الكُرسي الخَشَبي القديم في غُرفتِه القليلة الأثاث، وأخذ يُجهِّز الهاتفَ الحديث الذي اقترضَهُ من زميلِه في العملِ كي يُحدِّثَ زوجَتَه وأولادَه، كان يُجهِّز لهذه الجلسة الشَّهريَّة، ويتحدَّث مَعَهُم في إجازتِهِ كَيْ يَطمَئِنَّ عليهم ويُخبرَهُم بالمبلغِ الذي سيُرسله، انتهىٰ حسينُ مِن إعدادِ جلسته وهَاتَف زوجَتَه عن طريقِ الشَّبكة العنكبوتيَّة (الإنترنت).

- كَيفَ حالُكُم يا رتيبة؟

- الحمدُ لله يا حسين، نحنُ بخير، وأنت كيفَ حالُك؟

- ماشية الأمور يا رتيبة، والمبلغ الذي أرسلته الشَّهر السَّابق، هل أنفقتِه كله؟

- حسين، أُريدُ أنْ أخبرَكَ بشيء، ولكنِّي مترددة.

أجابته، وكأنَّها لم تستمعْ إلىٰ سؤالِهِ عن الرَّاتب الشَّهري؛ فتعجَّب وبدأ القلقُ يتسرَّب إليه . .

- ماذا حَدَث يا رتيبة؟ ما الذي تكتمينه عنِّي؟

- الفدَّان الذي اشتريناه السَّنة الماضية . .

- ماله يا رتيبة؟

- نَزَل جارُه من الخليج، وزار أرضَه وقالَ لَنْ ينزلَ الأرضَ أحد؛ فَقَد اشتَرَيتُم من جارِي دون استشارتي.

- انتفضَ حُسَين من مَجْلِسِه وقَفَزَ واقفًا، وصَرَخَ:

- ماذا تقُولين يا رتيبة؟ هل يُريد أن يُفارق الحياة؟ أنا نازل يا رتيبة؟ يومان وستجدينني عندك.

- يااااه يا حسين! عشرون سنة وفدَّان يأتي بِك مِن غُربتِك؟ مَرِضَ ابنُك وماتَت أُمُّك ولم تسِر في جنازتها، والآن ستأتي خوفًا علىٰ أرضك! يا لقلبك يا حسين!

بدأ الغضب يستبدُّ به وصَرَخَ في وجهها:

- ولماذا عشتُ كُلَّ هذه السنين هنا يا رتيبة؟ من أجلي أمْ من أجلكم؟ **حرصت علىٰ حياةٍ تُهيئ لكُم مُستقبلًا آمنًا.**

ردَّت عليه رتيبة في حُزن:

- وهل هذه حياة تحرصُ عليها؟ حياة بعيدة عن أهلك، وكُلُّ هذا من أجل المال، وها هو المال قد يذهب وأنت لَمْ تستمتعْ به أو حتَّىٰ تراه!

أحسَّ كما لو أنَّها صَدَمَته بماءٍ باردٍ في وجهِه، لكنَّه كابَرَ وقال مُتبرمًا:

- إلىٰ الِّلقاء يا رتيبة، حديثُكِ سيزيدُ الأمرَ سوءًا، سلام عليكم.

أغلقَ الهاتفَ في غضب وجَالَ بذاكرتِه خلال عشرين سنة في الماضِي، تذكَّر أوَّل ما جاء إلىٰ هذه البلاد وحرب الخليج، تذكَّر كيف صَبَرَ حتَّىٰ عادَ الوضعُ كالسَّابق وأفضل، كانَ قَد عَاهَدَ زوجَتَه أن يعودَ بعدَ الحربِ، ولكن الدُّنيا تمكَّنت مِن قلبِه ونسِيَ العهد، تمسَّك بيديه وأسنانه بعملِهِ في الغُربة من أجلِ تأمينِ مُستقبل الأولاد كَمَا صوَّر لنفسه!

حياةٌ طويلةٌ عريضة من الكفاحِ والغُربة ووضعِ الجُنيه فوقَ الجُنيه، والآن يأتي أحدُهم ويتعدَّىٰ علىٰ مالِه الَّذي لم يره حتَّىٰ الآن!

التَفتَ حُسين إلىٰ دولابِهِ القديم، وعَزَمَ علىٰ تجهيزِ ملابِسِه للسفر، وشَرَعَ في جمعِ ملابسِهِ في حقيبةٍ بُنِّية قديمة لم تُلامسْ أرضَ المطارات من قبل، وبعد ساعتين كاملتين من تجهيزِ المَتَاع، نظرَ حُسين إلىٰ السَّقف، مصباحٌ جديدٌ اشتراه مُنذُ أسبُوع

وخسارة أن يتركه لغيره، صَعَدَ حُسين علىٰ الكُرسي حتَّىٰ يَحُلَّ المصباح وكانَ آخر شيء يمسكه في الغرفة!

. . . .

نَظَر الضَّابطُ إلىٰ جثةِ حُسَين بجانبِ الكرسي وعلىٰ وجهه تعبيرٌ غيرُ مبالٍ، وتوجَّه بالحديثِ إلىٰ حارسِ البناية سائلًا:

- مَتَىٰ وَجَدْتَ الجُثَّة؟

ردَّ الحارسُ بسرعةٍ وبصوتٍ مُرتعد:

- مرَّت خمسة أيام ولم أره داخلًا أو خارجًا، ذهبتُ إلىٰ غُرفته كي أطمئن عليه ووجدت رائحةً غريبة، لم يُجبْنِي أحدٌ بعدَ طَرْقِ الباب؛ فكسرتُهُ ووجدتُ الجُثَّة هكذا بجانبِ الكرسي.

التفتَ الضَّابطُ إلىٰ الجُندي الذي يقفُ بجَانِبِه، قال:

- يبدُو أنَّه ماتَ بسببِ ماسٍ كهربائي أثناء حَلِّه للمِصباح!

عاشَ حياتَه وحيدًا، ومات ميتةً لا يُحسد عليها![١]

رَحِمَهُ الله.



(١) هذه قصة واقعية حَدَثَتْ في دولة خليجية، قصَّها عليَّ من أثق به وتمت صياغتها بتصرف

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٩٤-١٠١].

راسخٌ حريصٌ على آخرتِه

رُويَ عن سلمان الفارسي أنَّه قال: «**ثلاثٌ أعجبتني حتَّىٰ أضحكتني، مُؤمِّل الدُّنيا والموت يطلبهُ، وغافلٌ وليس يُغفل عَنْهُ، وضَاحِكٌ مِلء فيه ولا يَدْرِي أساخطٌ رب العالمين عليه أم راض**».

وكُلُّنا نَعلمُ قولَ ابن عمر رضي الله عنهما: «**إذا أصبحتَ فلا تنتظرْ لا**

المسَاء، وإذا أمسيتَ فلا تنتظرْ الصَّباح، وخُذْ من صحَّتِك لمَرضِك، ومن حياتِك لموتِك».

الأَثَرَان السَّابقان ليسَ فيهِمَا دعوةٌ إلىٰ التَّعاسة والحُزن، ولكنَّهما يَحُثَّان علىٰ فهمِ حقيقَةِ الدُّنيا، وكيف نتَّزنُ نفسيًا في التَّعامل معها..

هل نترك أنفسَنَا ونُلقي لهَا الحبلَ علىٰ الغارب؟

أم نُجاهدها ونزكِّيها ونفوز في صراعنا معها ولا نركن إلىٰ الدُّنيا؟

في الآيات الكريمة يصفُ ربُّنا اليهودَ بالحرصِ الشديد علىٰ الحياة، وجاءت الحياة نكرة (بدون الألف واللام)؛ للدَّلالة علىٰ حِرْصِهِم علىٰ أيِّ حياة مهما كانت ذليلة، فلعلمهم بمصيرِهِم وعاقبتهم الخاسرة، يودُّون التَّأخر عن الآخرة أكبر قدر ممكن!

أمَّا المُؤمن الذي يستيقظُ قائلًا: الحمدُ لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النُّشور، واستيقاظه، حمدٌ لله وشكرٌ وتذكيرٌ لنفسِه بالبعثِ والحساب، لا كي يحزنَ ولكن ليُقبلَ علىٰ العبادةِ بإخلاص ويحتسب الأجر (يطلب الأجرَ من الله) ويجتهد في كُلِّ ما يعمل راجيًا توفيقَ ربِّه، مُؤمِّلًا الوصول إلىٰ أعلىٰ درجات الدُّنيا، وفي الآخرةِ يتفضَّل ربُّه عليه بالفردوس الأعلىٰ.

إنَّ الحرصَ علىٰ الآخرةِ والشَّوق إليها لا يأتي من فراغٍ،

بل هُوَ علم (علمٌ بالمعبود، وعلمٌ بقيمة العُبُوديَّة وعلمٌ بالمآل (أين سيكونُ مصيرُك؟ جنَّة أم نار؟)

وقبل كُلِّ ذلك، دُعاءٌ وتَضَرُّعٌ ثُمَّ عَمَلٌ ومُثابَرَة، والنَّتيجةُ تكونُ مِنَّةُ اللهِ وفضله بفهمِ الدُّنيا وتعلقُ القلبِ بالآخرة!

شابٌ يتأمَّل فِي الدُّنيا وأحاديثِ ذمِّهَا «**لو كَانَت الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناحَ بعُوضة ما سَقَىٰ الكافرَ منها شربةَ ماء**». [رواه التِّرمذي وابن ماجه]

العلمُ أولًا بقدرِ اللهِ وعظمتِهِ والتَّعرُّف علىٰ أسمائِهِ وصفاتهِ، فالعلمُ بالخالقِ وتعظيمِه ومن ثَمَّ تعظيم أوامرِه؛ يُؤدِّي بالعاقلِ إلىٰ تقديرِ كُلِّ ما يُرشدُ إليه، والحرصُ علىٰ التَّأملِ في توجيهاتِ الرَّبِ ومُعَايَشَتِها!

تَوْجيهٌ إلهيٌ مثل: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾.

مُجرَّد لَعِب ولَهْو وأشياء تُعجبُنا ونتكالبُ عليها، وفي النِّهاية هل تنفَعُنَا في قبرِنَا ثُمَّ عندَ بَعْثِنَا؟

لا والله، لَنْ ينفعَنَا إلَّا عُبُوديَّتُنَا وأعمالُنا الصَّالحة.

تأمَّل في مسلم **أدركَ عظمةَ الخالِق وكماله، تفكَّر في تدبيره الكون وما فيه من آياتٍ، وتعرَّف إلىٰ ربِّه بأسمائِه وصفاتِه..**

ثُمَّ أحسَن فهم شريعة الإسلام وأدرك كمالها وتمامها..

ثُمَّ تلقَّي ذلك التَّوجيه الإلهي بقلبٍ خاضعٍ منيب!

كيف سيكونُ حالُ قلبِ مَنْ يَعِيشُ تلكَ العُبُوديَّة؟

يقينًا سيعيشُ سعادةَ الدُّنيا .. الرِّضا عن الله وبالله ولله!

في صحيحِ البُخاري حديثٌ سيُغيِّرُ -بإذن الله- تَصَوُّرَنَا لعلاقتنا مع الله تمامًا؛ إذا قرأناه بقلوبنا..

يقول رسول الله ﷺ:

«إنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلىٰ حاجَتِكُمْ قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلىٰ السَّماءِ الدُّنْيا قالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وهو أعْلَمُ منهمْ، ما يقولُ عِبادِي؟ قالوا: يقولونَ: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ قالَ: فيَقولُ: **هلْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فيَقولونَ: لا واللَّهِ ما رَأَوْكَ؟ قالَ: فيَقولُ: وكيفَ لو رَأَوْنِي؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لكَ عِبادَةً، وأَشَدَّ لكَ تَمْجِيدًا وتَحْمِيدًا**، وأَكْثَرَ لكَ تَسْبِيحًا قالَ: يقولُ: فَما يَسْأَلُونَنِي؟ قالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو أنَّهُمْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ عليها حِرْصًا، وأَشَدَّ لها طَلَبًا، وأَعْظَمَ فيها رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يقولونَ: مِنَ النَّارِ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها قالَ: يقولُ:

فَكيفَ لو رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْها كانُوا أشَدَّ مِنْها فِرارًا، وأَشَدَّ لها مَخافَةً قالَ: فيَقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قدْ غَفَرْتُ لهمْ قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فيهم فُلانٌ ليسَ منهمْ، إنَّما جاءَ لِحاجَةٍ. قالَ: هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَىٰ بهِمْ جَلِيسُهُمْ». [رواه مسلم]

تأمَّل في «**هل رَأَوْنِي؟**» ..

اللهُ العليمُ يعلمُ أنَّ استحضارَ رقابته، والإيمان بالغيبِ والعمل بهذا الإيمان من صلاةٍ وذكرٍ وغيرهما من عبادات، شيءٌ محمودٌ ولهُ أجرُهُ العظيم، فكيفَ لو رأينا ربَّنا الجبَّار؟

فِي طريقِ الرُّسوخِ كَيْ يسيرَالعبدُ بخُطُوات واضحة حرصًا عَلَىٰ آخرتِه:

١- يدعو ربَّه أنْ يُعلِّقَ قلبَه بِهَا، ويرزقه سُبُلَ الاستعداد لها.

٢- يُنظِّم وقتَهُ ويملأ جدوَلَهُ، ويُعطي قبلَ كُلِّ عَمَلٍ ولو ثواني معدودة يستحضر فيها نيةَ التَّقرُّب إلىٰ الله وطلب حُبِّه وابتغاء جنَّته.

٣ - يجلسُ مع نفسِهِ جلسة أسبوعية (أو كما يُحدِّد الوقتَ المُناسب له) كي يُراجعَهَا ويسألها: هل أنتِ علىٰ الطَّريق وتفعلين الحدَّ الأدنىٰ من العبادات؟

هل يتذكَّر الآخرةَ يوميًا، ويحتسبُ مَا يعمله من عملٍ عند الله؟

وأسلوبُ الكتابة في الجدولِ والمُحاسبة خُطوة مُهمة أهمية قُصوىٰ في التَّغيير؛ فالأفكار تتصَارع في الذِّهن والخواطر تمرُّ دون صَيْد، وإن لم يُوجَد قلم يُدرِك ويُقيِّد ويُنظِّم فَغالبًا لَنْ نُحقِّقَ مَا نرجُوه.

هُناك أفعَال وأفكَار تحتاجُ فقط إلىٰ كِتَابَتِهَا في دقيقة كَيْ تدخلَ حيِّزَ التَّنفيذ، ولو لم تُكتَب لظلَّت فكرة حبيسة الذِّهن.

٤ - صُحبةُ مَنْ همُّهُ الآخرة، وقراءة سِيَرِ الأنبياءِ والصَّحابة وتعلُّق قلوبهم بالآخرة، وحرصهم عليها.

ونهايةً، فالحريصُ علىٰ الخُلُودِ لا ينبغي أبدًا أن يُفرِّطَ في سُبُلِ الحِرْصِ علىٰ الآخرة ..

نسألُ اللهَ ﷻ أنْ يجْعَلَ حياتَنَا بِه ولَه!



دَخَل الحسن البصريّ علىٰ عبد الله بن الأهتم يَعُودُهُ في مرضه، فرآه يُصوِّب بصره في صندوق في بيته ويصعِّده، ثُمَّ قال: أبا سعيد، ما تقول في مائة ألف في هذا الصُّندوق، لم أؤدّ منها زكاة، ولم أصل منها رحما؟ قال: ثكلتك أمّك، ولمن كنت تجمعها؟ قال:

لروعة الزَّمان، وجفوة السُّلطان، ومُكاثرة العشيرة. ثُمَّ مات، فشهده الحسن فلمَّا فرغ من دفنه. قال: انظروا إلىٰ هذا المسكين. أتاه شيطانه فحذَّره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، ومكاثرة عشيرته، عمَّا رزقه الله إيَّاه وغمره فيه. انظروا كيف خرج منها مسلوبًا محروبا. ثُمَّ التفتَ إلىٰ الوارث فقال: أيُّها الوارث، لا تخدعنّ كما خدع صويحبك بالأمس، أتاك هذا المال حلالًا فلا يكوننَّ عليك وبالا، أتاك عفوا صفوا ممَّن كان له جموعًا منوعا، من باطل جمعه، ومن حقّ منعه، قطع فيه لجج البحار، ومفاوز القفار، لم تكدح فيه بيمين، ولم يعرق لك فيه جبين. إنَّ يوم القيامة يوم ذو حسرات، وإنَّ من أعظم الحسرات غدا أن ترىٰ مالك في ميزان غيرك فيالها عثرة لا تقال، وتوبة لا تُنال.

قال الإمام النَّوويّ رحمه الله: «لا تَرْكَنْ إلىٰ الدُّنيا، ولا تتَّخذَهَا وطنا، ولا تُحدِّث نفسَكَ بالبقاءِ فيها، ولا تتعلَّق منها بما لا يتعلَّق به الغريب في غير وطنه».

قال الحسن: «إنّما أنت أيَّام مجموعة، كلَّما مَضَىٰ يَوْمٌ مَضَىٰ بَعْضُك».

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قُلْ لهم يا محمَّد: إن كانت لَهُم الدَّار الآخرة خالصة كمَا يزعمُون، وأنَّ الجنَّة مصيرُهُم كما يدَّعُون؛ فليتمنوا الموت، وحينها إمَّا أن يُؤمنُوا أو يتمنوا الموت إن صَدَقُوا في دعواهُم، فَمَن صَدَقَ في الإيمانِ وكانَ مِنْ أهلِ الطَّاعة؛ أحبَّ لقاءَ الله وعاشَ في طاعتِه.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ﴾.

ولَنْ يتمنَّوه أبدًا؛ لأنَّه طريقُهُم إلىٰ الحساب ثُمَّ العذاب، قَتَلُوا الأنبياءَ وكذَّبوا الرُّسل ورَفَضُوا الخُضُوعَ للحق، فكيف يتمنون الموت وقد قدَّموا من الأعمالِ سيِّئها؟،واللهُ عليمٌ بالظَّالمين .. بنيَّاتهم وقلوبِهم وكل ما يتعلَّق بهم.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

ومِنْ بُغضِهِم للموت يُحبُّون الحياة ويحرصُون عليها ويتمنَّون العيشَ أكثر من ألفِ سنة (كانت تحيةُ المجوس: «عِشْ ألفَ سنة»، فتأمَّل في حُبِّ الإنسانِ للحياة) ولَنْ ينالُوا طلَبَهُم، ولن يُحال بَيْنَهُم وبينَ العذاب، فالقيامةُ قريبةٌ، ولكن لا يَعلَمُون.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

يُعادُون جبريلَ ويزعُمُون أنَّهم سيؤمِنُون لَوْ نَزَل رسولٌ آخر بالكتابِ علىٰ مُحمَّد غير جبريل .. يفتَرُون ويُجادِلُون والكتبُ كُلُّها مِن عندِ الله، ولَهُ أنْ يَخْتَارَ رُسُلَه كَمَا يشاء، ويُرسِلُهُم إلىٰ مَنْ يَشَاء، وما علىٰ العبادِ إلَّا التَّسليم والانقياد .. وفي ما أنْزَلَ اللهُ الهُدَىٰ والبُشْرَىٰ للمُؤمنين، فتأمَّلْ فِي جرأتِهِم عَلَىٰ ربِّ العالمين .. نسألُ الله العافية.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

مَنْ كانَ عدوًا لجبريل وميكائيل (وخصَّهما الله بالذِّكرِ لعُلُوِّ مكانتهما عنده) وملائكةُ اللهِ، فَقَد كَفَرَ باللهِ واللهُ عدوٌ للكافرين، فالمُسلمُ يُؤمنُ بِمَا أنزَلَهُ اللهُ وملائكتهُ ورسلهُ وينقادُ للجميع ... يُعظِّمُ مَنْ عظَّمه الله، ويُبغِضُ من أبغضِهُ الله.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

أنْزَلَ اللهُ آياتٍ بيِّنات واضحات علىٰ نبيِّه، فِيهَا الحُجَّةُ علىٰ اليهودِ وجميعِ الخلق، وما يَكْفُرُ بِهَا إلَّا مَنْ أصرَّ عَلَىٰ الكُفْرِ، وَنَسِيَ ربَّه.

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

يَنْقُضُون العُهُودَ ويُنكِرُون الميثاقَ الَّذي أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِم، فريقٌ يَجحَدُ وفريقٌ يَنْقُضُ العهدَ وأكثرُهُم لا يُؤمِنُون، ولَو آمنُوا وصدَقُوا لوفوا بالعهد وقامُوا بأمرِ الله، فالإيمانُ يدعو إلىٰ الصِّدقِ والوفَاءِ بالعهد. (نَبَذَهُ: طَرَحَهُ ونَقَضَهُ)

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ولمّا نَزَل عليهم الكتابُ؛ كَفَرُوا به، وأَعْرَضُوا عنه غير مُكْتَرِثين بِه، فتخيَّل أن يُنعمَ اللهِ عليك بِمَا فيهِ خلاصك ونجاتك وصلاح قلبك ووضوح مصيرك؛ ثُمَّ تُعرِض عنه وتنبذه ولا تُجاهِد كَي تأخذَ بِمَا فيه .. وكتابُ اللهِ مُصدِّقٌ لِمَا أُنْزِلَ عليهم، فكُفرُهُم بِهِ كُفْرٌ بِكِتَابِهِم.

ومضات تنير الطريق

• المؤمنُ المُخْلِصُ يعيشُ فِي شَوْقٍ إلىٰ الآخرة، يعيشُ وقلبُهُ مُعلَّقٌ بِمَا عندَ الله..

• تَرَاكُم الذُّنوب يَحُولُ بينَ القلبِ وبينَ نعيمِ التَّعلقِ بالآخرة، فلنحذَر!

• الحرصُ علىٰ الدُّنيا يُنسِي الآخرة، فَلنَحْذَر نسيانَ الخُلُودِ فِي الجنَّة!

علمٌ ضار!

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

داليا فتاةٌ مُتوسطةُ الجمال تنتظرُ الزَّواجَ كملايين الفتيات اللاتي ينتظرن نصيبَهُن، مُتوسطة الطُّول نحيفة القوام، تلبس غطاءَ رأسٍ يَبْرُزُ شعرُها المُجعَّد من تحته، عينان واسعتان واجمتان دائمًا، مع صفحةِ وجهٍ باهتة وبشرة قمحيَّة .. ملابس مُتواضعة ومُهملة تُظْهِرُ قلةّ اكتراثها بالحياة!

جميعُ الأيَّام التي تعيشها داليا هي هي؛ تستيقظُ ظُهرًا وتذهبُ مُتأخرَّة إلىٰ الجامعة ثُمَّ تعودُ ليلًا بعدَ يوم مُضطَّرب التَّفاصيل، وتجلسُ مع والدتِها الَّتي تعيشُ مَعَها بمُفْرَدِهَا أمامَ التِّلفاز، وبعدها تسهرُ وحيدةً في غُرفَتِهَا حتَّىٰ صلاة الفجر ثُمَّ تَنَام، وهكذَا تدورُ أيامُّها وتَتَعَاقب، اليوم مثل غدٍ وغد مثل الأمس!

- داليا . . داليا، سمر تُريدُكِ بالخارج!

نَادَتها أمُّها في صباحِ يومٍ من أيَّامها الرَّتيبة كَيْ تستقبلَ زميلتَهَا سمر، فقامت من سريرِها في بطء، وخرَجَت من حُجرتِها لتُقابِل ضيفَهَا الثَّقيل!

كَانَت سمرُ فتاةً سمينةً ذاتَ عينين جاحظتَين وبشرة بيضاء وقامة قصيرة، لا تَكَفُّ عن الثَّرثرة طوال الوقت، فَمَا إنْ رَأَت صديقَتَها داليا حتَّىٰ شَرَعَت في الحَدِيث.

- أينَ أنتِ يا دَاليَا؟ لِمَاذَا لَمْ تَذْهَبِي اليومَ إلىٰ الجَّامعة؟ هل ستظلِّين نائمة طوال اليوم؟

نَظَرَت إليهَا داليَا فِي فُتُور، وردَّت بنبرةٍ باردة:

- استيقظتُ مُتعبة؛ فأكملتُ النَّهار نومًا.

لم تكترِثْ سمر لبرودِهَا المُعتاد، وأخَذَتَ يَدَهَا وانطلقَت إلىٰ حُجرةِ النَّوم قائلة:

- تعالي كَيْ أحكِيَ لكِ ماذا حدَثَ اليوم في الجامعة.

ودَخَلتَا الحُجرة، وتَرَكَتَا الأمَّ مُنهمكةً في برامج التِّلفاز ومسلسلاته.

. . . .

جَلَسَت داليا علىٰ سريرِهَا، أخَذَت سمر كرسيًا لتقترَب مِنهَا ونَظَرَت في عينيهَا الواجمَتَين، قائلة في حَمَاس:

- عِندي لكِ مُغَامرة مُبهرة!

لم تُعرْها داليا اهتمامًا، اعتَدَلَت علىٰ سريرِهَا نائمة، قَالَت:

- هاتي ما لديكِ يا سمر، أُريدُ أن أُكملَ نَوْمِي.

لم تَهتم سمر باستِهَانَتِهَا بِحُضورِهَا، أخرَجَتْ مِنْ حَقِيبَتِهَا عُلبةً زجاجيَّةً صغيرة وورقةً قديمة، فَتَحَتْ العُلبةَ الصغيرة، وعَرَضَتها علىٰ داليا:

- ماذا في العُلبة يا داليا؟

نَظَرَت داليا إلىٰ العُلبة في استخفاف، قَالَت:

- تهدين لِي بعضَ شُعيرَات رأسكِ للذِّكرىٰ؟!

لَمْ تأبه بسخريَّتِها الَّلاذعة، قَالَت:

- هذهِ شُعيرَات مِن شَعرِ مُنىٰ الجميلة، لطالَمَا تكبَّرت بِجَمَالِهَا وتَصَارَعَ من أجلها الشَّباب، ومُغامرتُنا أن نعملَ لهَا عملًا كي يقفَ حالُها كحالِنا!

اعتدَلَت داليا في جلستِها علىٰ سريرِهَا، ولم يَبْدُ علىٰ وجهِهَا كثير تَغَيُّر.

- تُريدين أنْ نتعلَّمَ السِّحرَ، ونَجعل مُنىٰ أوَّل تجربة؟

ردَّت سمر، واتَّسَعَت عيناها في حماس:

- نَعَم .. نعم، مُغامرةٌ لطيفة، أليسَ كذلك؟

رمتها داليا بنظرةٍ ساخرة وقالَت:

- مُغامرة لطيفة؟ لا نحضُرُ محاضَرات ولا نفتح كُتبًا وعندما نتعلَّم شيئًا نتعلَّم السِّحر؟!

يا لكِ من شيطانة سخيفة! ولكن هيَّا بنا.

وجَلَسَتَا بجانبِ بعضِهِمَا علىٰ مكتبِ داليا، وبدأتَا تعلم السِّحر!

. . . .

جَلَسَت داليا بجانبِ والدتِهَا أمامَ التِّلفاز، ووالدتها تصيحُ في غضب:

- السَّنة الثَّالثة في الكليَّة بلا نَجَاح، إذا كُنتِ لا تُريدِين التَّعليم قُولِي لِي، ونترك العلمَ لِمَنْ يُريدُه.

بَدَت ملامحُ داليا جامدة، قَالَت:

- افعلِي ما تُريدينَه يا أمِّي، سأذهبُ إلىٰ النَّوم.

قامَت داليا وترَكَت دُخَان الغضبِ يَتَصَاعَد مِن وراءِهَا ويمتزج بعباراتِ السخط، دَخَلَت حُجرَتَها، وبينما هي تستعدُّ لقضاءِ ساعاتٍ من الكسل، رنَّ هاتفُها فردَّت، وإذا بصوتِ سمر علىٰ الجانب الآخر:

- أينَ أنتِ يا داليا؟

- في المنزل.

- ماذا تفعلين في المنزِل؟ أنسيتي حفل خطبة هُدىٰ، لقد حضرت مُنىٰ منذ قليل، الفُرصة سانحةٌ الآن!

- حسنًا يا سمر، سأرتدي ملابسي وآتي إليكِ بعدَ نِصفِ ساعة.

. . . .

دَخَلت داليا وسمر شقةَ زميلتهِمَا وكانت مُنىٰ تُضَاحِك بعضَ الفَتَيَات في سعادة، فجأة وقعَ كوبُ العصيرِ علىٰ ملابسِها، فنَظَرَت سمرُ إلىٰ داليا وعلىٰ وجهها ابتسامة واسعة، وقالت:

- ستذهبُ إلىٰ المرآةِ في الحمَّامِ كَي تُصلحَ ملابسَهَا وزينتَهَا، يُمكنُنَا أن ندخلَ وراءَها وتُكلِّمينها حتَّىٰ أضَعَ (العمل) في الجيبِ السِّري لحقيبتِهَا.

اتَّجَهَت الفتاتان إلىٰ الحمَّام، وشَغَلت داليا مُنىٰ بكلامها عن الكليَّة والحفل؛ فأعطَت فرصةً لسمر كي تُنفِّذَ خُطَّتَهما، وتَمَّ مُرادُهمَا بنَجَاح.

عَادَت الفتياتُ الثَّلاث إلىٰ الحفل، وجَلَسَت مُنىٰ مع زميلَاتِهَا في سعادة، وغَادَرَت سمر وداليا المكان إلىٰ بيتهما.

. . . .

ابتَسَمَت هُدىٰ صاحبةُ الحفل السَّابق في وجهِ مُنىٰ ابتسامةً كلها فرحة، قالت:

- مُبارك يا منىٰ، زواجٌ سعيد، أُريدُ أنْ نحتفلَ مرةً ثانيَّة وندعو كُلَّ مَنْ حَضَرَ الحفلَ السَّابق، ولكن سنجتمعُ عِنْدكِ هذه المرَّة!

- نَظَرَت إليهَا مُنىٰ في امتنان وتنهدَّت تنهيدة طويلة، قَالَت:

- بالتَّأكيد حبيبتي، مررتُ بفترة عصيبة بعض الشيء، تخيَّلي يا هُدىٰ .. وجدتُ عملًا في حقيبتي منذُ شهرين! هل تُصدِّقين أنَّ هُناكَ مَنْ يُمارس السِّحرَ لإيقاع الأذىٰ بغيره!

اتَّسعت عينا هُدىٰ في دهشة، قالت:

- عمل؟! وماذا فعلتِ؟

تنهَّدت مُنىٰ تنهيدًة طويلة، قالت:

- الحمدُ لله، دلَّتني صديقة أمِّي علىٰ الرُّقية **ولَنْ يحدثَ ضررٌ لأحدٍ إلَّا بأمرِ الله!**

نَظَرَت إليها هُدىٰ في شفقة، قالت:

- الحمدُ لله حبيبتي أنَّكِ بخير، أزمة ومرَّت بسلام..

ابتسمت وسألتهَا في سعادة:

- هل ستكون الدَّعوة عامة؟

أجابت مُنىٰ:

- بالتَّاكيد سأدعو الجميع..

صَمَتَت لحظةً، وتحوَّلت ملامِحُهَا إلىٰ الحُزن، وأكْمَلَت:

ولكن للأسف لَنْ يأتُوا كلهم!

نَظَرَت إليها هُدَىٰ في دهشة، سألتها:

- ومَا الذي جعلكِ مُتيَّقنة هكذا؟

أجابت مُنىٰ بصوتٍ مُتهدِّج:

- سمر وداليا، بَلَغَنِي مُنْذُ قليل أنَّهما تَعرَّضَتَا لحادثٍ مُؤلِمٍ أَوْدَىٰ بِحَيَاتهمَا!

وغلَّف الصَّمتُ الحزين المكان!





﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾

[البَقَرَة: ١٠٢-١٠٥].

راسخٌ ويتعلَّم ما يَنْفَعُه!

هل يتعلَّم الإنسانُ ما يضره ولا ينفعه كما حدث مع بطلتي القصة السَّابقة؟

قالَ لي أحدُ الأصدقاء مرةً: لقد قرأتُ الإنجيل كاملًا.

قلتُ: هل قرأت تفسيرًا واحدًا من تفسيرِ القرآن؟

هل تحرصُ علىٰ وردٍ يومي من القرآنِ الكريم؟

وكانَت الإجابةُ: لا.

وهَا هُنا سُؤال: هل من الطَّبيعي أن يدفعَ الفضولُ أحدَهُم إلىٰ قراءةِ الإنجيلِ كاملًا ولا يدفَعهُ إلىٰ فهمِ القرآن؟

حسنًا، دَع الإجابةَ تصل إليكَ بعدَ قراءةِ هذهِ الأسْطُر!

الإسلامُ -ودون استطراد في سَرْدِ الكثيرِ من الأدَّلة- يُريدُ من المُسلم السَّعي نحوَ التَّميز، التَّميز في العلاقةِ بينَ العبدِ وربِّه، والتَّميزُ في العلاقةِ بينَ المُسلمِ ومُجتَمَعِه، والتَّميزُ في العَلَاقةِ بينَهُ وبينَ أهلِه وكذا التَّميز فِي عَمَلِه، ولا يَخْفَىٰ علينَا حديثُ نبيِّنا: «**إنَّ الله يُحبُّ إذَا عَمِلَ أحدُكُم عمَلًا أن يُتقنَه**» [صححه الألباني]

هذا موضوعٌ مُنتهٍ، وثابتة وجدانيَّة في روحِ كُلِّ من يُعظِّم الإسلامَ ويعي مقاصدَه، وهُنَا يبرز الإشكَال!

هل يَسيرُ جميعُنا في طريقِ التَّعلم بأولويَّة أم أنَّ ما يَحْكُمُنَا الميولُ النَّفسيَّة، وغلبة الثَّقافات الأُخرىٰ؟

وليتَّضحَ السُّؤال أكثر:

شابٌ فِي مُقْتَبَلِ تَكْوِينِه المَعْرفي (المرحلة الأولىٰ في تكوينه الثَّقافي)..

قَرَأ في الفلسفةِ وأُعجب بأفكارِ بَعْض الفلاسِفَة!

هل يُقبِلُ علىٰ عُلُومِ الفلسفةِ ويتعمَّقُ فِيهَا ويترك العُلُوم الأُخْرَىٰ ذات الأولويَّة؟

آخر مُنْبَهِر بالغربِ وشبَّ علىٰ رِوَايَات (مارك توين وإدغار ألان بو وتولستوي وغيرهم)؛ فَغَاصَ في مُؤلَّفَاتِهِم، فهل يسترسل في الاطلاع علىٰ تلك الروايات ولَمْ يُحصِّل القدرَ الواجب ممَّا يُصلِحُ بِهِ عِبَادَتَه ويَصْلُحُ بِهِ قلبُه؟

إنَّ تَرتِيبَ أولوياتِ التَّعلم مِنْ أَهَمِّ الخُطُوات المنهجيَّة التي يجبُ أن نَهتَّمَ بِهَا ونركِّز عليها فِي بداياتِ رحلتنا العلميَّة، وكُلُّنا نَعْلمُ المقولةَ الشَّهيرة:

«اعرفْ شيئًا عنْ كُلِّ شيء، واعرفْ كُلَّ شَيء عن شيء».

مقولة جيِّدة ولكنَّها تحتاجُ إلىٰ تفصيل، فبعضُ الأشياء التي تعرفُ عنها شيئًا ينبغي أن تعرفَ عنها أكثر من مجرَّد شيء، ولا يكفي أبدًا أن نتعرَّف فقط علىٰ قشورِهَا!

حسنًا، يُمكنُنَا أن نقسِّمَ رحلتَنَا العلميَّة إلىٰ:

- مرحلة العلوم الشرعيَّة الضَّروريَّة.
- مرحلة العلوم التي لا تتصل بالشريعة اتِّصالًا مباشرًا.
- مرحلة تعلم اللغات والتكنولوجيا.
- مرحلة الخبرات الحياتيَّة.

العلوم الشرعيَّة يجبُ علىٰ كُلِّ مُسلمٍ تعلُّم ما تصحُّ به عبادتُه وما تصحُّ به عقيدتُه وما يُستصلحُ بِهِ قلبُه منها، ولا يُطالبُ الجميعُ أن يُصبِحُوا علماء دين أو وعَّاظ، ولكن الأولويَّة الكُبرىٰ لكلِّ

مُسلمٍ أنْ ينجوَ بِنَفْسِه مِنْ نارِ الآخرَّة، ثُمَّ بعد ذلك -أو يُوازي ذلك- تطلعاته الأخرىٰ (علوم وسائل).

وخلال رحلة العلوم الشرعية هُناك أولويات أيضًا، فلا يُقدَّم تعلمَّ علوم الآلة:

(كالنَّحو ومُصطلح الحديث وغيرهما) علىٰ علوم المقاصد من فقه وعقيدة وغيرهما!

وفي رحلةِ العُلُوم التي لا تتَّصِلُ بعلومِ الشَّريعةِ اتِّصالًا مُباشرًا يعرفُ الطَّالب ميولَهُ ويقرأ ذاتَه ويكتشف مهاراتِه، ثُمَّ يدرسُ ما ينفعه في حياته العملية!

يسعىٰ إلىٰ تطويرِ مهاراتِه المُختلفة والتي ستدعم عمله، ويجتهد في تحصيل الحدِّ الأدنىٰ من المهارات التي قد يحتاج إليها، وخلال ذلك يأتي معرفة شيء عن كل شيء، فلا حرجَ في معرفةِ شيءٍ عن الفلك والفيزياء والذكاء الاصطناعي وغيرها من جميع المعارف[(١)]

وخلال الرِّحلتين السَّابقتين -ولا تقل عنهما أهمية- تأتي رحلة اللغات، ولن نُفصِّل في أهميةِ اللغات وخاصة اللغة الإنجليزيَّة كَلُغَةِ علمٍ وتواصل عالميَّة، حتَّىٰ وَصَلَ الأمرُ بالبعضِ إلىٰ التَّأكيد علىٰ ضرورةِ تعلم اللغة الإنجليزية!

---

(١) أنصح بسلسلة ملخصات العلوم -مؤسسة هنداوي-

ومع الاهتمام باللغة الإنجليزيَّة كلغةٍ معرفة عالميَّة، وكي يُتاح لنا الاطِّلاع علىٰ الجديدِ في مجالنا أو استخدامها في أيِّ مجالٍ آخر، يَحسُنُ أن نضيفَ لغةً ثالثة ورابعة، فالوُصُول إلىٰ مُستوىٰ مقبولٍ في عِدَّةِ لُغات أمرٌ محمود ونافعٌ في الدنيا والدِّين سواء بسواء.

وخلال رحلتنا العلمية نتعرَّفُ علىٰ الآخر ونندمجُ في المُجتمع، ونستلهم خبراتنا من تجاربنا وتجارب الآخرين، ولا يغيبُ عن أذهانِنَا أهمَّية قراءة التَّاريخ والسِّير الذاتيَّة لاكتساب الخبرات الحياتيَّة المُختلفة وإثراء أنفسنا بها!

نَعَم لن تكون الدُّنيا ورديَّة، **ولكن التَّوسط في الاختلاط بالنَّاس محمود، فلا نُسرف في اختلاطٍ ينالُ مِنْ صفاءِ نُفُوسِنَا وأذهَانِنَا، ولا نُفرِّطُ في اندماجٍ يعودُ علينَا وعلىٰ الآخرين بالخيرات.**

ولنتذكَّر حديثَ سيِّد الخلق: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ**»

[صحَّحه الألباني]

وهكذا نسيرُ في رحلةِ الرُّسوخ مع العلمِ والمعرفةِ والخبراتِ الحيَاتيَّة مُستَعينين بالله، نتعثَّر أحيانًا، ولكن سنصل في النِّهاية -بفضل الله-، وإن لم نصل إلىٰ الصُّورة التي نُريدُها، فاستمرارنا علىٰ الطريق في ذاته وصول .. نحن نُحاسب علىٰ السَّعي ولا نُسأل عن النَّتيجة..

📖 رحلةَ الرُّسُوخ رحلةُ بَذْل!

نعم قد يتخلَّلها فترات الفُتُور، ولكن المُثابرة في التَّعلم والدَّعوة إليه جنَّةُ دنيا لا يفوزُ بها إلَّا من جاهد ووُفِّق من الكريم.

وفي تلك الرِّحلة يَحسنُ بكلِّ مَنْ أرَادَ التَّعلمَ والرُّسوخ أن:

١- يدعو اللهَ بالتَّوفيق في جميعِ خُطُواتِه علمًا وعملًا!

كانَ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية إذا استشكلت عليه مسألةٌ دعَا فقال: «اللهم يا معلم إبراهيم علِّمني، ويا مُفهِّم سليمان فهِّمني» فيزولُ الإشكال.

٢- الاستعانة بأهلِ العلمِ في ترتيبِ الأولويَّات، ومُصاحبة أهل العلم العاملين كي يُرشدوا الطَّالب ويختصروا عليه الطَّريق.

٣- معرفة العوائق التي تعيق الطالبَ في رحلته، ومُواجهتها بالاستعانة والمجاهدة.

٤- السَّعي في تزكيةِ النَّفسِ ومُحاسبتها ومُجاهدة محاولاتِها للخروج عن الخُطَّة الموضوعة للتَّعلم، فغالبًا ستدعوك نفسك إلىٰ تركِ الأولويات، والموفَّق من تضرَّع وجاهد نفسَه كَيْ يَلْتَزِمَ بالأولويَّات وعاد إلىٰ الطَّريق.

٥- الاهتمامُ بالعلومِ الحديثة واللغات، والحذر من التَّعمق في علومٍ لا تُناسب الواقع الذي نعيشه، وهُناك علومٌ أخرىٰ تفتقرُ إلىٰ ملايين الشباب كي يَجِدُّوا في طَلَبِها ونَشْرِهَا، ولا مُجيب!

وقَبْلَ هذه الخُطُوات، وقبلَ كُلِّ شيء في حيَاتِنا، التَّبرؤ من الحولِ والقوَّة والتَّضرُّع؛ كي يَمُنَّ اللهُ علينا ويكتبنا في الرَّاسخين!

من أقوال الراسخين

«يبتدئ أولًا بكتابِ اللهِ فيُتقنه حفظًا، ويجتهد علىٰ إتقان تفسيره وسائر علومِه، فإنَّه أصلُ العلوم وأمُّها وأهمّها».

ابن جماعة

عن شيخ الحرم الإمام عبد الملك بن جريج ﵀ قال: (أتيت عطاء -يعني ابن أبي رباح- وأنا أريدُ هذا الشأن، وعنده عبد الله بن عبيد بن عمير، فقالَ لي ابن عمير: قرأتَ القرآن؟

قلت: لا.

قال: اذهبْ فاقرأه، ثُمَّ اطلب العلم.

فغبّرت زمانًا حتَّىٰ قرأت القرآن.

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

واتَّبَع اليهودُ الشَّياطين والسِّحر، وادّعوا أنَّ سليمانَ استعمله وما استعملَهُ، ولكن الشَّياطين كفروا وتعلَّم اليهود السحر من الملكين ببابل، رغم نصحهما (المَلَكان هاروت وماروت) لِمَن يُريدُ أن يتعلَّمه أنَّهما فتنة، وتعلُّم السِّحر كفر ولكن من يتَّبع الهوىٰ يُقدِّم طريقَ الشَّيطان علىٰ طريقِ الرَّحمن! ويتعلَّمون ما يُفرِّقُ بينَ المرءِ وزوجِه ولا يُضرُّ أحدٌ إلَّا بإذنِ الله، ولقد علمُوا أن مَنْ يعملَ بالسِّحر ما لَهُ في الآخرةِ من نصيب، فالنَّار مصيرُ من يعمل به، ولكنَّهم عملوا به واتَّبعوا الشياطين، ولبئس ما شَرَوا به أنفسهم؛ فالعاقلُ مَنْ يسْلُكُ طريقَ الجنَّة ويبتعدُ عَنْ طريقِ النَّار[1].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

ولَوْ آمنُوا وخافُوا ربَّهم؛ لكان لَهُم الثَّواب العظيم والنَّجاة في الدُّنيا والآخرة، الإيمان والتَّقوىٰ سبيلا النجاة، ولكنَّهم لِمْ يُؤمنُوا ولم يخضَعُوا للحقِّ ويعملُوا به؛ فكانَ غضبُ الله..

(١) (ذَكَرَ العُلَماءُ أنَّ المَلَكَيْنِ إنَّما أُنْزِلا إلىٰ الأرْضِ لِسَبَب، وهو أنَّهُ لَمّا كَثُرَتْ خَطايا بَنِي آدَمَ دَعَتْ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ، فَقالَ اللَّهُ تَعالىٰ: لَوْ أُنْزِلَتِ الشَّهْوَةُ والشَّياطِينُ مِنكم مَنزِلَتَهُما مِن بَنِي آدَمَ، لَفَعَلْتُمْ مِثْلَ ما فَعَلُوا، فَحَدَّثُوا أنْفُسَهم أنَّهم إنِ ابْتُلُوا اعْتَصَمُوا، فَأوْحىٰ اللَّهُ إلَيْهِمْ [أنِ] اخْتارُوا مِن أفْضَلِكم مَلَكَيْنِ، فاخْتارُوا هارُوتَ ومارُوتَ. وهَذا مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وابْنِ عَبّاسٍ.(زاد المسير (ابن الجوزي)
(قال الله لو ابتليتم أيها الملائكة بالشَّهوة والشَّياطين لفعلتم كما فَعَل بنُو آدم من المعاصي، فحدَّثت الملائكة أنفسها أنهم إذا ابتلوا اعتصموا ولم يقعوا في المعصية، فأوحىٰ الله إليهم أن يختاروا أفضل ملكين منهم كي يُختبروا..)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

كانَ المُؤمنون يقولُون: راعِنَا، ويَقصِدُون بِهَا المعنَىٰ الطيِّب: راع أحوالنا..

فاستَخدَمَهَا اليهودُ في خطابِهِم معَ النَّبي بالمعنَىٰ السيئ، فأمَرَ اللهُ المُؤمنين بقول: انظُرنَا، والمعنىٰ: انْظُر إلينا وتَعَهَّدْنَا، فلا يحتملُ معنَىٰ انظُرنا غير المعنىٰ الحَسَن، وفي ذلك ردٌ لأيِّ محذورٍ قَدْ يقع فيه المؤمنُون، ثُمَّ أمرَ اللهُ المؤمنين بسماعِ القرآنِ والسُّنَّة وسماعِ كُلِّ خَيْر.

(الرُعُونة: قلة التَّفكير والطّيش)

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

ما يودُّ الذين كَفَروا أن يُنزَّلَ الخيرُ علىٰ المُسلمين.. لا هِدَايَّة ولا خير دنيوي، يحسدون المؤمنين علىٰ ما رَزَقَهُم اللهُ مِنْ فَضْلِه، واللهُ يَتَفَضَّل علىٰ الصَّالحين مِنْ عِبَادِه بخيرِ الدُّنيا وخيرِ الآخرة، ويحفظُ مَنْ لَجَأ إليه وتحصَّن بمعيَّتِه وذِكْرِه.. نسألُ اللهَ مِنْ فَضْلِه.

ومضات تنير الطريق

- السِّحر طريقُ الشَّيطان، والاعتصامُ باللهِ يَقِينَا شرَّه.
- معيارُ الصَّلاح: الاستسلامُ لأمرِ الله وتعظيمِ الرُّسل، والملائكة والكُتُب السماويَّة.
- خيرُ نعمة تملكها إسلامك، تُحسد عليه ويتمنَّون زواله؛ فاحرصْ علىٰ خيرِ النِّعم.





فخٌّ هش!

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

- كيف حالُكِ يا دينا؟

صَافَحَ عماد زميلتَهُ دينا بحرارة، وجلسَا معًا في الحديقةِ المُلحقةِ بالكليَّةِ، كانت دينا فاتنة بِكُلِّ مَا تحملُ الكلمةُ من معنىٰ، ولكن عماد لَمْ يُفتَن بها، هي مُجرَّد زميلة جامعة، وأحدُ أعمدة (شلَّة الأنس) التي يقودها!

نَظَرَ عمادُ إلىٰ دِينَا في اهتمامٍ بالغ، قال: ألَمْ تَفْتَقِدِي الشَّيخ أحمد يا دينا؟

تأمَّلته لحظةً مُتعجبة، ضَحِكَت ضحكةً ساخرة، قالت:

- الشيخُ أحمد، سهَّل اللهُ له، أصبحَ طريقُهُ غيرَ طريقِنَا.

قال وعيناه تقطران خُبثا:

- وما المانع أن يعودَ إلىٰ طريقِنَا؟

تلاشَت ابتسامتُها، وأصْبَحَت أكثر جديَّة..

- ماذا تُريد بالضَّبط يا عماد؟

تحمَّس لجديَّتها، اعتدلَ في جلسته وكأنَّه سيُلقي محاضرة..

- أعلمُ اهتمامَ أحمد بكِ عندما كان في (الشِّلة)، ونحنُ نُريدُه أن يعودَ إلينا، (الهلس) يفتقدُه، وأظنُّه ملَّ حياتَه التي يعيشها.

قَالَها وأخذَ يضحَك؛ فنَظَرَت إليهِ مُستفهمة، سألَته:

- ولِمَاذَا أحمد بالذَّات يا عماد؟

- وهل هُناك أحدٌ غيره تَرَكَ طريقَنَا؟

- يعنِي لو شخص آخر تَرَكَنَا، كنت ستطلب منِّي نفسَ الطَّلب؟

ردَّ في حيرة:

- لا أدري، ولكننِي طلبتُ منكِ؛ لعِلْمِي بميلِ أحمد لكِ قبلَ استقامته!

راودها الشَّكُّ لحظةً ثُمَّ قالت:

- سأفعلُ ما تُريده لأنَّني أريدُه، لا لأنَّك تُريده.

ابتسمَ ابتسامةً ظافرة، وردَّ في سعادة:

- ليست مشكلة من يُريد، المُهمُّ أنَّكِ ستفعلين.

أراكِ لاحقًا.. وتَركَهَا في بحرِ الذِّكريَات!

. . . .

معركة اليرموك، بين المسلمين، بقيادة خالد بن الوليد، والبيزنطيين، سنة ١٥هـ. .

تعداد جيش المُسلمين: ٣٦,٠٠٠ مُقاتل

تعداد الجيش البيزنطي: ٢٤٠,٠٠٠ مُقاتل

وانتصَرَ المُسلمون.

معركة وادي لكَّة في ٢٨ رمضان ٩٢هـ، بين قوَّات الدَّولة الأُموية بقيادة طارق بن زياد، وجيش القوط الغربيين. تعداد جيش المسلمين: ١٢,٠٠٠ مُقاتل، تعداد جيش القوط: ١٠٠,٠٠٠ مُقاتل.

وانتَصَر المُسلمون

في تلكَ المعركة انتصارًا ساحقًا أدَّىٰ إلىٰ سُقُوطِ دولة القوط الغربيين.

معركة ملاذ كرد في عام ٤٦٣هـ، بين المُسلمين والرُّوم . . تعداد جيش المسلمين: ٤٠,٠٠٠ مُقاتل، تعداد جيش الروم: ٢٠٠,٠٠٠ مُقاتل.

وانتَصَرَ المُسلِمُون.

وعشرات الملاحم والانتصارات، نحنُ ننتصرُ بالإيمان والعقيدة وليس بالعُدَّة والعَتَاد.

اقتَرَبت دينا من مسجدِ الجَّامعة وسمعت جزءًا من مُحاضرةِ

الشَّيخ أحمد التي يُلقيها كُلَّ أربعاء، انتَظَرتهُ حتَّىٰ خَرَجَ والعديد من الشَّباب يَحُوطُهُ بالأسئلة والاستفسارات، ووَقَفَت بجَانِبِهِم حتَّىٰ بقي مَعَهُ اثنان.

دَنَت دينا مِنْهُم بَعْضَ الوقتِ، وأثناء انهماك الشَّيخ أحمد في حِوَارِه مع الشَّابين، وَقَعَت عيناه عليها؛ غضَّ بصَرَه، ولكنَّها اقترَبَت أكثر، قالَت:

- السَّلام عليكم.

نَظَرَ الشَّابان إليها، وأدرَكَا أنَّها تُريدُه؛ فتَرَكَاه لعلَّها تحتَاجُهُ فِي أمرٍ مُهم، ذَهَبَت دينا إليه، وبادَرَتهُ بالسُّؤال:

- السَّلام عليكم، كيفَ حالُك يا أحمد؟

أبعدَ عينيه عنها، وتراجعَ خُطوة إلىٰ الوراء من قوَّةِ العطرِ الذي صَدَم أنفَه، قال:

- وعليكم السَّلام ورحمة اللهِ وبركاتِه، الحمدُ لله يا دينا، غريبٌ أن تأتيَ إلىٰ المسجدِ لتُقابليني، ما الأمر؟

لم تَرفَعْ عينيهَا عنه، سألته مُباشرة:

- هل يمنعُك الدِّين من السُّؤال عنِّي؟

رَفَع رأسَهُ ونَظَرَ إليها نظرةً سريعة، التفتَ بوجههِ إلىٰ اليَمين، سألَهَا مُتعجبًا:

- ولماذا أسألُ عنكِ؟

أجابته بصراحة:

- لأنَّنَا كُنَّا أصدقاء، خَفَضَت صوتَها بدلالٍ ثُمَّ قالَت: وربَّما أكثر مِنْ أصدقاء!

شَعَرَ بالاضِّطرابِ بسبِبِ أسلوبها في الكَّلام، قال:

- كُنتِ زميلَتي في وقتٍ من الأوقات، وعلمتُ أنَّ العلاقةَ بينَ الرَّجُل والمرأة لها حدودٌ في الشَّرع، وعلاقتنا لم يَكُن لَهَا سببٌ شرعيٌ وغير جائِزة .. أصبحَ لكُلٍّ منَّا طريقُه.

- ولماذا لا نلتقي في مُنتصفِ الطَّريق؟

أجابَهَا صارمًا وبلا تردُّد:

- لا يُوجَد في الدِّين مُنتصف طريق، الحلال بيِّن والحرام بيِّن، ولا يُوجد شيءٌ سيجعلُ الخمرَ حلالًا، ونقول: هذا حلٌ وسط ومُنتصف الطَّريق.

كانَ يتكلَّم بنبرةٍ مُتصَاعِدة، ثُمَّ بدَأَ يُخفِضُ مِنْ صوتَه وهو يقول في هدوء:

- اسمعي يا دينا، الجنَّةُ ليست سلعةً رخيصة، الجنَّة سلعةُ اللهُ الغاليَّة، ومن أرادَ الفوزَ بِهَا؛ **فليُسلم وجهَهُ إلىٰ اللهِ ويُحسن ويستمسِك بلا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله، وسبيلها واضح لا لَبْسَ فيه.**

- ولماذا لا تُساعدني كَيْ أسلكَ سبيلَ الجنَّة؟

هزَّ رأسَهُ مُتعجبًا، قال:

- وهل يجوزُ ذلك؟ وكيف أُسَاعدُكِ؟ ولمَاذَا أنَا بالذَّات؟

قالت بصوتٍ حاوَلَت أن يكون رقيقًا؛ كَيْ تَلْفِتَ انتباهَهُ لينظرَ إليها:

- لأَنَّكَ تعرف شخصيَّتِي، وصداقتُنا كانت لسنوات.

لم يَبْدُ عليه التَّأثر بمحاولتها لفت انتباهه، قال:

- وهل هَذَا يَجْعَلُنِي أسْعَىٰ لهدايتكِ بشكلٍ شخصي؟

دينا، أنتِ عاقلة وكبيرة، وتَعْلَمين أنَّ حياتَنَا كانَت مأساة، كانَتَ كُلُّها طاعة للنَّفس والشَّيطان، ونحنُ عبادُ الرَّحمن، الرَّحمن هَدَاني إلىٰ طريقِ النَّبي وامتنَّ عليَّ بالهُدىٰ، فَلَنْ أسمحَ لأحدٍ أنْ يُفسدَ سَعَادَتي وراحةَ بالي التي أعيشُهَا مع الله، هل تُريدينني أنْ أعودَ إلىٰ بُؤسِ الماضي؟

بدأت تتوتَّر، وتَصَاعَدَت نبرةُ صوتِها:

- ومن قال لك أنَّني أريدُ عودَتك إلىٰ بُؤسِ الماضي؟ أريدُك أنْ تُساعدني.

- مُساعدتك خُطوة من خُطُوات الشيطان، مُساعَدَتُكِ قَد تكون أوَّل خُطوة في العودة إلىٰ الماضي التَّعيس.

نَظَرَت إليه بإعجابٍ ووجهه في الأرض، قالت:

- أعطِني رقمَ هاتِفِك ولو احتجتُ نصيحةً سوفَ أُراسلك علىٰ (واتس آب)

أجَابَهَا بسرعة:

- هُناك أخوات كثيرات، يُمكنِكِ طلبَ النَّصيحة منهن.

قالَت فِي عِنَاد:

- يَعنِي أنت لا تَسْتَقْبِل رسائل من أي أحد؟

- مُراسلة من لا أعرفهم شيء، والتَّواصل مع من يُذكِّرُني بالماضي شيءٌ آخر.

شُكْرًا لحُسْنِ ظنِّك بي يا دينا، أسألكِ الدُّعاء، وأستأذنكِ في الانصراف، السَّلام عليكم ورحمة الله.

قالَها وانصرَفَ فتابعَتْه بنظرةِ إعجابٍ، وقَالَت في صوتٍ خَافِت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

. . . .

وَقَفَ عماد معَ دينَا في رَدْهةِ الكُليَّة، قال مُغتاظًا:

- كيفَ لَمْ تستطيعِي أن تُوقِعِي به؟

ردَّت في قوة:

- أعْجَبَنِي تَمسُّكُهُ بمبادئِه وأخلاقِه.

تهكَّم بها قائلًا:

- يا سلام، أعجبكِ تمسُّكُه بمبادئِه وأخلاقِه، ومتىٰ ستلقين دروسَكِ في المسجد يا شيخة دينا؟

رمَقَته بنظرةٍ ناريَّة..

- وما المانع أن أكونَ الشِّيخة دينا؟ هل أنَا شيطانة وعندك خَبَرٌ أنِّي من أهل النار؟

- الله الله، يبدو أنَّكِ وقعتِ في فخِّه، بدلًا من وقُوعِهِ في فخِّكِ!

- نَعَم، فكَّرتُ في شخصيَّتِه وتحولِه، وقَارَنت بين حياتِنا وحياتِه، وقرأت في عقلك تمنِّي الشرَّ لَه، تمنِّي عودته إلىٰ المُستنقعِ الذي نعيشُ فيه .. أنتَ شيطان يا عماد .. أنتَ شيطانٌ حقيقي!

وتركته يتأجَّج غضبًا وحسدا.

. . . .

جَلَسَ الشَّيخُ أحمد في المسجدِ يتصفَّح رسائلَ الواتس آب، وَجَدَ رسالةً من دينا تقول فيها: شكرًا يا أحمد، شكرًا علىٰ موقِفِكَ الَّذي جَعَلَنِي أُعيدُ الكثيرَ مِنْ حِسَابَاتِي، **شُكرًا لأنَّك جعلتني أُفكِّر في الهدفِ مِنْ وُجُودِي، وأوصَيتَنِي بطريقِ الحقِّ والصَّبر عليه، شكرًا لأنَّك جَعلْتَنِي أتأمَّل فِي سُورةِ العصر وأسْعَىٰ فِي صَلَاحِ نَفْسِي، شكرًا لأنَّك وجَّهتَنِي إلىٰ إسلامِ وجهِي لله والإحسان فِي هذهِ الحيَاة!**

- السَّلام عليكم.

قاطَعَه صوتُ زميله نادر.

كَانَ صديقَهُ القديم في (شلة الفساد) .. تعجَّب أحمدُ من قُدُومِهم واحدًا تلو الآخر!

- وعليكم السَّلام ورحمة الله، أهلًا يا نادر، كيف حالُك؟

كانت علامات الحُزن باديةً علىٰ وجهه، تَسَاقَطَت الدُّموعُ مِن عَينَيه وقال وهو ينتحب:

- البقاءُ لله يا شيخ أحمد.

وانهارَ في البكاء.

تغيَّرت ملامحُهُ، ورَبَتَ علىٰ كتِفَيْه في حنان:

- اهدأ يا صديقي وأخبرْنِي، من الذي توفَّاه الله؟

استمرَّ نادرُ في البُكاء، واختلطَ نحيبُه بكلامِه، قال:

- دينا يا أحمد، دينا تُوفِّيَت في حادثٍ أليم.

وتَسَابَقَتْ الدُّموع من أربعة عيون!





﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٦-١١٢].

راسخٌ مُحسنٌ يتواصى بالحقِّ ويحبُّ الهدايةَ للآخر ..

أُصلِّي وأصوم وأزكِّي وأصِلُ رحمي، فلماذا تنصحني؟

ذلكَ السُّؤال الجدلي الخالد الذي يتناسَىٰ أصلَين عظيمَين من أصولِ الدَّعوة الإسلاميَّة: التَّناصح والتَّواصي بالحق.

يقولُ الإمامُ الشَّافعي عنْ سُورةِ العصر: **لو مَا أنزلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خلقِهِ إلَّا هذه السُّورة لكَفَتْهُم.**

دعونا نتذكَّر مقاصدَ تلك السُّورة العظيمة؛ كَيْ نُذيبَ الجليدَ الذي صنَعَه ذلك السُّؤال إنَّ الإنَّسان لَفِي خُسْر، وكيف نتجنَّب الخسارة العظيمة يا ربَّنا؟ بعملِ الصَّالحات، والإيمان، والتَّواصي بالحق، والتَّواصي بالصَّبر.

إنَّ الإيمانَ يَتطلَّب علمًا، علمًا بالله وحقِّه، وبالنَّبي وكيفَ نتَّبعه.

وبتحصيلِ العلمِ وطلَبِه يأتي العملُ الصَّالح، العملُ الصَّالحُ الَّذي يقومُ عَلَىٰ رُكنَين أساسيين (الإخلاصُ لله، والاتِّباع)

أن نعملَ لله، نُسْلِمَ قلوبَنَا لَه، ونتَّبع في ذلك العملَ، هَدْيَ سيِّد الخلق ﷺ، وبالإيمانِ والمُجَاهدة في عَمَلِ الصَّالحات تَزْكُو النَّفسُ وتتَّجه ناحيةَ الكمال!

نَعَم لَنْ تَكْمُل، ولكنَّها تَسْعَىٰ للوُصُولِ إلىٰ النَّمُوذَج الإنْسَاني الَّذي خُلق لنقتَدِيَ بِه .. النَّمُوذج النَّبوي.

ويأتي هُنا تساؤل!

هَلْ نَتَوقَّف هُنا فحسب؟ عند الإيمانِ وعملِ الصَّالحات؟

هل نكتفي بالسَّعي نحوَ كَمَالِ النَّفس؟

ربَّما قد يقولُ قائل: إنَّه زَمَن فتن، عليك نفسك، لا تُكلَّف إلَّا نفسك، ألَمْ يَقُلْ النَّبي ﷺ: «يُوشِكُ أن يكونَ خيرُ مالِ

المُسْلِم غنمٌ يتبعُ بهَا شعَف الجِبَال ومواقع القِطْر، يفرُّ بدِينِه مِن الفِتَن»[1].

[رواه البُخاري]

وسَألَه أحدُ الرِّجال: أي النَّاس أفضل؟ فقال: رجلٌ يُجاهد في سبيلِ اللهِ بمَالِه ونفسِه. قال: ثُمَّ مَن؟

قال: مؤمنٌ في شعب من الشعاب يعبدُ اللهَ ربَّه ويَدَع النَّاس من شرِّه.

نَعَم هذان حديثَان صحيحان، ولكن هل هذا هو الأصل؟

إنَّ المؤمن يفعل ذلك عندَ خشيَتِه علىٰ دينِه وترجيحه الفتنة في الدِّين إذا خالطَ النَّاس ولكن الأصل هو السَّعي لكمالِ النَّاس كَمَا السَّعي في كمال النفس.

يقولُ سيِّدُ الخلق: «**المؤمنُ الذي يُخالطُ النَّاس ويصبرُ علىٰ أذاهم أعظم أجرًا من المؤمنِ الذي لا يُخالط النَّاس ولا يصبرُ علىٰ أذاهم**»

[صحَّحَهُ الألباني]

ربَّما نكتفي بالسَّعي نحوَ كمالِ النَّفس بالإيمانِ والعملِ الصَّالح ونتخذ قرارًا بالعُزلة، قد يكونُ ذلكَ مُناسبًا للبعض، وهذا البعضُ يجبُ أنْ يتَّصِفَ ببعضِ الصِّفات، منها الكفاية العلميَّة التي

(١) (قال السندي في حاشيته علىٰ النسائي: (شَعَف الجبال) أي رؤوسها) و(مواقع القطر) أي المواضع التي يستقر فيها المطر كالأودية. وفيه أنَّه يجوزُ العُزلة بَل هي أفضل أيَّام الفتن. انتهىٰ.

تجعل عبادتَهُ صحيحة، عقيدتُهُ سليمة، وقلبَهُ يسيرُ في طريق الإصلاح، يعرفُ كيف يَسُوسُ نَفسَه؛ ولكن ينبغي أيضًا أن نسعَىٰ إلىٰ كمال الآخرين والذي هو سبيلٌ إلىٰ صَلَاحِ المُجتَمَع.

التَّواصي بالحق قد تكونُ عواقبُهُ صعبة، ولكن التَّواصي بالصبر سيُطفئ نارَ تلك العواقب، ويُحوِّلها إلىٰ لذَّةِ الاحتسابِ والوصول إلىٰ جنَّة الدُّنيا .. جنَّة السَّعي لكمال النَّفس وكمال الآخر.

رُبَّما يظنُّ ظان أنَّ التَّواصي بالحقِّ والتَّواصي بالصبرِ ضربَان من ضُرُوبِ البذل والعطاء وفقط، لا والله، بل هُما كالوقود الذي يُسيِّرُ الإنسانَ في رحلتِهِ تجاه الاقتداء بسيِّدِ الخلق، وهُمَا كالماءِ الَّذي يروي الحالمَ بالماءِ في صحراءِ العطش.

إنَّ الدَّعوة إلىٰ الله والتَّواصي بالحق ثُمَّ التَّواصي بالصَّبر، تطبيقٌ عمليٌ كي نستمطرَ نفحات الثَّبات في رحلةِ الرسوخ.

السَّاعي إلىٰ صلاحِ قلبه، والمُجاهد في عملِ الصَّالحات ثُمَّ المُتواصي بالحق والصَّبر، هو عاقلٌ يعي مُعادلةَ الفوز الكبرىٰ والنَّجاة من الخسارة العظيمة.

أسلمَ وجهه له وأحسن في إدراكِ وظيفتِه التي كرَّمه اللهُ بِهَا، العُبُوديَّة:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

أسلم وجهه لله وسلّم قلبَه لهُدىٰ القرآن ونور السُّنَّة، فلم

يدَّع ادعاءات بلا مُقوِّمات!

لم يَقُل: أنَا مِنْ أهلِ الجنَّة وقَدْ خُلِقَتْ لأجلِي، وقلبُهُ في الحقيقة لا يُسلِّم لتَصاريف الربِّ في خلقِه!

أسلمَ وجهُهُ لله وتأمَّل في تاريخِ مَنْ سَبَقَه، وسَعَىٰ إلىٰ الإحسان، كَيْ ينالَ رضَا الحكيم الخبير.

جَاهَدَ بقلبِه كَي يعبدَ اللهَ كأنَّه يراه.

عندما قال النَّبيُّ لجبريل: فأخبرْني عن الإحسان؟

قال: الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تَكُن ترَاه فإنَّه يرَاك.

يقولُ الحافظُ ابن رجب في نصٍّ نفيسٍ تعليقًا علىٰ هذا الجزء من الحديث: **قوله ﷺ، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك، قيل: إنَّه تعليل للأول، فإنَّ العبد إذا أُمر بمراقبةِ الله في العبادة، واستحضار قربه، حتَّىٰ كأنَّ العبد يراه، فإنَّه قد يَشُقُّ عليه ذلك، فيستعين علىٰ ذلك بإيمانه بأنَّ اللهَ يراه ويطلع علىٰ سرِّه وعلانيته وباطِنِه وظاهِرِه، لا يخفىٰ عليه شيءٌ من أمره، فإذا حقَّقَ هذا المقام، سَهُل عليه الانتقال إلىٰ المقام الثَّاني، وهو دوام التَّحديق بالبصيرة إلىٰ قربِ الله من عبده ومعيته، حتَّىٰ كأنه يراه.**

ولتبسيطِ هذا النص النَّفيس يُمكننا أن نقول: استحضار خضوع القلب لله، وكأنَّ العبد يرىٰ ربَّه .. أمرٌ صعب وقد يشق علىٰ كثيرٍ من الناس، فيكون السَّبيل هو: استحضار أنَّ اللهَ

يُراقبك، ويطَّلع علىٰ سريرتك؛ فَيَصْلُح قلبُك، وتستقيم جوارحك، وتخضع لله تعالىٰ وتُجاهد في كلِّ ما تفعله لأنَّه يراك، ومع المُداومة علىٰ ذلك، تصل إلىٰ المقام الأول، وهو عبادة الله كأنَّك تراه.

الادِّعاءات تُضعفُ النُّفوس وتجعلها مضطربة، وسبيل سواءِ النَّفسِ والاتِّساق مع الذَّات هو التَّشرف بالمُجاهدة للفوز وتحقيق المُعادلة الرُّباعيَّة.

الإيمان، العَمَل الصَّالح، التَّواصي بالحق، التَّواصي بالصبر.

كان المُؤمنون الأوَّلون ﭬ يعرفون عظم سورة العصر، وقد رُوي أنَّ الرجلين من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلَّا بعد أن يقرأَ أحدُهُما علىٰ الآخر سورة العصر ثُمَّ يُسلِّم أَحَدُهُمَا علىٰ الآخر.

وتَعبيرُ التَّواصي قويٌ لأنَّه للمُشاركة، فلا يكفي أن يلتزمَ الإنسانُ الحقَّ والصَّبر بنفسه، بل يَحْسُنُ أن يَسْعَىٰ النَّاس في مُعايشتهما، يَعْلَمَ الإنسانُ الحقَّ ويدعو غيرَهُ ويدعو النَّاس ويَصْبِر عليهم، وهكذا المُجتمع كله!

وفي رحلةِ التَّواصي بالحقِّ والتَّواصي بالصَّبر ستجدُ الكثيرين يُريدونك أن تحيدَ عن الطَّريق، حسدًا أو حبًا في نشرِ الشَّر، أو لأيٍّ هوىٰ من أهواءِ الدُّنيا!

يُريدونك أن ترجعَ عَن طريقِ الهدايةِ والثَّبات..

ولهؤلاء (شياطين الإنس) أسلحة يُواجَهون بِهَا، منها:

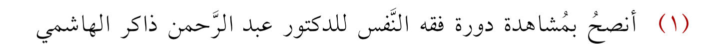
١- الدُّعاء والتَّضرُّع إلىٰ الله، وهو أعظمُ الأسلحة.

٢- البُعدُ عن مواطنِ الفتن.

٣- صُحبة الصَّالحين، وطلب علم فقه النفس حتَّىٰ يُعان الذي يبتغي الرُّسوخ علىٰ فهمِ نفسِه وفهمِ الآخر(١).

ونهايةً فطلبُ جنَّة اللهِ هدفٌ سام، يحسنُ أن نسعَىٰ إليه بقُلُوبِنَا مُستعينين مُشتاقين إلىٰ فضلِ اللهِ ورحمته مُحبِّين للآخر أن يهتديَ إلىٰ الخير، فاللهم اجعلنا من المُتواصين بالحقِّ وجنِّبنا جميعَ الفتنِ يا كريم.



(١) أنصحُ بمُشاهدة دورة فقه النَّفس للدكتور عبد الرَّحمن ذاكر الهاشمي

من أقوال الرَّاسخين

سألَ بعضُهُم شيخَ الإسلام ابن تيميَّة أن يُوصيه بما فيه صلاح دينِه ودُنياه، فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

أمَّا الوصيَّة فما أعلم وصيَّة أنفع من وصيَّة الله ورسوله لمن عقلها واتَّبعها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ووصَّىٰ النَّبيُّ ﷺ معاذا لمَّا بعثه إلىٰ اليمن فقال: «اتَّق اللهَ حيثما كنت وأتبع السيَّئة الحسنة تَمْحُهَا، وخالق النَّاس بخُلُقٍ حَسَن». فهذه وصيَّةٌ جامعة لِمَن عقلها، مع أنَّها تفسير للوصيَّة القرآنيَّة، أمَّا بيان جمعها فلأنَّ العبد عليه حقَّان: حقٌّ لله عَزَّوَجَلَّ، وحقٌّ لعباده، ثُمَّ الحقّ الَّذي عليه لا بدَّ أن يخلَّ ببعضهِ أحيانا، إمَّا بتركِ المأمور به أو فعل المنهيِّ عنه، وفي قوله ﷺ: «اتِّق الله حيثما كنت» تحقيق لحاجته إلىٰ التَّقوىٰ في السِّرِّ والعلانيَّة (وفي كُلِّ زمان ومكان)، ثُمَّ قال: «وأتبع السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحها» لأنَّه لمَّا كان الذَّنب للعبد كأنَّه أمر حتم كان الكيِّس هو الَّذي لا يزال يأتي من الحسنات ما يمحو به السَّيئات، وفي هذا إرشاد للخاصَّة والعامَّة بما يُخلِّص النُّفوس من ورطات الذُّنوب وهو إتباع السيِّئات الحسنات، ولمَّا قَضَىٰ الرَّسول ﷺ بهاتين الكلمتين حقَّ الله من عمل الصَّالح وإصلاح الفاسد، قال: «وخالق النَّاس بخُلُقٍ حَسَن» وهو حقُّ النَّاس، وأمَّا بيان أنَّ هذا كلَّه في وصيِّة الله فهو أنَّ اسم «تقوىٰ الله» يجمع فعل كُلّ ما أمر به الله به إيجابًا واستحبابا، وما نَهَىٰ عنه تحريمًا وتنزيها، وهذا يجمعُ حُقُوقَ الله وحُقُوق العباد.

﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

لمَّا نُسخَت القبلةُ قالت اليهود: إنَّ محمدًا يُحِلُّ لأصحابه ما يشاء ويُحرِّمُ ما يشاء؛ فنزلت تلك الآية **[زاد المسير لابن الجوزي]**

رحمةُ اللهِ وسِعَت كُلَّ شيء، فينسخُ الحُكمَ: أي يُغيِّره أو يَنسخُ الآية وحُكمَها ويزيلها من القُلُوب؛ فتُنسىٰ، فاللهُ الحكيم لَهُ تَمام الحكمة والعلم وكُلُّ أفعالِهِ لِحكمَة يعلمُها ولرحمةٍ يُريدُها بعبادِه، والإسلامُ أن تخضعَ لأمرِه وحكمتِه، عَلِمْتَها أو لَمْ تعلَمْهَا، فاللهمَّ ارزقنا تمامَ التَّسليم لأمرِك وحكمتِك..

النَّصارىٰ يدَّعون أنَّ الجنَّة لهم، واليهودُ يدَّعون ذلك، واللهُ يدعوهم للتَّوبة والإيمان؛ فالجنَّة بالعملِ الصَّالح، وليست بالأُمنيَّات.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قدير، جَاءَت الآيةُ للتَّقرير لا للاستِفْهَام، فربُّنا عظيمُ القَدْرِ واسعُ الحكمة، يفعلُ ما يُريد، وكُلُّ مَا يُريدُه خيرٌ وحكمة، ومَا لَنَا مِن دُونِ اللهِ مِن وليٍ يتولَّىٰ أمرَنَا، ولا ينصرُ أحدٌ أحدًا إلَّا بإذن الله!

﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

توبيخٌ لمَنْ يُريدُ أن يتّبعَ سنن بنِي إسرائيل في تَعَنُّتِهم وعنادِهم معَ نبيِّ اللهِ مُوسَىٰ، حيثُ قالَت قُريشُ للنَّبي: اجعلْ لَنَا الصَّفا ذهبًا ووسِّع لَنَا أرضَ مكَّة، فهل نسأل كَمَا سأل بنو إسرائيل موسىٰ، وقالوا: أرنَا الله جهرة!

نسألُ اللهَ تمامَ التَّسليم لآياتِه والانقياد لدِينِه!

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يَحسُدُون المؤمنين ولا يُحبُّون إيمانَهُم، ويُريدُون أن يفتنوهُم في دينِهِم، يحسدونَنَا لنزولِ الحقِّ علىٰ نبيِّنا الَّذي ذُكر عندَهُم في التَّوراة، تلكَ حالةٌ نفسيَّة تظهرُ عندمَا يرتبطُ الإيمانُ بوعودٍ وملَاحِم وعُلُو أمَمٍ علىٰ أخرىٰ، فالكلُّ يتصَارَع للعلوِّ في النِّهاية، والجميع يشتاقُ إلىٰ مهديهِ المُنتَظَر!

أمَرَ اللهُ بالعفوِ والتَّجاوز عنهم حتَّىٰ يأتي أمرُه، وقد أتَىٰ أمرُهُ بِقِتَالِهِم، واللهُ علىٰ كُلِّ شيء قدير؛ فلا يُعجزونه!

فائدة تفسيريَّة: قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طلْحَة، عنِ ابنِ عباس فِي قَولِهِ: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ نسَخَ ذلك قَوْلُه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وقَوْلُه: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

فنسَخَ هَذَا عَفْوَهُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. وكذَا قال أبو العَالِيَةِ،

والربيعُ بن أنس، وقَتَادَة، والسُّدِّيُّ: إنَّها منْسُوخَة بآية السَّيْف، ويُرْشِد إلىٰ ذَلِكَ أيْضًا قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [تفسير ابن كثير].

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

والنَّجاة في إقامةِ الصَّلاة وإيتاءِ الزَّكاة، ومن يُقدِّم الخيرَ يجدْهُ عندَ ربِّه، وسينعمُ في جنَّاتِ الخُلُود، فتأمَّل في تيسيرِ اللهِ سبل الخيرِ لعِبَادِه وفضْلِهِ عَلَيْهم.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

وقَالَت اليهودُ لَنْ يَدْخلَ الجنَّةَ إلَّا مَنْ كَانَ يَهُوديًا، وقالت النَّصارىٰ لَنْ يَدْخُلَ الجنَّة إلَّا مَنْ كَانَ نصرانيًا، يتمنُّون علىٰ اللهِ الأماني ويتمنُّون أن نَعيشَ فِي ظُلُمَاتِ الجهل، تبيَّنَ لَهُم الحقُّ ولكنَّهم يُصرُّون علىٰ الكفرِ بالله!

﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

يدخُلُهَا مَنْ ليسَ يهوديًا ولا نصرانيًا، يَدْخُلُ الجنَّةَ مَنْ أسْلَمَ وأخلصَ للهِ واتبَّع النَّبي .. الجنَّةُ لِمَن عَمِلَ الصَّالحات وتَرَكَ الحَسَدَ وطهَّرَ قلبَهُ .. الجنَّة لِمَن استسْلَمَ للخالِقِ الرَّازقِ الودُود .. أسْلِمْ لله؛ تَسْلَمْ وتحيَا سعيدًا في الدُّنيا والآخرة .. اللهم تفضَّل علينا بالجنَّة يا وهَّاب.

ومضات تُنيرُ الطريق

- الاستسلامُ للهِ سبيلُ الجنَّة، وليسَ بينَ عبْدٍ وبينَ اللهِ نَسَب!
- حبُّ الخير للآخرين سبيلٌ عظيمٌ لسلامةِ القلب.
- كُلُّ ما نُقدِّمُهُ من خيرٍ سنجدُ أجرَه -بفضل الله- عند ربِّنا، فلنُخلص للرب، ولنُتابع النَّبي.





على شيء!

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

- هذهِ هيَ الطَّريقة الوحيدة كي نمرَّ بالشَّركة من هذه الأزمة.

صَرَخَ جودَت أمام أخويهِ في غضب، كانُوا ثلاثة إخوة، جودَت وعصمَت وشوكَت، صفاتٌ مُتباينة وأهدافٌ مُختلفة، ورِثُوا شركتَهم من أبيهِم واختلفُوا كثيرًا في عَمَلِهم حتَّىٰ وقعَت الشَّركةُ في أزمةٍ كبيرة، وجاءَ الوقتُ الذي بلغَ فيه الخلافُ ذروته!

أجابَه شوكَت بعصبيَّة:

- **دائمًا تظنُّ أنَّك علىٰ صواب، والحقُّ أنَّ طريقتَكَ أَوْدَتْ بِنَا إلىٰ الهلاك!**

رَمَاه جَوْدَت بنظرةٍ ناريَّةٍ، وصَرَخَ في وجهِهِ:

- **أنتَ لا شيء، كُلُّ ما تقولُهُ لا شَيء، وكُلُّ اقتراحاتك الَّتي مرَّرتَهَا في شركتِنَا كانَت سببًا فيمَا نَحْنُ فيه!**

قَامَ شوكَت في غضبٍ شديد واتَّجَه إليه وكأنَّه سيضربه، ولكنَّه وَجَدَ عصمَت يقفُ بينهما، ويصرخ:

- كُفَّا عن صِرَاعِكُما، ليس هذا وقت صراع واختلاف، الشَّركة ستنهار!

هَدَأَت أنفاسُهُمَا بعض الشَّيء وجَلَسَ كُلُّ واحدٍ مَكَانَه، فاستغلَّ عصمَت زيارةَ الهُدُوء الغُرفة، وسارَعَ قائلًا:

- ليُدلي كلُّ واحدٍ بدلوه.

نَظَرَ إليه جودَت في اهتمام، قال:

- المسجد.

ابْتَسَمَ شوكَت ابتسامةً ساخرة، قال:

- هل تُريدُنا أن نصلِّي في المسجدِ كَي يرفعَ اللهُ الغُمَّة؟

قالَ عصمَت مُقاطعًا وسوسةَ الشَّيطان قبلَ أن يُشعلَ المعركةَ بينهُمَا مرةً أُخرىٰ:

- ما الذي تقصده بالمسجدِ يا جودت؟

جَوْدَت: الشَّركة تحتاجُ إلىٰ استغلالِ مساحةِ المسجدِ في زيَادةِ الإنتاجِ وتعويضِ الخَسارة التي نحنُ فيها.

شَوكَت: وكيفَ سنستغل مساحةَ المسجد؟

لم يلتفتْ إليه جودَت، وتوجَّه إلىٰ عصمت قائلًا:

- سنأخذُ قرضًا من البنكِ ونشتري ماكينات جديدة، ونُنشئ خطَّ إنتاجٍ جديد.

دَارَ عصمت بعينيهِ في وَجْهَيْهِمَا، صاحَ بغضب:

- مَاذَا تقُولَان؟ المسجد؟ الشَّيء الوحيد الصَّحيح في شركتِنَا نُغلِقُه؟ لعلَّ اللهَ يُبقي علىٰ الشَّركة حتَّىٰ الآن بسبب دعوات العمَّال وصلاتهم!

أنتما تهذيان فعلًا!

قالَهَا عصمت وغادَرَ الحُجْرَة، مُخلِّفًا وراءه غضبًا عارما!

. . . .

- ماذا بِكَ يا عصمت؟

سألت سلمىٰ زوجَهَا عن حالِه بصوتٍ مليء بالتَّوتر..

فالتفتَ إليها قائلًا:

- جودَت وشوكَت يهدِمَان كُلَّ شيء، وكُلُّ منهما يَظَنُّ أنَّه علىٰ شيء.

ربَتَت علىٰ كَتِفِه في حنان..

- اصبِرْ يا عصمت، اصبِرْ مِنْ أجْلِ شركة أبيك ورزق أولادك.

- لم أَعُدْ قادرًا علىٰ الصَّبر، سوف أُصفِّي أعمَالِي وأهُاجر إلىٰ أي بلد.

نظَرَت إليه متعجبة، سألته:

- تُسافِر وتترك شركتك؟ تُسافر وتتركنا؟

- الشَّركة ستنتهي طالما يُدار الأمرُ فيها بهذا الشكل، وأنتم ستُسافِرُون معي.

- نُسافرُ مَعَكَ إلىٰ أين؟

- الأرضُ أرضُ الله، والرزَّاق يرزقُ العبادَ في كُلِّ مكان.

- وهل فكَّرتَ في هذا القرار جيدًا؟

- الخُرُوجُ مِنْ هَذَا الجحيم لا يحتاجُ إلىٰ عميقِ تفكير.

صمت قليلًا ثم قال:

- سأذهبُ الآن إلىٰ النَّوم، أَنَا مُنهكٌ جدًا.

. . . .

- يا عَم مُحمَّد..

صفَّق جَودَت بيديه ونَادَىٰ علىٰ إمامِ المسجد، فهَروَلَ إليه الأخير ووَقَفَ ببابِ المسجد صائحًا:

- أهلًا أهلًا يا جَوْدَت بك، تفضَّل في بيتِ الله، نوَّرت يا بك.

نَظَرَ جودَت من الخارجِ إلىٰ المسجد، دارَ بعينيه داخله، وسأل الإمامَ:

- لا لا يا عم محمد، لَنْ أُطِيلَ عَليْك، كَمْ يومًا نحتاجه كَيْ نَحْمِلَ مُتعلَّقات المسجد من سجَّاد ونَجَف وخلافه؟

- اللهمَّ بارك يا بك، هل ستُجدِّدُونه؟

- أجِبْني يا عم محمد.

نَظَر إليه مُتعجبًا، قال:

- العُمَّال كثيرون يا بك .. لن نأخذَ وقتًا.

نَظَرَ جودت داخلَ المسجد مرةً أخرىٰ، قال:

- حسنًا يا عم مُحمَّد، انتظرْ حتَّىٰ أطلبَ منك إزالةَ المُتعلَّقات، إلىٰ اللقاء.

تَرَكَ جودَت عم محمَّد، ولاحَقَه الأخيرُ بنَظَرَات كلها تساؤلات!

. . . .

- أريدُ أن أُصفِّي نصيبي، وأُسافرَ إلىٰ الخارج.

صَدَمَ عصمت أخويه بعبارتِه، فنَظَرَ بعضُهما إلىٰ بعضٍ في قلق، وسادَ الصَّمتُ الغرفةَ بُرهةً من الوقت ثُمَّ بادرَ شوكت قائلًا:

- ولماذا هذا التَّسرع؟ انتظرْ حتَّىٰ نُطبِّقَ فكرةَ إشغال المسجد، ولعلَّ أوضاعَ الشَّركة تتحسَّن.

رَمَقَه عصمت بنظرةٍ غاضبة، صَاح:

- أتظنُّ أنَّ المسجدَ سيُزال وأنَا في هذه الشَّركة؟ أعتقد أنَّ هذا الفعل سيكونُ نهاية ما بيننا.

جودَت: هل تُهدِّدُنَا يا عصمت؟

عصمت: لا أهدِّدُ أحدًا، **أنتما مَنْ تُهدِّدَان حياتَنا وتُفسِدَان دينَنَا وتقطَعَان رَحِمَنَا.**

كلٌ مِنْكُمَا لا يُريدُ أن يعودَ إلىٰ صَوَابِه..

كلٌ منكما يُعاندُ الآخرَ ويُسَّفِهُهُ ويحكمُ عليه بأنَّه: لا رأيَ لَه ولا دور لَه في الشَّركة.

كلاكما تعلمان أنَّنا إخوة وأنَّ صِلتَنَا واجبة وتعاونَنَا لازم،

وأنَّ وصيةَ أبيكم كانت: تعاونُوا من أجلِ نجاحِكم ونجاحِ الشَّركة، ولكنكُما تَتَجَاهَلَان الوصيَّة وتُسفِّهان بعضَكُمَا، والنَّتيجة ستكونُ نهايةَ الجميع؛ فَهَلْ أنتظرُ حتَّىٰ أهلكَ مَعَكُم؟

جَودَت: انتهيت؟

ردَّ بحُنُق:

- نَعَم، انتهيت.

جودت: حسنًا يا عصمت، وإلىٰ أينَ ستذهب كَيْ لا تهلك معنا؟

عصمت: قلتُ لكَ قبل ذلك، أرضُ اللهِ واسعةٌ، واللهُ يرزقُ في كلِّ مَكَان.

شَوْكَت: لن يُجبرَكَ أحدٌ علىٰ شيء يا عصمت.

ابتَسَمَ عصمت ابتسامةً ساخرة، قال:

- عجيبٌ ألَّا تجتمعا إلَّا علىٰ الخراب، لم تُحاولا أن تُثْنِيَانِي عن الرَّحيل، والرَّأي الوحيد الَّذي اجتمعتما عليه هو هدم المسجد.. هداكُمَا الله.

وغَادَر الغُرفة في غضب!

. . . .

ومَاذَا حَدَثَ بعد ذلك يا والدي؟

سَأَلَ مُحمَّد أبَاه عصمَت وعينا الأخير تلتمعُ فيهما دموعُ الذِّكرياتِ الحزينة!

فَرَكَ عصمَت عينيه، ونَظَرَ إلىٰ ابنِهِ المهندس مُحمَّد في امتنان، قال:

- جَاءَ (اللودر) كَيْ يَهْدِمَ المسجد، ووَقَفَ عمَّاك أمَامَه كي يُشاهدا أحجارَه تَتَسَاقَط، ولكنَّ العُمَّال ثارُوا ثورةً عارمة؛ لم يتقاضوا رواتبهم لستةِ أشهرٍ كاملة ومسجدهم يُهدم أمام أعينهم وعلموا بخروجي من الشَّركة!

هاجَمهُما أكثر من خَمْسِمَائة عامل ودَهَسُوهُمَا تَحتَ أقدَامِهِم؛ فَلفظَا أنفاسهما الأخيرة!

والآن أنَا وأنتَ في المسجِد وسنصعَدُ لتجلسَ علىٰ كُرسي رئيس مجلس الإدارة..

سامحهما الله!



﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البَقَرَة: ١١٣-١١٩].

راسخٌ مُعظمٌ لبيوت الله

إنْ لَمْ تُصلِّ في المسجد، فلا تَحْرِم نَفْسَكَ من الشَّوق إليه.

هل سعيتَ في هدمِ مسجدٍ كصاحبِ القصَّة؟

هل مَنعْتَ المُصلِّين من الصَّلاةِ والذِّكر في بيتِ الله؟

يقينًا طَالَمَا تقرأ كتابًا يَدْعُو إلىٰ الثَّبات، ويسردُ آياتِ القُرآن العَظيم بمعانيها، فَلَن تكونَ مِنْ هؤلاء.

وثَمَّة سُؤالٌ آخر:

هل نُدرِكُ قيمةَ المسجدَ؟ قيمة بيت الله؟

يقول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

وفي آيةٍ أخرىٰ:

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾.

فتأمَّل نسبةَ البيتِ إلىٰ مَن، ومَن الذي أَذِنَ أن يُذكرَ اسمُهُ في بيتِه؟

إنَّه اللهُ العظيم!

ثُمَّ اقرَأ ثناءَ الله الكريم علىٰ مَن يُعمِّر مساجدَه:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

اللهُ الكريم يَصِفُ مَنْ يُعمِّر مساجِدَه بالخشيَّة والتَّقوىٰ، فَهَلْ بَعْدَ ذلك فَضْل؟

واقرَأ عَن فضلِ المساجِد في سُنَّةِ سيِّد الخلق ﷺ **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَىٰ اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَىٰ اللهِ أَسْوَاقُهَا»**. [أخرَجَه مسلم]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«الْمَسْجِد بَيتُ كُلّ تَقِيّ»**.

وأوَّل عَمَلٍ قامَ بِهِ النَّبي ﷺ بعد هجرتِه بناء مسجد قباء، وهو أوَّل مسجد بُني في المدينة وتدبَّر في ثوابِ بناءِ المَسْجِد:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ بَنَىٰ لِلهِ مَسْجِدًا، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، بَنَىٰ اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»**.

[صحيح التَّرغيب والترهيب]

أمَّا عن فضلِ الصَّلاة في المسجد وفضلِ الذِّهاب إليه، فاجلسْ في حُجرتِكَ مُنفَرِدًا، واكتبْ في ورقةٍ صغيرَّة، لماذا لا أُصلِّي في المسجِد؟

ثُمَّ اقرأ هذِه الأسئلة والأحاديث التي تليها.

- لماذَا لا نُصلِّي في المسجِد؟

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا وَرَاحَ»**. [رواه البخاري ومسلم]

لماذا لا نَسْعَىٰ في تَعَلُّقِ قلوبنا بالمساجِد؟

فعن أبي هريرةَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبادة الله تعالىٰ، ورَجُلٌ قَلْبُه مُعَلَّقٌ بالمساجد، ورَجُلانِ تَحَابَّا في الله: اجْتَمَعَا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورجلٌ دَعَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فقال: إِنِّي أَخاف الله، ورجلٌ تصدَّق بصَدَقَةٍ فأَخْفَاهَا حتَّىٰ**

لا تَعْلَمَ شِمَالُه ما تُنْفِقُ يَمِينُه، ورجلٌ ذَكَرَ الله خاليًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»
[متَّفقٌ عليه]

لماذا لا نُقدِّر ثوابَ الصَّلاة في المسجد؟

رَوَىٰ أحمدُ وأبو داود -وحسَّنه الألباني والأرناؤوط -عن أبي أمامة ﵁ **قال: قال رسولُ الله ﷺ**: «**مَن خَرَجَ من بَيْتِه متطهِّرًا إلىٰ صلاةٍ مكتوبة، فأجرُه كأجر الحاجِّ المُحْرِم**».

هل تُريدُ أنْ يُحبَّك الله؟

رَوَىٰ ابن خزيمة -وصحَّحه الألباني- عن أبي هريرة ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ **قال**: «**لا يتوضأُ أحَدُكُم وضوءه، ويسبغه ثُمَّ يأتي المسجد لا يُريد إلَّا الصَّلاة فيه، إلَّا تبشبش اللهُ إليه كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته**».

وهُناك آيات وأحاديث وآثار كثيرة، تحثُّنا للسَّعي كَيْ نعودَ إلىٰ بيوتِ ربِّنا، ولعلَّ الحديثَ الأخيرَ خَيْرُ مَا نختمُ بِه.

فَهَل نَزْهَدُ فِي فَرْحَةِ اللهِ بِذِهَابِنَا إلىٰ بَيْتِه؟

اللهُمَّ علِّق قُلُوبَنَا بِكَ وببَيْتِك ..




من أقوال الراسخين

✍ قالَ ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في المُحافظة علىٰ الجماعةِ (في الفجر والعشاء خاصَّة).

«انتظام الألفة بين المتجاورين في طرفي النَّهار، وليختموا النَّهار بالاجتماع علىٰ الطَّاعة ويفتتحوه كذلك».

✍ عن سالم قال: سمعت أمَّ الدَّرداء تقول: «دَخَلَ عليّ أبو الدَّرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله، ما أعرف من أمَّة محمَّد إلَّا أنَّهم يصلُّون جميعا».

✍ قال ابنُ حجر: يصلُّون جميعا: أي مُجتمعين. قلت: كان هذا في آخر عهد عثمان فما بالنا بحالِهم اليوم!

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.

اليهودُ يتَّهمون النَّصارىٰ بالضَّلال، والنَّصارىٰ يتِّهمون اليهودَ بالضَّلال، يتِّهم كُلُّ فريقٍ الآخر بأنَّه ليسَ علىٰ شيء، وعندهم في كُتُبِهم تصديق مَا كَفَرُوا به، وكذلك كَفَرَ الَّذين لا يعلَمُون مِنْ مُشْرِكِي العرب، وقالُوا لصاحبِ الدِّين الحق: لستَ علىٰ شيء،

وذلك نتيجة الإعراض عن الهُدىٰ . . فسادُ القلبِ والهروب من البَيَان واتِّهام الآخرين بالسُّوء، والله يحكمُ يومَ القيامةِ بينَ الجميعِ فِيمَا اختَلَفُوا فيه، ولا يفوزُ إلا مَنْ أسْلَمَ وآمَنَ بِكُلِّ مَا أنْزَلَه الله.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ولَا يُوجد أظلم ممَّن مَنَعَ روَّادَ المساجد من دُخُولِها، ووقف في طريقِ بَيَانِ الحقِّ والدَّعوة إلىٰ الله، ولا يُوجد أظلم ممَّن خرَّب المساجدَ وهاجَمَهَا من الرُّوم أو من أيِّ أمة، ما كانَ لَهُم أن يدخلُوا مساجدَ الله إلَّا خائفين؛ لما هُمْ عليه من الكُفر والصَّدِّ عَنْ سَبيلِ الله، لَهُم في الدُّنيا ذُلٌّ وهَوَان، ولَهُم فِي الآخرةِ عذابٌ عَظِيم، وبقوةِ المُسْلِمين وجهادِهِم لا ينالُ الكُفَّارُ مِنْ بيُوتِ الله، فمَنْع العِبَادَّة وتخريب بيوتِ الله إفسادٌ للحَيَاة، وجريمة عظيمة، وصدٌّ عَنْ سَبِيلِ الله!

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

القِبلة . . تلكَ الجهة التي تَهفُو إليها القُلُوب، أيْنَمَا تتَّجه فذاكَ وجهُ اللهِ الكريم، ولا حَرَج لِمَن جَهِل القبلةَ أنْ يسألَ عنها، فإنْ لَمْ يعرفْهَا فليُصل وفقَ ظنِّه الغالب، وكانَتْ اليهُودُ قد تكلَّمت في أمر تحويلِ القبلة؛ فبيَّن اللهُ تَعالَىٰ أنَّه يفعل مَا يشَاء، ويُبدِّل

القبلةَ كَيْفَمَا يَشَاء، ويأمرُ عبادَهُ بِمَا يَشَاء .. ربٌّ غفورٌ رحيمٌ ودينُهُ يُسْرٌ ورحمة.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

وقَالَت اليهودُ: عُزيرٌ ابنُ الله، وقالت النَّصارىٰ: المسيحُ ابن الله، وقال المُشركون: الملائكةُ بناتُ الله، والكلُّ عبيدٌ لله اختيارًا وقهرًا والكلُّ خاضعٌ لأقدارِ اللهِ الكامل الَّذي لا يحتاجُ إلىٰ أحد، سُبحَانَهُ وتَعالَىٰ عَمَّا يصِفُون.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

واللهُ مبدعُ السَّمواتِ والأرض خالِقهُمُا علىٰ غيرِ مِثَال، إذا أرادَ أمرًا قالَ لَهُ كُنْ فَيكُون، فَكُلُّ شَيْءٍ موجُودٌ في علمِ الله وبِكُن يكون ويَظْهَرُ للخَلْقِ عَيَانا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

ويُطالِبُون بالمُعجزة ظاهرةً أمامَهُم بسُوءِ أَدَبٍ مَعَ العظيم (لولا يُكلِّمنا اللهُ أو تأتينَا آية) كَذَلِكَ قَالَ الَّذين لا يَعْلَمُون من اليَهُود والنَّصارىٰ، وكذلكَ قَالَ الكافِرُون من الأممِ التي سَبَقَتْهُم، قُلُوبُهُم تَتَشَابَه فِي كُلِّ زَمَانٍ ومَكَان، وينتفعُ بآياتِ الله مَنْ يُوقِنُ وَلَا يَشُكُّ ويُعَانِد!

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

أرسلَ اللهُ نبيَّه بالحقِّ .. كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ حق، يُبشِّرُ مَنْ أطَاعَ، ويُنذرُ مَنْ أعْرَضَ ومَا عليه إلَّا البلاغ .. فَقَط البَلَاغ، ومَن اهتَدَىٰ فلنَفْسِه، ومَنْ ضَلَّ فعَلَيْهَا، فلَا يحزنُ أحدٌ لضلالِ أحد، ولا يتحسَّرُ أحدٌ عَلَىٰ ضياعِ الآخَرِين، فاللهمَّ اجعَلْنَا مِنَ الفَائِزِين واكتُبْنَا فِي المُهْتَدِين.

ومضات تنير الطريق

- دينُنَا يُسرٌ لِمَنْ فَقِهَ أحْكَامَه.
- الأممُ كلُّها تتَصَارَع كَيْ تَعْلُو عَلَىٰ بعضِهَا، فأين نحنُ منهم!
- الصَّلاة والزَّكاة فيهما طَهَارة القلبِ ثُمَّ النَّجاة.
- الدَّاعية يُبلِّغ، وليسَ عليه هداية النَّاس.





الرِّضا الخبيث!

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

امتلأَ منزلُ مُحمَّد ناجي بالزَّغاريد احتفالًا بخروجِهِ من السِّجن، كان قَدْ قَضَىٰ عشر سنوات في تُهمةٍ لم يَرتكبْها، وجَدُوا في بيتهِ كميَّة كبيرة من المُخدِّرَات، ولم يَسْتَطِعْ أَنْ يُبرئ نفسه، حُكم عليه بعشر سنوات في جريمة لم يكن له فيها أي دور!

كان مُحمَّد ناجي رجلًا محبوبًا في قريته، معروفًا بالصَّلاح والتَّقوىٰ، كثيرًا ما كان يَفْصِلُ بين النَّاس ويُصلح بينهم، كان عالمًا بفروع الشريعة، تقيًا يُواظب علىٰ الصَّلاة في المسجد، ويُنفق ممَّا آتاه الله. نزلَ خبرُ القبضِ عليه في قضيَّة المُخدِّرات علىٰ أهلِ القرية كالصَّاعقة، حتَّىٰ أنَّ أهلَ القرية فوَّضُوا مُحاميًا كي يُدافع عنه في قضيَّته، ولكن المُحامي لم يَنْجَحْ في الحُصُولِ علىٰ البراءة، خرج مُحمَّد بعد ثلاثة أرباع المُدَّة لحُسن سلوكه، وخرجَ كمَا دَخَلَ لم يتغيَّر فيه أي شيء، أخلاقه وابتسامته هي هي، غير أنَّ هُناك شيئًا زادَ عليه لم يكن موجودًا عند دخوله السجن، شَابَ شعرهُ وزاده الشَّيب حكمةً وجاذبيَّة!

كان محمدٌ مُتوسطَ الطُّول، أبيض البشرة، مُنير الوجه،

ابتسامة شفتيه لا تُفَارِق وجهَه، عيناه لامعتان لم تُطفئ نورهما سنوات السِّجن، الذَّكاء يظهر فيهما ويزيدهما تألقًا!

تأمَّلته زوجته بعينين تفيضان حُبًا، قاطعَ صوتَها ضجيجُ الاحتفالِ الذي يملأ أذنيه:

- أنرتَ بيتك يا أبا عبد الله، عادَ النُّور إلىٰ بيتِنا يا حبيبي.

ردَّ ممتنًا لترحيبها:

- البيتُ مُنيرٌ دائمًا بكِ يا غالية، شكرَ اللهُ لكِ صبرك وثباتك ورعايتكِ للأولاد!

ابتسمَت ابتسامةً خجولة وقاطعتهما أختُهُ بصوتٍ كُلُّه فرح:

- هناك ضيفٌ في المضيفة يُريد أن يَرَاكَ يا مُحمَّد.

- مَنْ يا مُنىٰ؟

- لا أدري يا حبيبي، رجُلان يُريدان أن يلتقيَا بك الآن، يُمكنني أن أطلبَ منهما الحضور في وقتٍ آخر.

- لا، سأذهب لأرَىٰ مَن الضَّيفان، لعلَّهما يُريدان شيئًا مهمًا.

استأذنَ مُحمَّد ناجي زَوْجَتَهُ بلُطف وذهب ليُقابل ضيفيه.

. . . .

- كفَّارة يا حاج محمَّد.

استقبلَ الرجلُ محمدًا مع ابتسامةٍ غريبة، كانَ رجلًا ضخم

الجُثَّة ذا شاربٍ طويل يُذكِّرك بخُطِّ الصعيد، ومعه رجل آخر وكأنَّه توأمه!

مدَّ مُحمَّد يدَه إليهم في هُدوء، ودعاهُما إلىٰ الجلوس.

- أهلًا بِكُما، ما الخدمة الَّتي أستطيعُ أن أُقدِّمهَا لَكُمَا؟

تبادلَ الرَّجُلَان نظرةً ذاتَ مغزىٰ، قال الأوَّل:

- مَعَك المعلم نُصْحِي، نَحنُ هُنَا بخصوص الأمانة التي قُبض عليك بسببِهَا.

لَمْ تتغيَّر ملامحُ مُحمَّد، وراحَ يتفرَّسُ وجهه.

- هي مع الحُكومة الآن، هل تَخَصُّكُما؟

المعلم نُصحي: الأمانة كانت مع أحد رجالنا، وكُنَّا ننتظر أنْ يعودَ بثَمَنِهَا.

محمَّد: والمطلوب؟

المعلم نُصحي: **أنْ تعملَ مَعَنا، نحنُ لَنْ نُفتِّشَّ في القديم، ولن نسألكَ عن علاقتك برجلنا، ولكنَّك الآن بريء وسمعتك جيَّدة في البلد، ونُريدك أن تتعاونَ معنا.**

مُحمَّد: المنطقي أن أسألك أنَا: مَنْ هذا الرجل، وكيف دَخَلَتْ أمانتُكَ بيتي؟

المعلم نُصحي: أولا تعرفُ حقًا؟

مُحمَّد: لست مطالبًا بإقناعك، صدِّق أو لا تُصدِّق، كما تشاء.

المعلم نُصحي: قُلتُ لك لَنْ أُفتِّش في الماضي، عليك أن تُشَاركَنَا، وإلَّا سيحدث ما لا يسرُّك.

بَدَأ الغضبُ يتسلَّل إلىٰ ملامح محمَّد، قال:

- هذا تهديد؟

المعلم نُصحي: عدَّه كما تشاء، **تنال رضَانَا وأمانَنَا بسلوكِ طريقِنَا**، وإلّا..صَمَت بُرهةً ثم قال:

وإلَّا فبُؤس الماضي قد يَعودُ إلىٰ الحَاضِر!

نَظَرَ المعلم نصحي إلىٰ محمَّد في تحدٍ ووضع ورقةً علىٰ المنضدة التي أمامه، قال:

- عندما تصل إلىٰ قرار؛ هَاتِفْ هذا الرقم.

والتفت إلىٰ مُرافقه، قال:

- هيَّا بنا.

وتابعهما محمَّد بنظراتٍ خاويةٍ من أي شيء!

. . . .

جَلَسَت مُنيرة مع زوجِهَا مُحمَّد في رَدهةِ المنزل بعد ذهاب الضيوف، وشعرت بتغيُّرٍ في ملامحه، سألته بقلق:

- ما الأمر يا محمَّد؟ تَغيَّرَ وَجْهُكَ بعدَ لقاءِ الضيوف!

قال بصوتٍ واجم:

- لا يُوجد شيء يا مُنيرة، عندهما مُشكلة، وأنتِ تعلمين

أنَّني مُنشغل بمشاكل النَّاس . .

أعدِّي لَنَا الطَّعام، وسأقرأ في المصحف حتَّىٰ تنتهي من إعداد العشاء.

قالت بحنان:

- دقائق ويكون الطَّعامُ جاهزًا يا حبيبي.

ذَهَبَت إلىٰ المطبخ كَيْ تُجهِّزَ طعامَ العشاء، وتناول محمدٌ مصحفَهُ وبدأَ في سَرْدِ آيات القرآن حتَّىٰ وَصَلَ إلىٰ آية:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

تأمَّل في الآية بعضَ الوقت، وتذكَّر كلمةَ المعلم نصحي:

«تنال رضانا وأماننا بسلوك طريقنا»!

صَدَقَ اللهُ الحَكِيم، **لن يرضىٰ عنك الآخر حتَّىٰ تَسِيرَ علىٰ هواه، وهواه يُخالف ما تهواه!**

رفعَ وجهَهُ إلىٰ السَّماء في خُشُوع، وتضرَّع قائلًا:

اللهُمَّ ثبِّتني علىٰ ما تُحبُّ وترضىٰ يا الله.

عَادَ إلىٰ مصحفه وقرأ الآية الكريمة:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

دَعَا الله أن يَجْعَلَهُ مِنَ الَّذين يتلون الكتابَ حقَّ تلاوته، ويعملون بما فيه ثُمَّ أغلقَ مصحفه، ومال بجسده كَيْ يرتاح من عناءِ اليومِ الطَّويل!

. . . .

- أريدُ أن أقابلَك يا معلم نصحي.

هَاتَفَ محمَّد ناجي المعلم نُصحي في اليومِ التَّالي، فردَّ الأخير عليه، قال:

- المُقابلة علامة الرِّضا يا حاج محمد؟

- متسرعٌ أنت يا معلم نصحي، دعنا نتقابل أولًا، ونرىٰ ماذا سيحدث.

ضحك نُصحي ضحكة طويلة، ثم قال:

- سأرسل إليك من يأتي بك إلينا يا حاج محمد، إلىٰ اللقاء.

. . . .

نَزَلَ محمَّد ناجي من السيَّارة التي جَاءَت به في فضاءٍ واسعٍ وسط الجبال، كانَت الجبالُ تُحيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ مكان، وجَاءَت سيَّارة أُخرىٰ وَقَفَت بجَانِبه نَزَل منها المعلم نُصحي وبجانبيه رجلان من رجاله.

- أهلًا يا حاج محمد، منوَّر الجبل.

- أهلًا يا مُعلم نُصحي، أَلَا تستطيع السَّير دون رجال.

ضَحَكَ نُصحي ضحكته الطويلة، وقال:

- أنتَ تعلم يا حاج محمد، لزوم الشُّغل.

اقترَبَ منهُ حتَّىٰ كَادَ وجهُهُ يُلاصق وجهَ محمَّد، وقال:

- مُبارك نيل رضانا يا محمَّد، لقد اخترتَ الطَّريق الصَّحيح.

لم يَبْدُ علىٰ وجهِ مُحمَّد أيَّ انفعال، وردَّ:

- مَنْ سيُسلِّمُنِي البضاعةَ يا معلِّم؟

ابتسمَ نُصحي في خُبث، قال:

- البضاعة الغاليَّة تحتاجُ زيارة غاليَّة يا محمد، سأزورك وأسلِّمك بنفسي!

كم تطلبُ في هذه العملية؟

نَظَرَ إليه محمَّد بوجهٍ جامد، وردَّ مباشرة:

- ٣ مليون جنيه.

اتَّسعَت عينا نصحي باصطناع، قال:

- الله الله! داخل بثقلك يا محمَّد، وأنت تستحقهم، شريك أمين ورجل بركة.

قالها وأطلقَ ضحكةً طويلة ثُمَّ قال:

- الجُمعة بعد العشاء يا محمَّد، ولا داعي لتكلفة المدام.. سيعود بك السائقُ إلىٰ المكانِ الذي تُريده.

ركب مُحمَّد السَّيارة وانطلقت به، بينما يُتابعها نُصحي بنظراته، استقلَّ الأخير سيَّارته وانطلقَت به مُخلفةً الكثير من الغبار الذي امتزج بصوتِ ضحكاته الطَّويلة.

. . . .

- هذه مليون ونصف مقدَّم يا محمد، والباقي بعد تسليم البضاعة.

جَلَس نُصحي في حُجرةِ الضُّيوف أمامَ محمَّد ناجي، ووضعَ حقيبتين أمَامَه، الأولىٰ تكتَّظُ بمُخدِّر الهيروين، والثانيَّة تَتَزَيَّن بالمال.

نَظَر محمَّد إلىٰ الحقيبتين في هدوء، قال:

- ومتىٰ سيأتي المُستلم؟

أجاب نصحي:

- لا تَقلقْ سأهُاتفه الآن أمامك.

أخرجَ المعلم نُصحي هاتفَهُ واتَّصلَ بمَنْ سيتسلَّم البضاعة وأخبرَه بموعد التَّسليم، ثُمَّ أغلقَ الهاتفَ وقال وعلىٰ وجهه ابتسامة ظفر:

- مُبارك يا محمَّد، سلكنًا نصفَ الطريق بسلام.

وما إن انتهَىٰ مِن جُملتِهِ، حتَّىٰ اهتزَّ بابُ الحُجرة ونافذتها، وفُتِحَا بقوَّة ودخل الكثيرُ من الجنود يتقدَّمهم ضابطُ شُرطة، دخَلَ ونَظَرَ إلىٰ المعلِّم نُصحي مُبتسمًا ابتسامة ساخرة، قال:

- أخيرًا يا نُصحي، أتْعَبْتَنَا يا رجل!

اتَّسعت عينا نُصحي في ذُهُول، شرَعَ في مُهاجمة محمَّد صارخًا:

- فعلتها يا ...

أدركته الجنود قبل أن يسبَّ محمدًا، وساقُوه إلىٰ الخارج.

التفتَ الضَّابطُ إلىٰ محمَّد ناجي مبتسمًا، قال:

شُكرًا يا حاج محمَّد علىٰ تعاوُنِك معنا، القسم الفنِّي راقبَ المُكالمة ولعلَّ الآخر الآن في قبضةِ جنودنا، شكرًا مرة أخرىٰ يا حاج محمَّد وسأنتظرك غدًا في القسم لاستلام المُكافأة..

ابتسمَ مُحمَّد ابتسامةً واسعة، وجَلَسَ علىٰ كرسيِّه في سعادة وأخذ نفسًا عميقًا، وتَلَا قول الله تعالىٰ:

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾.



﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: ١٢٠-١٢٦].

راسخٌ يُقدِّم رضَا الله على الجميع

جَاءَ من حديث المُنيذر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قالَ إذا أصبح: رضيتُ بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ ﷺ نبيًا؛ فأنا الزَّعيم لآخذنَّ بيدِهِ حتَّىٰ أُدخِلَهُ الجنَّةَ**» [رواه الطبراني، وحسَّنه الألباني]

📖 رضيتُ بالله ربًّا ..

ومَا مَعْنَىٰ الرب؟

«الربُّ: هو المُربِّي جميع عباده بالتَّدبير وأصناف النِّعم، وأخصُّ من هذا تربيته لأصفيَائِه بإصلاحِ قُلُوبِهِم وأرواحِهِم وأخلاقهم؛ ولهذا كَثُرَ دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل، لأنَّهم يطلبون منه هذه التَّربيَّة الخاصَّة . . .» انتهىٰ. [**(تيسير الكريم الرحمن) للشيخ عبد الرحمن السَّعدي**]

فهل نَتَعَامل مع الله ربِّنا علىٰ أنَّهُ يُدبِّر لنَا جميعَ أمورِنَا ويُنعم علينا بكُلِّ النِّعم، ويُصلح أحوالَنَا وأخلاقَنَا، فندعوه صباحَ مساء: يا رب ارزقنا، يا رب أصلح أحوالنا، يا رب احفظنا؟

عندما تستيقظ وتقول: الحمدُ للهِ الذي أحيانَا بعدمَا أماتَنَا وإليه النُّشور، تطمئنُّ للربِّ العظيم الذي أحيَاكَ وكَتَبَ لَكَ فُرْصَةً جديدةً كَي تتقرَّب إليه وتَنْعَم بطاعَتِه، تُقْبِلُ علىٰ الحياةِ بحُسْنِ ظَنٍ وتَوَكُّل، وتَعْلَمْ أنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُقدَّرٌ مِنَ الله؛ فتُقبِلُ عَلَىٰ الآخِرةِ وتأتِيكَ الدُّنيا وَهِيَ رَاغِمة!

هذا القيامُ اليَومِي من الموتِ الأصغرِ إلىٰ الحياةِ مِنْ جَدِيد، مَعَ ذلكَ القلب الذَّاكر لربِّه، اعترافٌ بِرُبُوبيَّةِ الله، اعتقادٌ عَمَليٌ بِخَلْقِ اللهِ وتدبيرِه وقَهْرِه وحِكْمَتِه!

رضا وتسليم للربِّ وجميع أقدَارِه..

إقبالٌ عَلَىٰ عُبُوديَّتِه، وصِدْقٌ فِيهَا، فلا تَتوكَّلْ إلَّا عَلَيه، ولَا تَخَافُ إلَّا مِنْه.

الخالقُ المُدبِّر الحَكَم العَدْلُ، فَهَلْ لَو اجْتَمَعَ العالمُ كُلُّه يستطيع أن يُغيِّرَ شيئًا قد كَتَبَه اللهُ لكَ أو عَلَيْك؟

إنَّ الرَّاسخَ عندما يَرْضَىٰ باللهِ ربًا لا يهمه إلَّا رضَا ربه..

فمَهْمَا مَلَكَ مَنْ حَوْلَه، فَربُّه مالك السَّموات والأرض وبيدِهِ الرِّزق.

ومَهْمَا قَوِيَ أعْدَاؤُه، فَربُّهُ القوي ولَا يَضرُّونَهُ شيئًا إلَّا بإذنِ الله.

ومَهْمَا كَادَ لَهُ الكَارِهُون، فربُّه الحفيظُ الكريمُ الَّذي يردُّ كيدَ الكائِدِين.

وعند تلكَ الحالة الإيمانيَّة، يكونُ رضا الله هو الغايَّة، فلا يُرضي الرَّاسخ إلَّا الله..

يلتَّفون حوله بالشُّبهات ويمرِّرون أمامَ عينيه الشَّهوات ..

يُريدُون خطف هويته منه، ولكنَّه رضي بربِّه ربًا فلا يُرضي إلَّا إيَّاه.

يسيرُ في الدنيا مُوقِنًا أنَّ مَنْ أرضَىٰ النَّاس في سخطِ الله؛ سَخِطَ اللهُ عليه وأسْخَطَ عليه النَّاس، فَهَلْ بعد رِضَا الربِّ غاية؟

وكَيْ ينجو العبدُ من الوقوعِ في فخِّ إرضاءِ النَّاس وسَخَطِ الله، فيحسنُ بِهِ أن:

١- يدعو الله أنْ يَرْزقَهُ الرِّضا بهِ ربًا، ويُكثرُ من الأدعية النبويَّة التي ستكون سببًا -بإذن الله- في خضوعُ قلبِه.

«اللَّهم ارزقني حبَّك وحبَّ من يُحبُّك وحُبَّ كل عَمَلٍ يُقرِّبني إلىٰ حُبِّك».

وبعد كل صلاة: «اللَّهم أعنِّي علىٰ ذِكْرِك وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِك».

الإكثارُ مِن قولِ: «لا حولَ ولا قوَّة إلا بالله»، فهي كنزٌ مِنْ كُنُوزِ الجنَّة، وعندما يقولُهَا العبدُ؛ يقولُ الربُّ: أسلمَ عَبْدِي واستَسْلَم، فيَا لَهَا من نِعمةٍ عظيمةٍ أنْ يَذْكُرَكَ الرَّبُّ العظيم في الملأِ الأعلىٰ ويُشرِّفُك بصفةِ الاستسلام!

وهُنَاكَ الكثيرُ من الأدعيةِ المُباركةِ العظيمةِ[1]

٢- ينظرُ إلىٰ مَنْ هُم أقل منه، امتثالًا لتوجيه النبي ﷺ: «انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هو أَسفَل مِنْكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوقَكُم؛ فهُوَ أَجْدَرُ أَن لا تَزْدَرُوا نعمةَ اللَّه عَلَيْكُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ

وحينها يستحضر نعمَ اللهِ الَّتي لَا تُحصىٰ ويَرْضَىٰ بِنَصِيبِه.

٣- يعلمُ أنَّ كلَّ شَيءٍ مكتوبٌ وبِقَدرِ الله، فَلَا يَسْعَىٰ فِي إرضاءِ أحدٍ إلَّا الله

وليضعَ نُصْبَ عينيه دائمًا هذين الحدِيثَين:

(١) (يُنصحُ بعملِ وردٍ يوميٍ من الأدعيةِ، وكذا بكتاب معاني الأذكَار للشيخ المنجد، وحصن المُسلم لسعيد القحطاني)

الأول ..

عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من التمس رضىٰ الله بسخط النَّاس؛ رضي الله عنه وأرضىٰ عنه النَّاس؛ ومن التَمَسَ رضىٰ النَّاس بسخطِ الله؛ سَخِطَ اللهُ عليه وأسْخَطَ عليهِ النَّاس**» **رواه ابن حبان في صحيحه.**

والثَّاني ..

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، **وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ). قال التِّرمذي رحمه الله: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»**.

فإذا عاش الرَّاسخ مع الدُّعاء والتَّضرع، وتَدَبَّرَ حَالَه ورَضِيَ بِه، وتأمَّل الحَدِيثَيْنِ المَاضِيين بِقَلْبِه ثُمَّ صَاحَبَ الصَّالحين وابتعدَ عَن أهْلِ الدُّنيَا وصِرَاعَاتِهَا، فأنَّىٰ لَهُ أنْ يَنْشَغِلَ بِرِضَا النَّاسِ أو يُفتن به؟

اللَّهم اجعلْ رِضَاك غايتنا يا هادي يا كريم.

✍ قال الشَّافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: رضا النَّاس غايةٌ لا تُدرك، فعليكَ بِمَا فيه صلاحُ نفسك فالزمه.

✍ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: الإيثار علىٰ درجات:

إيثار رضا الله علىٰ رضا غيره، وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطّول والبدن، وإيثار رضا الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ غيره: هو أن يُريد ويفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلق وهي درجة الأنبياء. وأعلاها للرُّسل عليهم صلوات الله وسلامه. وأعلاها لأولي العزم منهم وأعلاها لنبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليهم؛ فإنَّه قاوم العالم كُلَّه، وتجرَّد للدَّعوة إلىٰ الله، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالىٰ، وآثر رضا الله علىٰ رضا الخلق من كُلِّ وجه، ولم يأخذه في إيثار رضاه لومة لائم بل كان همُّه وعزمه وسعيه كلُّه مقصورا علىٰ إيثار مرضاة الله وتبليغ رسالاته، وإعلاء كلماته، وجهاد أعدائه؛ حتَّىٰ ظهر دين الله علىٰ كُلِّ دين وقامت حُجَّته علىٰ العالمين وتمَّت نعمته علىٰ المؤمنين، فبلَّغ الرِّسالة، وأدَّىٰ الأمانة ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده وعبد الله حتَّىٰ أتاه اليقين من ربِّه فلم ينل أحد من درجة هذا الإيثار ما نال -صلوات الله وسلامه عليه- . .

هذا وقد جرت سُنَّة الله -الَّتي لا تبديل لها- أنَّ من آثر مرضاة الخلق علىٰ مرضاته: أن يسخط عليه من آثر رضاه،

ويخذله من جهته، ويجعل محنته علىٰ يديه، فيعود حامده ذامًا، ومن آثر مرضاته ساخطا، فلا علىٰ مقصوده منهم حصل، ولا إلىٰ ثواب مرضاة ربِّه وصل. وهذا أعجز الخلق وأحمقهم.

[مدارج السَّالكين (بتصرف)]

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

ولَنْ يرضىٰ عنك أحدٌ حتَّىٰ تتَّبعَ طريقَه، صديقُ السُّوء لَنْ يَتْرُكَكَ حتَّىٰ تسيرَ مَعَهُ في سبيلِه، اليهودُ والنَّصارىٰ لَنْ يرضوا عن المُسلمين أبدًا حتَّىٰ يتَّبعُوا ملَّتَهُم، والكفرُ مِلَّةٌ واحدة.. احذَرْ أن تتبعَ الضَّلال بعدما هُديتَ إلىٰ الحق، فَمَنْ عَرَفَ الحقَّ ليس كَمَن لَم يعرفه!، ونعمةُ التَّوفيق إلىٰ الهُدىٰ خيرُ نعمةٍ يُنعِمُ اللهُ بِهَا علىٰ العبد، فليتأمَّل في اصطفاءِ اللهِ لَه، وليشكرْ ربَّه وليتضرَّع إليه كي يُثبته!

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

هُنَاكَ مَنْ يتلو التَّوراة حقَّ التِّلاوة، ويُؤمنُ بِمَا فِيهَا ويؤمنُ بمُحمَّد ﷺ وهُناك مَنْ يُعاندُ ويردُّ الحقَّ ويُحرِّفُ ويُبدِّلُ؛ فأولئكَ الذينَ خَسِرُوا الدُّنيا والآخِرَّة، نسألُ اللهَ العافيَّة.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وبَعْدَ ذكرِ صِفَاتِهِم وتَحْذِيرِهِم، عَادَ الخِطَابُ مرةً أُخرىٰ حيثُ يدعو اللهُ اليهودَ لتَذَكُّرِ النِّعم الَّتي منَّ بِهَا عليهم، فضَّلَهم في زمانِهِم وآتاهم الكتابَ والبيِّنات؛ فليتذكَّروا النِّعَم وليشكرُوهَا ولا يَكفرُوا .. كذلك المُسلِم يَجِبُ أَنْ يُذكِّرَ نَفْسَهُ دائمًا بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْه وخاصَّة نعمةَ الإسلام، واصطِفَاء أمَّتِه ثُمَّ يَشْكُرهَا حتَّىٰ تَستمرَّ وتَزِيد، وإلَّا فيُخشَىٰ ذِهَابُهَا.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾.

واجعلُوا بينَكُم وبينَ عذابِ اللهِ وقايَّة باتبَّاع الأوامرِ واجتنابِ النَّواهي، فلا تُغني نفسٌ عن نفسٍ شيئا، ويوم القيَامة لا ينفعُ مالٌ ولا بنون .. لا فداء ولا شفاعة .. سيفرُّ النَّاس من أقربِ الأقرباء ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾.

ويفوزُ الَّذين جاهَدُوا أنفُسَهُم وفضَّلوا صحبةَ الخيرِ علىٰ صُحبَةِ الشَّر .. لَمْ يُكابِرُوا ولَمْ يَخْدَعُوا أنْفُسَهُم .. اختارُوا طريقَ الحقِّ، وساروا عليه واللهُ تَعَالَىٰ أَعَانَهُم، فالنِّعمة من الله أولًا وآخرا.

﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

واذكرْ إبراهيم! ابتلاه اللهُ بالأوامر والنَّواهي، أمرهِ أَنْ يَذْبَحَ إسماعيل فامتثلَ، وقبل ذلك وقفَ أمامَ عبادةِ الأصنام برسُوخ يُدرَّسُ للأجيال، قامَ بأوامرِ ربِّه وثَبَت؛ فاستحقَّ الإمامة. . فلا ينتسبُ إليه إلَّا مَنْ عَلَىٰ دينِه . . أمَّا مَن يَكْذِبُ ويدَّعىٰ النَّسبَ إليه فعملُهُ مَرْدُودٌ ودَعوَتُهُ كاذبة؛ فالإسلامُ والاستسلامُ عنوانا الانتسابِ إلىٰ الخليلِ إبراهيم، ولا يرثُ الإمامةَ الظَّالمون!

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

سيِّدُنا إبراهيم الَّذىٰ استجابَ اللهُ دعوتَهُ، وجعلَ البيتَ مثابةً للنَّاس يَرْجِعُونَ إليه بعدَ شَوق، ويأمنُون فيه ويتَّخِذُون منْ مَقَام إبراهيم مُصلَّىٰ، ووصَّينا إبراهيمَ وإسماعيلَ بتَطْهِيرِ البيتِ مِنْ الأوثان، وَمَا لَا يليقُ بِه؛ كَي يطوفَ النَّاسُ ويَعْتَكِفُوا ويُصلُّوا لِربِهِم حامِدِين شاكِرِين.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

واذكرْ أيُّهَا النَّبي حينَ دَعَا إبراهيمُ لمكَّة بالأمنِ، وأن يَرزُقَ أهْلَهَا الخير؛ أكْرَمَ اللهُ مكةَ ببركةِ دُعاءِ سيِّدِنا إبراهيم، ومَنْ يَكفُر فيُمتَّع قليلًا في الدُّنيا، ويأخذ نصيبُهُ مِنْهَا ثُمَّ يُسَق إلىٰ عَذَابِ جَهَنَّم، وبِئْسَ المَأوَىٰ والمَصِير!

ومضات تنير الطريق

- الصُّحبة الصَّالحة سبيلُ النجاة، فلا نُفرطْ فيها.
- شكْرُ نعمةِ الهُدىٰ جزاؤهُ الثَّبات.
- نعمةُ السُّنة نعمةٌ عظيمة ومَنْ شَكَرَهَا بالاتِّباع فاز.







نَفسٌ هَالِكة

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

التقطَ الشَّيخُ صالح أنفاسَهُ بصُعُوبة بالغة، والتَمَعَت عينَاه بالدُّمُوع وهو يَنْظُرُ إلىٰ ابنِهِ أحمَد، قالَ بصَوْتٍ مُرتَعِش:

- أُريدُكَ أنْ تفوزَ بإرثِ الأنبياءِ يا أحمد، والأنبياءُ لم يتركُوا درهمًا ولا دينارًا، أريدُكَ أن تحرصَ علىٰ العلم، وكُلُّ ما تركتُهُ من مالٍ فأرجو أن تُنفِقَهُ علىٰ معاشِك وفي سبيلِ العلمِ ونَشْرِه، أمَّا أخُوك راغِب، فاحرِصْ عَلَىٰ أن تُعطيَه حقَّه بعدَ رُجُوعِه عمَّا هو فيه!

التَمَعَت دموعُ الحُزنِ والشَّفَقَة فِي عَيْنَي أَحمَد، ردَّ عَلَىٰ والدِه قائلًا:

- أطَالَ اللهُ عُمرَكَ فِي طَاعَتِه يَا والِدِي، ستَعِيشُ وتستمرُّ في رِسَالَتِك الَّتي أفنيْتَ عُمرَك لأجْلِهَا.

ابتسمَ الشيخُ صالح في حَنَان، ونَظَرَ فِي عَيْنَي ابنِه، وكأنَّه يُريدُ أنْ ينفذ فيهِمَا ويحتضن نورهما، قال:

- اقتربَ الأجلُ واللهُ العليم يا أحمد، أطالَ اللهُ عمرَكَ وبارَكَ في عملِك بُنيَّ الحبيب، سأقابلُ ربِّي وقلبي مُطْمَئِنٌ عَلَىٰ رسَالَتِي، سدَّدَك اللهُ وبارَكَ فيكَ يا حبيبي.

بَدَأَت دموعُ أحمد في السَيَلَان عَلَىٰ وَجْنَتْيه، وطَافَت بِخَيَالِه ذِكْرَيَاتُه مَعَ أبِيه، كَانَ أبوه رَجُلًا صَالِحًا يعيشُ بَاذِلًا حَيَاتَهُ فِي طلبِ العلمِ والدَّعوة، تَذَكَّرَ أحمدُ أخَاه راغِب ومَشَاكِلَه مَعَ أبِيه وتَسَبُّبه فِي موتِ أمِّه؛ عِندَمَا تلبَّسَ بقضيَّة مُخدِّرَات وحُبسَ بِسَبَبِها ثلاثة أعوَام!

انتشلتهُ من ذِكْرَيَاتِه ضغطةٌ قويةٌ مِن كفِّ أبِيه التي كان يُمسكُ بِهَا فِي حَنَان، وَأَخَذَه ترديدُه للشَّهَادة (أشهدُ أنَّ لَا إله إلَّا الله وأشْهَدُ أنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله) فاتَّسَعَت عَيْنَاهُ الَّلامِعَتَان بِدُمُوعِهِما، وشدَّ عَلَىٰ يَدِ الأب فِي حُب، وَمَعَ ضغطةِ يَدِه الحَانِيَّة عَلَىٰ يَدِ أبِيهِ شَهَقَ الأخيرُ الشَّهقةَ الأخيرَّة!

. . . .

مَرَّ أربعُون يومًا عَلَىٰ وفاةِ الشَّيخ مُحمَّد، وتَمَاسَكَ ابنه أحْمَد بَعْدَ مَوْتِه وبَدَأ فِي تَنْفِيذِ وصيَّته، كان دائمًا مشغول البال بمَا سَيَفْعَلُهُ مَعَ أخيهِ راغب، حتَّىٰ حَدَث ما يخشاه.

- أدْرِكْنَا يَا أحمد، راغب خَرَجَ مِن السِّجنِ واقْتَحَمَ البيت ويصرخُ فِي جُنُون .. يُريدُ نَصِيبَهُ في الإرث!

سَمِعَ أحمدُ الصَّوتَ مِن الجانبِ الآخرِعَلَىٰ الهاتف، فطمأن أختَهُ مُنىٰ أنَّه سيأتي إليها في أسرع وقت.

- لا تقلقي يا مُنىٰ .. لَنْ يَفعلَ شيئًا .. سأحضرُ حالًا ونرىٰ ماذا سنفعل!

كانت أُخْتُهُ الوحيدة مُنىٰ تعيش في بيتِ أبيها، تخطَّت الأربعين دون زواج، وأَلِفَتْ عُزُوفَ الرِّجال عن التَّقدمِ لها، أَنِست بالله ولم تُصغِ للأسئلةِ المتطفلة التي تُهاجمُ أذنَيهَا كلَّمَا قَابَلَت أحدًا وعَلِمَ أنَّها لَمْ تَتزوَّج بعد!

- بعد كُلِّ ما فَعَلتَه بأبيك وأمِّك تُريدُ أَنْ تأخذَ إرثَهم كَيْ تُنْفِقَهُ علىٰ ضلالِك؟

صَرَخَتْ مُنىٰ في وَجْهِ راغب والأخير يدورُ في البيت كالثَّور الهائج، فتوقَّف فجأة مع صياحِهَا الأخير، والتفتَ إليهَا بعَينَين لامِعَتَين وابتسامة ساخرَّة، قال في صوتٍ خفيض:

- يبدُو أنَّ الوحدة والعُنُوسة أصابتاكِ بالجُنون، سآخذ إرثِي وأفعلُ به ما أشاء!

لم يَظْهَر عليها أثرُ كَلِمَاتِهِ الجارِّحة، قَالَت:

- الوحدة والعُنُوسة قَدَرُ الله، والأُنْسُ باللهِ يزيلُ كُلَّ الأحزان، يغرسُ الرِّضا في القلب، هذا الكلامُ لا يَعْرِفُهُ مخمورٌ مثلك!

اتَّجَهَ ناحيتها كَي يجيبها بالضَّرب، ولكن يدَ أحمد أدرَكَت

يَدَه قبلَ أنْ ترتفعَ علىٰ أُختِه.

- حَسْبُكَ يا راغب.

نَظَرَ راغبُ إلىٰ يَدِهِ بابتسامةٍ ساخرَّة، قال:

- أهلًا يا عم الشِّيخ، هل حسبت إرثي أم أنَّك نسيتَ المواريث؟

- اجْلِسْ يا راغب، نَحْنُ إخوتك قَبْلَ كُلِّ شيء.

تأمَّلت مُنىٰ أخَاهَا أحمد في امتنان، واحتَضَنَتهُ قائلة:

- سلَّمكَ اللهُ يا حَبيبي، لَنْ أَجْلِسَ مَعَ هذا المخمور، سوف أذهب إلَىٰ حُجْرَتي حتَّىٰ لا أفقدُ أعْصَابِي.

صَاحَ راغِبُ غَاضبًا:

- أرأيتَ تربية ال . . .؟

قَاطَعَه أحمدُ قَبْلَ أنْ يُكْمِلَ سبَابَه:

- اجلِسْ يَا رَاغِب كَي نَتَحدَّثَ، ودَعْكَ مِن أي حديثٍ آخَر.

انصرفت مُنىٰ إلىٰ غُرفتها، وشيَّعَهَا راغب بنَظَرَاتٍ نَاريَّة ثُمَّ التفت إلىٰ أخيه وعلىٰ وجهه أمارات التَّحدِّي. .

- ما الذي تُريدُه يا راغب؟

بادره أحمد بالسُّؤال، فأجاب بصوتٍ عال:

- هل ستُرواغني كثيرًا؟ أريدُ إرثي من أبيك وأمِّك.

- حَقُّك مَحْفُوظ، ولكن لَنَا حديث قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ حقَّك.

- لَا وقتَ عِنْدِي للأحاديث، أُرِيدُ حقِّي، وكل واحد يذهب إلىٰ حاله.

- لماذا تُحارِبُ نَفْسَك؟

- هل ستبدأ خطبتك؟

- أنتَ الآنَ لست مخمورًا، مُنَىٰ لَم تقرأك جيدًا، فأجبني لِمَ تُهينُ نفسَك ولا تُقدِّرها؟

تأمَّله راغب لبرهة، ثُمَّ قال:

- الحَيَاةُ رَغَبَات وأنَا راغبٌ؛ فلا بد أن أُلبِّي رغَبَات نفسِي.

قَالَهَا وضَحِكَ طويلًا..

- هَلْ تضمنُ الموتَ علىٰ دينِك؟ هل ما تفعله أصلًا فعل المسلمين؟

- قلتُ لكَ لا أريدُ خطبة الجمعة الآن، أريدُ أن أعرفَ نصيبي فحسب.

تَجَاهَلْهُ أحمدُ، وأكمَل:

- مثلك مُتزوج ويُربِّي أُسْرَتَهُ عَلَىٰ تَعَالِيم الإسلام ويَدعُو ربَّهُ أَنْ يَرزقَهُ الذُّريَّة المُسلمة الصَّالحة، وأنتَ في وادٍ آخر، **تهين نفسَكَ وتُجْهِزُ عليها بالخمر وغيرها، ولا تسجد لله سجدًة واحدة، اخضعْ لربِّك يا راغب، عُدْ إلىٰ فِطْرَتِكَ السَّليمة، أبُوك ربَّاك علىٰ الخُضُوعِ والتَّسليم، هل ضَمِنْتَ الجنَّة أم نَسِيتَهَا؟**

- أرَىٰ أنَّك تُراوغُ ويَبْدُو أنَّ الهُدُوءَ لَنْ يَصْلُح مَعَك.

- يَا أخِي تَذَكَّر **وصيَّةَ أبِيك بالتَّمسُّك بالدِّين والحِرص عَلَىٰ الإسلامِ حتَّىٰ نَلْقَىٰ اللهَ**، هَلْ كَانَ يُخاطِبُ جمادًا؟

ركِّز مَعِي يا راغب، إرثُك ليسَ بالقليل، ووصية أبيك ألَّا أعطِيكَ شيئًا حتَّىٰ تستقيم، فأنتَ الآن في حُكمِ السَّفيه، وستُبدِّد الثَّروة في أقلِّ من شهرٍ وفي الحرام، قَسَوْتُ عليك بالكلام لعلَّك تفيق، فحَاوِلْ أنْ تفيق!

انتفضَ راغب مِنْ مَكَانِه صارخًا:

- هَلْ تَعْقِل مَا تقُول؟ يبدُو أنَّك مللت الحيَاة وتُريدُ من يُخلِّصَكَ مِنْهَا!

- اهدأْ يَا راغب، اهدأْ ورَاجِعْ نَفْسَك، اهدأْ وفكِّر في نتيجة تهوُّرِك.

لَمْ يَسْتَمِعْ راغبُ إلىٰ صياحِ أخِيهِ وَتَنَاوَلَ سكِّينًا مِنْ طَبَقِ الفاكهة الَّذي أمَامَه، ورَفَعَه كَيْ يَطعنَ أخَاه أحمَد، ولكن الأخير سَمِعَ شَهقَتَه قَبْلَ أن يهبطَ السِّكين علىٰ صَدْرِه!

كَانَت مُنىٰ قَدْ بلغها تَصاعُد حوارهِمَا؛ فسَبَقَت راغب بطعنةٍ في ظَهْرِه!

تلقَّىٰ راغب طعنةَ أختِه، ووضَعَت الأخيرةُ كفَّها علىٰ شفتيها كَي تَمْنَعَ صرخةً مُدويَّة من الخروج!

اتَّسعَت عيْنَا أحمد فِي ذُهُول ونَظَرَ إلىٰ أَخِيهِ راغب، وهو يلفظ أَنْفَاسَه الأخيرة!

سَقَطَ راغبُ عَلَىٰ الأرضِ سَقْطَةَ النِّهاية!

وَخَسِرَ راغبُ نَفْسَه في الدُّنيا، ولعلَّه -واللهُ أعلم- سيخسِرُهَا في الآخرة!



﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٣٤].

راسخٌ ويُكرم نفسه

«واللهُ تعالىٰ يُعطي الخيرَ بواسطة وبغير واسطة، ولا يُحْذَىٰ الشرُّ إلَّا بواسطة نفس، ليكون في ذلك حجة الله علىٰ خلقه»[(١)].

[أبو الحسن الحرَّالي]

(١) (يُحْذَىٰ الشرُّ: يُعطىٰ، وبُني الفعل يُحذي لما لم يُسم فاعله (بُني للمجهول)؛ أدبًا مع الله.

الخيرُ كُلُّه من الله، والشرُّ وإهانةُ العبدِ من نَفْسِه . .
فَطَرَ اللهُ النَّاس علىٰ الإسلام، علىٰ الحنيفيَّة السَّمحة، علىٰ تَوحِيدِه والميل إليه.

قال تَعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قالَ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنَّه تَعَالىٰ فَطَر خَلَقَه علىٰ معرفتِه وتوحيدِه، وأنَّه لا إله غيره)**

وفي صحيح مسلم -رحمه الله تعالىٰ- عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:

«أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا -ومما قاله-: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا».

قال النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالىٰ: «**وإنِّي خلقت عبادي حنفاء كلهم**» أي: مُسلِمِين

وقِيلَ: طاهرين من المعاصي.

وقِيلَ: مُستقيمين مُنيبين لقبول الهداية.

وقِيلَ: المُراد حين أخذ عليهم العهدَ في الذرِّ، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ

بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

فالفطرةُ والميلُ إلىٰ الإسلامِ نعمةُ النِّعَم، وفضلُ اللهِ العظيم، ملةُ أبِينَا إبراهيم، واسمُنَا المُسلمين، فَمَنْ يَرْغَبُ عَن هذِه الملَّة إلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَه؟

تعدَّدت الأقوالُ التي فَسَّر بها العلماء «سَفِهَ نفسه» ويكفيك أن تتأمَّلها كي تُدركَ مدَىٰ ظلم الإنسان لنفسِه، بنبذِه لِفِطْرَتِه ورَفْضِه لفَضْلِ الربِّ العظيم:

الأوَّل: امْتَهَنَهَا واستخفَّ بها، وأصل السَّفَه الخفَّة، ومنه زمامٌ سفيه، والدَّليل عليه ما جاء في الحديث: «الكبرُ أن تُسفِّهَ الحقَّ وتغمص النَّاس» (تغمص النَّاس: تحتقرهم)

وذلك أنَّه إذا رَغِبَ عمَّا لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في إزالة نفسه وتعجيزها، حيث خالف بها كل نفس عاقلة.

والثَّاني، قال الحسن: إلَّا من جَهِلَ نفسَه وخَسِرَ نفسَه، وحقيقته أنَّه لا يرغبُ عَنْ ملَّةِ إبراهيم إلَّا مَنْ جَهِلَ؛ فَلَمْ يفكِّر فيهَا، فيستدلُّ بِمَا يجده فيهَا مِنْ آثار الصَّنعة علىٰ وحْدَانيَّة اللهِ تَعالىٰ وعَلَىٰ حِكْمَتِه، فيستدلُّ بذلك علىٰ صحِّة نبوة محمَّد ﷺ.

والثَّالث: أهلَكَ نفسَهُ وأوبَقَهَا، عن أبي عبيدة.

والرَّابع: أضَلَّ نَفْسَه.

امتَهَنَهَا واستخفَّ بِهَا، جهِلَهَا وخَسِرَهَا، أهْلَكَهَا وأوْبَقَهَا، ومعانٍ أخرىٰ . .

لَنْ نَتَكلَّم عن النَّفس وتزكيتِهَا فذلك لَهُ صَفَحاتٍ أُخْرَىٰ سابقة وأُخْرَىٰ لاحقة، ولكن ما سنتأمَّل فيه هو الخُضُوع. .

الخُضُوع لبوصلة الفِطرة التي فَطَرَنَا اللهُ عليها!

الخُضُوع لآياتِ اللهِ الشَّرعيَّة، والتَّأمل في آياتهِ الكونية!

نَعَم هُناك مَنْ يَعْبَث بفطرةِ المولود، ولكن تبقَىٰ بدَاخِلِهِ بَقَايَا الفطرةَ وإن طُمست فطرتُهُ نتيجة استسلامه للشبهات والشهوات، فكُلُّ ما في الأرض يدلُّ علىٰ وحدانية الرَّب، وكُلُّ ما في الشَّرع يدلُّ علىٰ صِدْقِ النَّبي ورسالتِه وكمالِهَا.

إنَّ الآخر لو تأمَّل فقط في مسائل الشَّريعة الإسلاميَّة وتفاصيلها وضَبْطِهَا لجميعِ مناحي الحياة، وتضمُّنِهَا للرَّحمة والعزَّة والإحسان؛ لَهَرْوَل إلىٰ دينِ الرَّحمة، ولكن الإشكال الأساسي: بُعد الآخر عن الخضوع.

طَغَتْ الماديَّة علىٰ القلوب، واجتالت شياطينُ الجن وشياطين الإنس العباد (صدُّوهم عن الدِّين واستخفُّوا بهم وجالوا بِهِم في الباطل) فكانت النتيجة كِبرَ القلوبِ وذِهَابُ الخُضُوع وانتكاس الفطر، ومن ثَمَّ إهانة النَّفس وضلالها!

تحقَّق في الكثير من النَّاس تلك الآية العظيمة، ورغب أكثرُهم عن ملةِ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

إنَّ سبيلَ إكرامِ النَّفسِ بالخُضُوعِ والسَّير في طريقِ الرُّسوخ:

١- أن يتأمَّلَ الإنسانُ في إعجازِ ربِّه في نَفْسِه، ثُمَّ يتَّجه إلىٰ الكونِ وينظرُ فيه ويُكثر من تدبُّر الآياتِ التي تَدلُّه علىٰ أنَّ هذا الكونَ لَمْ يُخْلَقْ عبثا.

ولنعرض تلك الآيات علىٰ الآخر؛ حتَّىٰ لَوْ لَمْ يَخْضَع قلبُه لربِّ العَالَمِين:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾.

والعديد من الآياتِ التي تَدْعُو الإنسانَ إلىٰ التَّأمُّل في نفسِه ثُمَّ فيمَا حَوْلَه، فَهَل يتأمَّل ويخضع للعظيم؟

٢- طلبُ العلم سبيلٌ مُهمٌ جدًا للتَّعرفِ علىٰ محاسنِ الشَّريعة الإسلاميَّة وكَمَالِهَا، ومِنْ ثَمَّ الخُضُوع لأوامرِ الله.

٣- صُحبةُ العُقلاء التُّقاة تدلُّ الإنسانَ علىٰ الخير، وسؤالُ أهلِ الذِّكر فِيهِ هُدَىٰ للإنسان، فعلينا بالتَّواضع والسؤال ولا نتكبَّر علىٰ الاستفسار.

٤- إدراكُ قيمة النَّفس الإنسانيَّة عند الله، ومآلها الذي أعدَّه اللهُ لَهَا؛ فلا يُسفِّه الإنسانُ نفسَه!

وأخيرًا من عَرَفَ نَفْسَهُ وَعَرَفَ ربَّه؛ لم يُهنْهَا وعاشَ يُمتِّعها بشريعةِ الإسلام حتَّىٰ يَأتيَهُ اليَقِين!



من أقوال الراسخين

✍ كان أبو العبَّاس الموصليّ، يقول لنفسه: «يا نفس، لا في الدُّنيا مع أبناء الملوك تتنعَمين، ولا في طلبِ الآخرةِ مع العبَّاد تجتهدين، كأنِّيٰ بك بين الجنَّة والنَّار تحبسين، يا نفس ألا تستحيين!».

✍ وقال بعض السَّلف: «النَّاس يطلبون العِزَّ بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلَّا في طاعةِ الله».

(إغاثة اللهفان) لابن القيم

✍ وقال ابن القيِّم: «العِزَّة والعُلُوُّ إنَّما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو علمٌ وعملٌ وحالٌ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فللعبد من العُلُوِّ بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، فله من العِزَّة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظٌّ من العُلُوِّ والعِزَّة، ففي مُقَابَلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا».

(إغاثة اللهفان)

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

سيِّدُنا إبراهيم وسيِّدُنا إسماعيل . . اذكرْ يَا مُحمَّد بناءَ الكعبةِ ودُعَاء النَّبيَّين بتَقَبُّل عملهما، وشكرهما لله نعمة التَّوحيد.

﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

الَّلهمَّ لَولَا اللهُ ما اهتَدَينا، ولا تَصدَّقنَا ولَا صلَّينا

اللهُ يرزُقنا الاستسلامَ والبصيرة ويُعلِّمُنَا العلمَ ويُفهِمُنَا ويتوبُ علينا، اللهُ يُوفِّقُنَا إلىٰ كُلِّ خير، دَعَا أبُو الأنبياء إبراهيم وابنُهُ إسماعيل أنْ يَجْعَلَ مِن ذُريَّتِهِمَا أمَّة مسلمة، فكَانَ فضلُ اللهِ علىٰ أمَّةِ الإسلام باستجابةِ دُعائِهِمَا . .

طَلَبا من ربِّهما العلمَ بمناسكِ الحجِّ والتَّجاوز عن السَّيئات إذ هو التَّواب عَلَىٰ مَنْ يتوبُ إليه، الرَّحيم بعبادِه!

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

قَالَ رسولُ الله ﷺ: أنَا دعوةُ إبراهيم وبُشرَىٰ عيسىٰ.

خيرٌ عظيم ونعمةٌ لا نتأمَّل فيها، أن بَعَثَ اللهُ سيِّدَ الخلقِ إلىٰ أُمَّتِنَا كَيْ يَدلَّهَا علىٰ طريقِ الخُلُود.

ذلك الدُّعاء المُبارَك للأمَّةِ أنْ يَرزقَهَا نبيًا يتلو عليها آياتِ الله ويُعلِّمُهَا الكتابَ والسُّنَّة؛ فَيَزْكُوا ويَتَطَّهَرُوا مِن الكُفْرِ والذُّنُوب، واللهُ عزيزٌ لا يُعْجِزُهُ شيء، حكيمٌ يضعُ كُلَّ شَيءٍ فِي مَوْضِعِه، فاللهمَّ لَكَ الحمدُ عَلَىٰ وافرِ نِعَمِكَ حتَّىٰ نلقاك.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ولا يرغبُ عن ملةِ إبراهيم إلَّا من جَهِلَ قَدْرَ نفسه وأهانَهَا ولم يُقدِّر نعمةَ الوجود وعِظم المآل الذي سيفوزُ بهِ لو استسلمَ وانقاد، ولَقَد اختارَ اللهُ سيدَّنَا إبراهيم واتَّخَذَه خليلا، وهُو في الآخرةِ مِن الصَّالحِين الفائزِين بأعلَىٰ الدَّرَجات.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

لَو تأمَّلنا فِي اختيارِ اللهِ لسيِّدِنا إبراهيم وأمرِه لَهُ بالإسلام؛ لوَجَدْنَا مثالًا خالدًا في التَّسليم والانقياد، سَارَعَ إلىٰ الرِّضْوان واختيارِ طريقِ الحقِّ بِلَا تَردُّد .. لَمْ يَلْتَفِت إبراهيمُ ﷺ إلىٰ أحدٍ بَلْ فرَّ إلىٰ الله فرارا.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

وصَّىٰ إبراهيمُ بنيه بالإسلامِ ووصَّىٰ يعقوبُ بنيهِ بالإسلام، تلك الكلمةُ العظيمةُ الَّتِي مَنْ طبَّقَهَا وتَمَسَّكَ بِهَا نَجَا، اللهُ اختارَ لَكُم الدِّينَ الحق، فيَالَهُ مِنْ شَرَفٍ عَظِيم، شَرَفٌ لأنَّهُ اختيارَ رَبِّ العَالَمِين، فَتَمَسَّكُوا بِهِ حتَّىٰ المَوْت!

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

قالَ اليهودُ للنَّبي: ألستَ تعلم أنَّ يعقوبَ يومَ ماتَ أوصَىٰ بنِيهِ باليهوديَّة؟

وهل حَضَرتُمْ أيُّها اليَهُودُ نصيحةَ يعقوب لبنيهِ عندما سَأَلهُم مَنْ يَعبُدُون مِنْ بَعْدِه؟ لَمْ يحضُرُوا، وقد أخبَرَ الله عَن يعقوب أنَّه نَصَحَ بَنِيهِ بالحَنِيفِيَّة لا باليَهُوديَّة، ولكنَّه الجدل الذي أبْطَلَهُ اللهُ بِقَوْلِه:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

تلْكَ أمَّةٌ قَدْ خَلَت (أيْ مَضَت)، ولَهَا أعْمَالَهَا ولَكُم أعمالُكُم ولا تُسْأَل أمةٌ عَنْ عَمَلِ أمَّة؛ فاعملُوا واتركُوا الجُدلَ، وآمِنُوا بالله ولا تَكْفُرُوا به..

اللهمَّ ارزقْنَا التَّوحيدَ الخالصَ، ونجِّنَا برَحْمَتِكَ يا كريم..

ومضات تنير الطريق

- الصحبةُ الصَّالحة سبيلُ النَّجاة، فلا تُفرِّط فيها!
- نعمةُ السنَّةِ نعمةٌ عظيمة، من شَكَرها بالاتِّباع فاز.
- نتعظ من السَّابقين ولا نُسأل عن أعمالهم، فلننشغل بأمر الله لنا.



﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾.

- انظرْ إلىٰ صديقِك أحمد، وتعلَّم منه!

صَاحَت نبيلة في وجهِ ابنِهَا كريم، وأكمَلَت في غضبٍ شديد:

تنامُ طوال اليوم وتسهرُ طوال الليل، وأصحابك يُذاكِرون ويَجتَهِدُون، لماذا لا تغار من الآخرين؟

نَظَرَ إليها كريم بلامبالاة وقامَ ليُفَارقَ جلستها، فصرَخَت فيه:

- هل ستتركني غاضبةً هكذا وتذهَب؟

- التفت إليها وقالَ ساخرًا:

- أحضري المُتفوِّق أحمد واجلسي معه، تبنِّيه..

وغَادَرَ البيتَ مُخلِّفًا وراءَه بركانًا من الغضب.

. . . .

- ماذا سنفعلُ يا شُكري؟ كريم سيضيع منَّا؟

قالت نبيلة لزوجها بينما كانا يجلسان في رَدهةِ المنزل،

وأخَذَت الدُّموع تنسال علىٰ خدَّيها حُزنًا علىٰ ابنها، لم يُحاول زوجُهَا تهدئتها، بل قالَ في صرامة:

- أنتِ السَّبب في كُلِّ ما وصَلَ إليه، حتَّىٰ عندما تُريدين العلاج تُفسدين بدلًا من الإصلاح!

تَحَوَّلت ملامحُهَا، قالت وقد استثيرت أعصابُها:

- أنا السَّبب؟ أنا أُفسد بدلًا من الإصلاح؟ ولماذا لا تُصلح أنت؟ هل أنا المسئولة بمفردي؟

- لماذا تُقارنينه بالآخرين؟

ما الدَّاعي لذكر زميله أحمد ومُقارنته به؟

هل هذا أسلوبٌ تربوي؟

- افعلْ أنت الصَّواب، الولد أمامك، أنقذه ممَّا هو مُقبلٌ عليه.

- سأنقذه وسأفعل الصَّواب، تنحِّي جانبًا، واتركِيني أُصلُح ما أفسدتِه.

وتركها وغادر المنزل.

. . . .

- أُريدُك أن تجلسَ مَعَه يا شيخ محمَّد، أنتَ شابٌ مثلُه، ولعلَّ حديثك مَعَه يكونُ سببًا في عودتِهِ إلىٰ الطَّريق الصَّحيح.

جَلَسَ والدُ كريم مع الشَّيخ مُحمَّد في المسجدِ المُجَاوِر للمنزل، اكتسىٰ وجهه بالغمِّ وهو يقول:

- لا يُصلِّي وأفكاره أصْبَحَت غريبة!

نَظَرَ إليه الشَّيخ مُحمَّد في إشفاق، قال:

- هل يُصلِّي الجمعة؟ يُمكنني أن أقابلَهُ بعدَ صلاةِ الجُمعة في المسجد!

أطرقَ شاكرُ خجلًا، قال:

- حتَّىٰ الجمعة لا يُصليها.

- حسنًا يا مُهندس شاكر، حدِّدْ موعدًا وأزورك لأجلس معه.

- شُكرًا جزيلًا يا شيخ محمد، جعلَكَ الله سببًا في هدايته.

دَخَلَ الشَّيخ محمَّد بيتَ المهندس شاكر، وجَلَسَ في غرفةِ الضُّيوف، قال الأخير:

- هل أناديه الآن؟ أريدُه أن يتحدَّثَ معك دون أن يدري لماذا أتيت، سأقولُ له إنَّك شاب قد تعمَل مَعَنَا في الشَّركة وأريدُه أن يتعرَّف عليك!

سَكَت قليلًا ثُمَّ ابتسم، قال:

- ولعلَّك بالفعل تنضَّم إلىٰ شركتنا.

قالَهَا وابتسمَ ثُمَّ ذهبَ ليُنادي ابنَه كريم..

كان بيتُ شاكر يُظهرُ ثراءً كبيرًا، وجميع الحوائط مُعلَّق عليها آيات من الذِّكر الحكيم!

أخَذَ الشَّيخُ محمَّد يتأمَّل في الآيات المُعلَّقة علىٰ الحائط، دَخَل المُهندس شاكر ووراءه كريم، جَلَسَ الأخيرُ أمام الشَّيخ مُحمَّد قائلًا:

- أهلًا بك يا شيخ محمَّد، والدي حَدَّثَني عنك كثيرًا.

ابتسمَ المُهندس شاكر، ونَظَرَ إلىٰ الشَّيخ محمَّد في امتنان..

- وبالمُناسبة، أعلم أنَّك أتيت هُنا لدعوتي إلىٰ الإسلام.

تغيَّر وجهُ المُهندس شاكر فجأة وتصبَّبَ العرقُ من جبينه.. نَظَرَ إلىٰ الشَّيخ محمَّد في حَرَج، ولكن الشَّيخ مُحمَّد أنقذَ الموقفَ في سُرعة مُبتسمًا، قال:

- أيًا كان سببُ الزيارةِ يا كريم، أنا سعيدٌ لوجودي في بيتكم، وأرجو أن أتعرَّف عليك!

نَظَرَ إليه كريم في تحفُّز، واستأذنَ المُهندس شاكر كي يأتي بمشروب للشَّيخ محمَّد!

- هلْ تَضْمَن دخول الجنَّة يا شيخ محمَّد؟

بادَرَ كريم الشَّيخ محمَّد بسؤالِه، فأجابَ الأخير:

- لا أحد يضمنُ دخولَ الجنَّة يا كريم.

- إذًا لماذا تُقارنني أمِّي دائمًا بالآخَرين، لماذا تُقارنني بزميلِي أحمد، وكأنَّه من المُبشَّرين بالجنَّة؟

أتَعْلَم؟ كنت سآتي بها الآن كَيْ تجلسَ معنا وتسمع منك أنَّ أحمد لا يضمن الجنَّة، ولكنَّها ذهبت إلىٰ جدتي.

كنتُ سآتي بها كي تسألها لماذا أفْسَدَت عليَّ نفسيتي منذُ الصغر . .

كُلُّ طفولتي، انظرْ إلىٰ فلان . .

فلانة حصَلت علىٰ كذا . .

وفي الجامعة، انظرْ إلىٰ أحمد . . يُذاكر ويتفوَّق، وهي لا تعلمُ الجانبَ الآخرَ من حياته . .

هذَا الأحمد يُدخِّن ويُصاحب الفتيات، ومُتورط في فضائح أخلاقيَّة!

تأمَّله الشيخ أحمد في شفقة، قال: لا شكَّ في خطئها، ولكن هل خطؤها مُبرِّرٌ لهدم حياتك؟

أتدري يا كريم؟ هُناك آية جميلة تذكَّرتها وأنا أتأمَّل في الآياتِ المُعلَّقة علىٰ حائطكم

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾.

المعيار في الإيمان أن نؤمنَ بما آمن به الرُّسول والصحابة، ما هم عليه، لا أن تؤمنَ بما عليه الشَّيخ فلان أو الشَّاب فلان!

حتَّىٰ في النَّجاحَات الدنيويَّة، رأيي أن ننظرَ ونقتدي بمَن مات علىٰ نجاحٍ في الدنيا

لا نلتفت إلىٰ الحي، فالحيُّ لا تُؤمنُ عليه الفتنة، والحيُّ لا يضمنُ النَّجاح حتَّىٰ النِّهاية!

مدحُ والدتك للآخرين ومُقارنتك بهم خطأ، فالنَّاجح الآن لا يضمنُ دوامَ النَّجاح، والمُستقيم الآن لا يضمنُ دوامَ الاستقامة، ومن أرادَ النَّجاح والاستقامةَ فليتأسَّ بمن مات.

من آمَنَ بما آمنَ به الصحابة وسارَ علىٰ هُداهم فقد اهتدىٰ، **مَنْ دَخَل الإسلام وتمتَّع بعبُوديَّة الله وغَاصَ في مُفرَدَاتِه هو مَنْ فَازَ بِصبغَةِ الله، صبغةُ الله هي الإسلام يا كريم، لماذا لا تملأ حياتَك بمُفرداتِ الإسلام**، ولا تلتفت إلىٰ مُقارنة أمك بالآخرين؟

- وهَلْ كُلُّ نَفْسٍ قَادِرة علىٰ التَّجاهل؟

- التَّغافُل قد يكونُ صعبًا، ولكن مُصارحة الآخر بالخطأ الذي مارَسَه معي قد يكون حلًا، أو علىٰ الأقل بداية الحل، حتَّىٰ لا أكْتُمَ في نفسي ولا أُفرِّغ مَشَاعِرِي، وإذا أصرَّ؛ فلأشغِلْ نَفْسِي بصبغَةِ الله!

أنتَ شابٌ تظهرُ عليك القوَّة والجرأة، فلماذا لا تستقيم وتتجاهَل مَنْ حَوْلَك؟

لماذا لا تتأمَّل في نعمةِ الإسلام ونعم الله التي تغمرك وتبدأ حياةً جديدة!

- أحتاجُ إلىٰ إخراجِ ما بداخلي من إحباطات، أثرُ المُقارنَات عميق!

نَظَر إليه الشَّيخ محمَّد طويلًا ثم قال:

- كريم، هل تُحبُّ أمَّك؟

لم تبد عليه المفاجأة من السُّؤال، أجاب مباشرة:

- لا أكرهها ولا أحبُّهَا!

ابتسم محمَّد، قال:

- لا تكرهها، **ولكن كتمك لما في داخلك ربَّما يجعلك تكرهها**، عليكَ أنْ تُصارحَ أمَّك أولًا بِمَا في داخِلِك، ثُمَّ تبدأ خُطوة خُطوة في السَّير إلىٰ الله .. صبغة اللهِ هي السَّعادة الدنيويَّة والأخرويَّة يا كريم!

دَخَلَ عليهم والدُ كريم فجأة وكأنَّ شخصًا يُطاردُه:

- كريم .. شيخ محمد .. أم كريم تعرَّضَت لحادث، هيَّا بِنَا إلىٰ المُستشفىٰ!

وهرعوا جميعًا إلىٰ الخارج.

. . . .

وَقَفَ الشَّيخ مُحمَّد مع كريم في رَدهة المُستشفىٰ مع والدِ الأخير بعدَ أنْ تَرَكَهُم الطَّبيب وأبْلَغَهُم باستقرار حالة أم كريم.

رَبَت الشَّيخ محمَّد علىٰ كتفي كريم، قال مُبتسمًا:

- سعدت جدا بقلقك علىٰ أمِّك، لا يزال في قلبك حبٌ كبير لها!

ابتَسَم كريم في خجل، وبدا عليه الإرهاق:

- أعلم أنَّها تُحبني، أهم شيء الآن أن تعود إلينا كما كانت!

ابتسمَ الشَّيخ محمَّد، قال:

- وأنتَ أيضًا، أهمُّ شيءٍ أنَّك سَتَعُودُ إلىٰ الطَّريق الصَّحيح!

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[البَقَرَة: ١٣٥-١٤١].

راسخٌ يصبغ حياتَهُ بِصِبْغَةِ الله!

هل حُبُّ الصَّحابة واجب؟

هل عليَّ أن أحبَّ صحابةَ النَّبي والخلفاء الرَّاشدين وأقتدي بهم؟

عن البراء بن عازب ﵁ قال: سمعتُ النَّبي ﷺ يقول: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ**» (رواه البخاري ومسلم).

وعن علي بن أبي طالب ﵁ قال: «**وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**» رواه مسلم

وسُئل الحسنُ البَصري -رحمه الله تعالىٰ-:

حُبُّ أبي بكر وعمر ﵄ سنَّة؟

قال:

«لا، فريضة»

إنَّ وجوبَ حُبِّ الصَّحابة يأتي من اصطفاءِ اللهِ لهم، وبذلهم لإقامةِ هذا الدِّين والسَّعي في رفعته، وقبل كُلِّ ذلك، رضا الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ- عنهم ثُمَّ حُبُّ النَّبي لَهُم، وذهابه إلىٰ ربِّه وهو راضٍ عنهم!

أولئك الصَّحابة العظماء الَّذي اصطفاهم اللهُ؛ كي نقتديَ

بِهِم ونسيرَ عَلَىٰ هُداهُم، ونتقرَّب إلىٰ اللهِ بحُبِّهِم..

قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: «**مَنْ كانَ منكم متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنَّهم كانُوا أبرَّ هذه الأمَّة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا وأقومها هديًا وأحسنها حالًا، قومًا اختَارَهُم اللهُ تَعَالَىٰ لصُحبةِ نبيِّه ﷺ، فاعرفوا لَهُم فضلَهُم واتِّبعُوهُم في آثارِهِم؛ فإنَّهم كانُوا علىٰ الهُدىٰ المستقيم**».

من رحمةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِنَا أن جَعَلَ لَنَا قُدُوات أخلاقُهُم عَظيمة وبَذْلُهُم مُخْتَلِف ومُتباين، فمِنْهُم مَنْ كَانَ قُدوةً في بذلِ المال، ومنهُم مَنْ كانَ مثلًا في الحياء، ومنهم مَنْ كان صورةً من صُورِ الشَّجاعة، وكُلُّهم كانُوا قُدوات في الخُضُوعِ لربِّ العَالَمِين، ولذلك كان الإيمانُ كما آمنوا هو الإيمان.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

خطأٌ تربويٌ كبير أن نُقارنَ أولادَنا بأقرانِهِم، ومع غياب القُدوات وضعف الحثِّ علىٰ الاقتداءِ بالصَّحابة والصَّالحين، وعدم جدارة الأقران بالاقتداءِ فضلًا عن المُقارنة؛ يقعُ الشَّاب في الإحباط، ولسان حاله: من هذا الذي تقارنونني به؟

ماذا فعل وما تاريخه؟

أنتم ترون خيْرَه، وأنا أعلمُ حقيقته!

ومع تكثيفِ المُقارَنات وغيابِ القدوات، يقعُ الشَّباب في الإحباط وينعكسُ إحباطُهُم عَلَىٰ دينِهِم وأخلاقِهِم، والحقُّ أن يعيشَ الشَّاب بقلبِه مع خيرِ النَّاس.

يتعلَّم الإيمان كَمَا تعلَّموه، ويتخلَّق بأخلاقِهِم ويسير علىٰ دَرْبِهِم.

تأمَّل في هذا الحديثِ العظيم؛ لنُرسِّخَ في قُلُوبِنَا مَنْ يَنْبَغِي أنْ نَقْتَديَ بِهِم ونُؤمِنَ كَمَا آمَنُوا؛ فنصبغ حياتَنَا بصبغةِ الله!

عَنْ أبِي نَجيحِ العِرْباضِ بنِ سارِيةَ ﷺ قَالَ: «وَعَظنا رَسولُ اللهِ ﷺ موعظةً بلِيغةً وَجلتْ منها القلوبُ، وذَرَفتْ منها العُيون، فَقُلنَا: يا رَسولَ اللهِ كأنَّها مَوْعظةُ مُودِّع فأوْصِنا. قَالَ: «أُوصِيكمْ بِتقوَىٰ اللهِ، والسَّمعِ والطَّاعةِ وإنْ تأَمَّرَ عليكم عبدٌ حَبَشِيٌّ، وإنَّه مَنْ يَعِشْ منكم فَسَيَرَىٰ اختلافًا كثيرًا، **فعليكُم بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ**، وإيَّاكم ومُحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ». **[رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديثٌ حسَنٌ صَحِيح]**

اقرأ أمرَ النَّبي: عضُّوا عليها بالنَّواجذ، والنَّواجذ هي الأضرَاس، فتأمَّل في سبيلِ النَّجاة، كأنَّك تَتَمسَّك بشيءٍ بيدِك وتعضُّ علىٰ أضْراسِك!

هؤلاء العُظماء من يُذكَرُون كَيْ نَقْتَدِي بهم ونسيرُ علىٰ دَرْبِهِم..

من نقصُّ قَصَصَهُم علىٰ أبنائنا حبًا وتعظيما، فلا وجه للمُقارنة!

هذا هو السَّبيل لصبغة الله..

أن نقرأَ سيرَ المُؤمنين الأوائل ونقتدِيَ بهم.

أن نعيشَ فروعَ الإسلام ونملأ حياتَنَا دينًا وعلمًا وعملًا.

أن نتخلَّق بأخلاقِ الصَّحابة، وندرس مواقِفَهُم الدينيَّة والاجتماعيَّة والنَّفسيَّة، فنصل إلىٰ السَّعادة الدُنيويَّة والرِّضا!

فإذا فَعَلنا ذلك فَنَحْنُ علىٰ الدَّرْبِ، وَقَدْ فُزْنَا بِصِبْغَةِ اللهِ وأصبحَ الدِّينُ حياتنا، ونحنُ لربِّنَا خاضِعُون!





قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه «الاستقامةُ: أنْ تستقيمَ علىٰ الأمرِ والنَّهي، ولا تروغُ روغَانَ الثَّعالب»

عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه رأىٰ علىٰ طلحة بن عبيد الله ثوبًا مصبوغًا وهو محرم، فقال عمر: «ما هذا الثَّوب المصبوغ يا طلحة؟». فقال طلحة: يا أمير المؤمنين، إنَّما هو مدر». (أي من طينٍ أحمر وليس فيه طيب)

فقال عمر:

«إنَّكم أيَّها الرَّهط أئمَّة يقتدي بكم النَّاس، فلو أنَّ رجلا جاهلا رأىٰ هذا الثَّوب لقال إنَّ طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثِّياب المصبغة في الإحرام، فلا تلبسوا أيُّها الرَّهط شيئًا من هذه الثِّياب المصبغة».

(تنوير الحوالك شرح موطأ مالك)

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

«إنَّ عمر بن الخطَّاب كان حصنًا حصينًا للإسلام يدخلُ فيه، ولا يخرجُ منه، فلمَّا ماتَ عمر انثلم (انكسر) من الحصن ثُلمة فهو يخرج منه ولا يدخل فيه، وكان إذا سلك بنا طريقًا وجدناه سهلا، فإذا ذُكِرَ الصَّالحون، فحيَّ هلا بعمر بن الخطَّاب، كان فصلَ ما بين الزِّيادة والنُّقصان، والله لوددت أنِّي أخدم مثله حتَّىٰ أموت».

(شرح السُّنة) للبغوي

ولننهل من معين معاني القرآن

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

نَزَلَت في يهودِ المدينة ونصارىٰ نجران، قالُوا (كونُوا هودًا أو نصارىٰ تهتدوا) زَعَمُوا أنَّهم علىٰ الحق؛ فاليهُود يَقولون: كُونُوا هودًا، والنَّصارىٰ يقولون: كُونُوا نصارىٰ، بل قُل يا مُحمَّد: بل نتِّبع ملةَ إبراهيم، الملةُ الحق، وهي التَّوحيد، وهي الإسلام.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

قولُوا آمنَّا بالله .. اتَّحدُوا علىٰ الإيمانِ بجميعِ الأنبياء والإيمانِ برسالتِهم وتَوحِيدِهم .. لا تُفرِّقوا بينَ أحدٍ من رُسلِ الله، هذا هو الانقياد والخضوع وتعظيم ما أمرَ الله بتعظيمه، هذا هو الإسلام.

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

فإنْ آمنُوا بمثلِ مَا آمنتُم بِه فَقَد هُدُوا إلىٰ فلاحِ الدُّنيا والآخرة، وإنْ أعْرَضُوا وَكَفرُوا بالأنبياء أو ببعْضِهِم فذلك هو الضَّلال والاختلاف، طائفةٌ تقولُ نحنُ أحبَّاء الله والأُخْرَىٰ تدَّعِي الهُدَىٰ، والكُلُّ في تَنَازُعٍ وعَدَاء إلَّا من سلَّم لله وآمَنَ بِمَا أُنزِلَ

عَلَىٰ نَبيِّه، وسيكفيك اللهُ أذاهُم يا مُحمَّد، وسيُنَجِّيكَ مِنْ مَكْرِهِم، واللهُ سميعُ الدُّعاء، عليمٌ بِمَا في صُدُورِ العالمين.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

الزَمُوا صبغةَ الله، وهيَ دينه .. قُومُوا بِهَا قيامًا تامًا، اجعلُوا الدِّينَ حياتكم حتَّىٰ تتخلَّقُوا بالأخلاقِ الحَسَنة ويكون الدِّين عُنوان الحياة، فلا أحسن مِنْ دِين اللهِ ولا أفضل مِنْ أن يكونَ الدِّين هو الحياة. ونَحنُ لَهُ عَابِدُون .. دائمًا الطَّاعة تُلازِمُنَا، وحُبُّ الخيرِ يستقرُّ فِي قُلُوبنَا .. نَحْنُ لله وبالله وإلىٰ الله!

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾.

هل تُجادِلُونَنَا في الله؟ هل تُريدُون الاستئثارَ بالانتسابِ إليه؟ إذَا كُنتم تُريدُون الحقَّ فاتَّبعوا الإسلامَ ولا تُجادِلُوا، فاللهُ ربُّنا وربُّكم وهو الآمر للجميع بالتَّوحيد، وكُلٌ لَهُ عَمَلُه، والكلُّ سيُحَاسَبُ عَلَىٰ ما قدَّم مِن عَمَل!

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

تدَّعون العلمَ وتَفتَرُون علىٰ ربِّكم الكَذِب؟ هل أنتُم أعلمُ من الله؟ تَنْسِبُون الأنبياءَ إلىٰ اليَهُوديَّة والنَّصرانيَّة، وقد بُعثوا وماتُوا قبل نزولِ التَّوراة والإنجيل (إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من وَلَدِ يعقوب)؟

كَذَبْتم وأنتم مُستكبِرُون وظالِمُون، كَتَمْتُم الحقَّ، ومَنْ أظلمُ ممَّن كَتَمَ شهادةً ثابتة عِنْدَه وعَلِمَها من الله، واللهُ لا يغفلُ عَنْ أعْمَالِكُم وسَتُحَاسَبُون يومَ القِيَامَةِ عَلَىٰ مَا كُنْتُم تَفْتَرُون.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

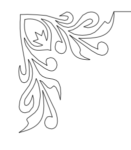
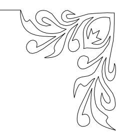
لا تُجَادِلُوا ولا تَفْتَرُوا علىٰ اللهِ الكَذِب، فَلِكُلِّ أمَّةٍ عملها ولا تُسأل أمَّة علىٰ عَمَلِ أمّة، والنَّفع الحقيقي للعبدِ بالعملِ الصَّالح لا بالدَّعوىٰ والكَذِب، واللهُ الهَادِي إلىٰ مَا يُحبُّ ويَرْضَىٰ.

ومضات تُنير الطريق

- الانشغالُ بإصلاحِ النَّفسِ وكَفُّ الفِكْرِ عن الآخرين، راحةٌ للنَّفْسِ ومجلبةٌ للتَّركيز!
- اصطفىٰ اللهُ الأنبياءَ والصَّحابة كي نُؤمن بهم ونتبعهم، وتلك نعمةٌ عظيمة، شُكرُهَا بالاطلاع علىٰ سيَرِهِم، والعيش كما عاشت قلوبهم، والدُّعاء أن يُلحقنا الله بهم.
- العيشُ معَ تَفَاصِيلِ الإسلام وِالنَّيلِ مِنْ خَيْرَاتِ أوَامِرِه، سَعَادَةٌ فِي الدُّنيا والآخِرة:

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾.



خاتمة مُؤقتة!

هذا طريق الرُّسوخ سَلَكنَاهُ سويًا ولَمْ نَصِلْ بعدُ إلىٰ النِّهاية..

طريقٌ حَاولنَا أن نسيرَه بقُلُوبِنَا، نلتمسُ فيهِ بركات القرآن وخبرات الزَّمان ..

طريقٌ لم ينته، وإنَّما كانت بدايتهُ مع الجزءِ الأوَّل من كتابِ اللهِ العَظِيم ..

فإلىٰ لقاءٍ آخر -بإذن الله- مع طريق الرُّسوخ!





للتواصل مع المؤلف

whatsapp 01002829284

alghanem2080@gmail.com